المجلد ٢٤
لم يطبع

مجلة كلية الآداب

المجلد الخامس والعشرون

١٩٧١

تطلب هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية
بالشاطبى ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى كلية الآداب

مطبعة جامعة الاسكندرية

١٩٧٥

فهـــرس

صفحة

رأى فى نشأة النثر العربى
الدكتور سعيد حسين منصور ١

استغلال الأرض فى مركز رشيد
للدكتور محمد خميس الزوكه ٣٣

العامل الجغرافى وأثره فى نشأة المدن فى أفغانستان
للدكتورة عطيات عبد القادر حمدى ٧٥

الأنموذج فى بحث الاستعارة « تأليف : محى الدين الكافيجى »
دراسة وتحقيق للدكتور عثمان موافى ١٢١

الملامح الجغرافية للصحراء الغربية « ف ج . ع . م »
للدكتور حسن أحمد أبو العينين ١٨٣

رأى فى نشأة النثر العربى

للدكتور سعيد حسين منصور

يعرض هذا البحث لموضوع نشأة النثر الفنى فى الأدب العربى ، وهو الموضوع الذى شغل كثيراً من الباحثين ، غير أن أحداً منهم لم يدل فيه بآراء كثيرة مختلفة كما فعل الدكتور طه حسين فى عدد من بحوثه وكتاباته . لذلك يسعى هذا البحث إلى إلقاء الضوء على نشأة النثر العربى من خلال تتبع الآراء المختلفة للدكتور طه حسين وتحليلها ومناقشتها .

- ١ -

لعل أول رأى للدكتور طه حسين فى الموضوع هو الذى عرض له فى كتابه (فى الأدب الجاهلى) ، وكان قبل تناوله قد أراد أن يغير من نظرة القدماء وأنصار القديم كما يقول ، والتى تنص على أن النثر ظهر عند العرب قبل الشعر وكان أغزر منه مادة ، وان كان أسوأ حظاً منه لأنها ضاع قبل أن يتمكنوا من تدوينه ، ولم يسهل عليهم حفظه بالرواية كما سهل عليهم حفظ الشعر وروايته . وبذلك يؤكد الدكتور طه حسين على أن الشعر أسبق فى الوجود من النثر الذى «لا يظهر ولا يقوى عادة إلا حين تظهر فى الجماعة وتقوى هذه الملكة المفكرة التى نسميها العقل وحين تظهر وتشيع هذه الظاهرة الاجتماعية التى نسميها الكتابة» (١) .

وإذ يثبت الكاتب أسبقية ظهور الشعر على النثر ينتقل بعد ذلك إلى نشأة النثر العربى ، ويقسم العرب إزاء ذلك إلى عرب الشمال وعرب الجنوب ، ثم ينفى ما ينسب إلى عرب الجنوب من نثر جاهلى لأنهم لم يكن لهم علم بلغة

(١) طه حسين – فى الأدب الجاهلى – القاهرة – الطبعة الثالثة – ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م ص ٣٤٨ ، وراجع كذلك – حافظ وشوقى – القاهرة – الطبعة الثانية – ١٩٥٣ ص ٦٥ .

قريش التى وصلنا نثرهم بها فى حين كان لهم لغة أخرى عرفت لنا ووصلتنا نصوص منها . وأما عرب الشمال فالكاتب كذلك يرفض ما ينسب إليهم من نثر ، يرفض ذلك فيما يخص ربيعة والمضريين جميعاً لأنه يرى أن البحث العلمى يقتضى ألا يعتمد على الرواية وحدها للتأكد من صحة نسبة هذا النثر إلى هؤلاء . (١) وهنا نصل إلى السؤال الذى نريده : هل نخرج من ذلك كله برفض فكرة نشأة النثر العربى فى الجاهلية ؟

لا يرفض الدكتور طه حسين هذه الفكرة ، ويستدرك بعد هذه المقدمات فيقول : «ومع ذلك فكل شىء فى تاريخ الأدب العربى يدل على أن قد كان للمضريين نثرما ، بل يدل على أن قد كان قبل الاسلام نثر وصل إلى حد من الرقى لا بأس به .. فقد كان لهم حظ لا بأس به من الحضارة فى مكة والطائف والمدينة ، وكانوا يتخذون الكتابة فى أغراضهم التجارية والاقتصادية ، وكانوا على حظ غير قليل من الاتصال باليهود والنصارى ومجوس الفرس» . إذن فقد توافر الشرطان اللذان وضعهما الكاتب أساساً لظهور النثر عند الجماعة ، ولذلك يقول : «فكان من المعقول أن يدعوهم هذا كله إلى التفكير والروية ، ثم إلى الكتابة واستحداث النثر . وكانوا على حظ من العلم والمعرفة بأخبار الأولين وأحوال الأمم الأخرى ، وكان لهم ألوان أخرى من الفنون كالنجوم والطب وما إلى ذلك . وكل ذلك يكفى ليكون لهم نثر ما . فنحن حين نرفض ما يضاف إليهم من النثر لا نزعم أنهم قد جهلوا النثر جهلا تاماً ولم يعرفوه إلا بعد الإسلام ، وإنما نزعم أن قد كان لهم نثر لم يصل إلينا منه شىء بطريقة علمية قاطعة أو مرجحة .. وكل ما يمكن أن نستخلصه من هذا النثر الذى يضاف إلى الجاهليين إنما هو شىء واحد ، وهو أن من الممكن أن يكون هذا النثر قد حاول قليلا أو كثيراً تقليد ما كان للعرب فى جاهليتهم من نثر ، فحفظ لنا صورة ما من هذا النثر الجاهلى دون أن يحفظ لنا نصاً من نصوصه» (٢) .

---

(١) فى الأدب الجاهلى — ص ٣٥١ .

(٢) فى الأدب الجاهلى — ص ٣٥٢ — ٣٥٣ .

النثر إذن عند الدكتور طه حسين قد نشأ فى العصر الجاهلى ، والعرب قبل الاسلام فى رأيه قد توصلوا إلى نوع من الرقى والمعرفة يستلزم ظهور النثر عندهم ، خاصة أنهم قد عرفوا الكتابة التى وإن كانوا قد استعملوها فى شئون التجارة إلا أن هذا لا يمنع من أن يدون بها نثرهم ، ثم ضاعت نصوص هذا النثر ولم يصلنا شيء منها . ويرى الكاتب أن هذا النثر الأدبى شهد نشأة السجع «الذى كان يلتزم فى بعض الخطابات الفنية وفى بعض الرسائل الفنية» (١) التى يبدو فى أسلوبها شيء من سيطرة الأسلوب الشعرى على النثر ، فهو نثر مسجوع لم يتقيد بالوزن وإن كان قد تقيد بالقافية . وبذلك يرى الدكتور طه حسين أن السجع قد أكسب أسلوب النثر وأسلوب الرسائل شيئاً من الفنية ، وأما الخصائص الأخرى لهذا الأسلوب أو سنن الجاهليين فى نثرهم فلا حيلة لنا إلى معرفتها من النثر الجاهلى نفسه ، وإنما «نلمحها فى القرآن ونلمحها فى أحاديث النبى وفى أحاديث الخلفاء وخطبهم»(٢).

نستطيع أن نستخلص من ذلك كما ذكرنا صورة بدت أمام الكاتب للنثر العربى قبل الاسلام تتضح فى هذه الخطابات والرسائل الفنية التى تمثل لوناً من النثر العربى نشأ فى الجاهلية . ولكن ألوان النثر الجاهلى فى رأى الكاتب لا تكاد تتعدى ذلك ، فهو لا يرضى عن الأمثال لتمثل فناً من فنون النثر الجاهلى لأنها «أدب شعبى مضطرب متطور ، يصح أن يؤخذ مقياساً لدرس اللغة ، ومقياساً لدرس الجملة القصيرة كيف تكون ومقياساً بنوع خاص لعبث الشعوب بالألفاظ والمعانى ، ولكن هذا كله شيء والنثر الفنى شيء آخر» (٣) .

ولم يكتف الدكتور طه حسين بإسقاط الأمثال من ألوان النثر الجاهلى وإنما تعدى ذلك أيضاً إلى الخطابة ، لأن «الخطابة العربية فن إسلامى خالص»

(١) المرجع السابق ص ٣٥٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٥٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٥٤ .

وحياة العرب السياسية والدينية والاجتماعية لم تكن تدعو إلى ازدهار الخطابة الجاهلية ، فقد كانت بعيدة عن الحياة المدنية المعقدة كما كان ينقصها الاستقرار والاطمئنان ، وليس معنى هذا أن الكاتب ينكر وجود الخطباء الجاهليين ، ولكنه يرى «أن خطابتهم لم تكن شيئاً ذا غناء» ، «فلا تصدق إذن أن قد كانت للعرب فى جاهليتهم خطابة ممتازة ، إنما استحدثت الخطابة فى الاسلام ، استحدثها النبى والخلفاء ، وقويت حين نجمت الخصومة السياسية الحزبية عند المسلمين» (١) .

وكأن الدكتور طه حسين يرى أن النثر الفنى لم يظهر بفنونه المختلفة دفعة واحدة فى الجاهلية ، فإذا كان النثر ينشعب إلى فرعين كبيرين ، يختص الأول بالكتابة والثانى بالخطابة (٢) ، فإن الجاهلية لم تشهد عنده غير نشأة الفرع الأول المتمثل فى بعض الرسائل الفنية ، فى حين أن الفرع الثانى وهو الخطابة لم تتهيأ له أسباب استحداثه إلا بعد الاسلام .

ولكن ، لعل ما يتناسب مع الاعتقاد السائد عن اعتماد العرب على الرواية وقلة التدوين فى هذا العصر وما بعده أن يكون للخطابة نشاط ، ويكون لها ازدهار أكثر من الكتابة ، أو على أقل تقدير أن يكون ظهورها ونشأتها سابقاً على نشأة النثر الفنى المدون . وليس من المعقول أن يعجز النزاع الشديد والخصومة القوية التى طبعت علاقة القبائل بعضها ببعض عن استحداث

---

(١) المرجع السابق ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

(٢) رأى الدكتور طه حسين فى موضع آخر أن يقسم الكلام إلى ثلاثة أقسام ، فيقول : « . . تقسيم الكلام إلى شعر ونثر ليس يكفى بل يجب أن يقسم الكلام إلى شعر وخطابة وكتابة ، وهى التى تعودنا أن نعبر عنها أحياناً بالنثر الفنى فى الكتب والرسائل » (من حديث الشعر والنثر – القاهرة – ١٩٤٣ – ص ٤١ – ٤٢) . فهو بذلك يفصل بين الخطابة والنثر الفنى معتبراً كلا منهما قسماً قائماً بذاته من أقسام الأدب ، ولهذا سبب يرجع إلى رأى آخر سنعرفه بعد قليل يتصل أيضاً بنشأة النثر الفنى . والدكتور طه حسين إذ يتفق فى هذا التقسيم مع رأى المستشرق الفرنسى مرسيه يريد أن يخالف القدماء والمحدثين فى تقسيمهم الكلام إلى شعر ونثر ، أو منظوم ومنثور (من حديث الشعر والنثر ص ٢١) – وراجع (زكى مبارك – النثر الفنى فى القرن الرابع – القاهرة – الجزء الأول ص ٢٤ – ٢٥) .

الخطابة وإطلاق ألسنة الخطباء فى الجاهلية بفنون من القول البليغ المؤثر ، ولا يعقل أن تقف طبيعة الأخذ بالثأر عند العربى عن إثارة خطب الحث على الحرب والقتال ، كما لا يعقل أن تكون الحياة كلها حرباً وقتالا دون أن يبعث ذلك على خطب الصلح واصلاح ذات البين ، ولا يعقل أيضاً ألا يوجد فى هذا الجو الصاخب خطباء قادرون على المفاخرة والمنافرة فى مجتمع يميل إلى الغلبة والصراع . وأما خطب الوفود والمحافل — وإن كان من الممكن الشك فى نصوصها التى وصلت إلينا فهى بلاشك تدل على بعض موضوعات الخطابة يتفق مع طبيعة الحياة الجاهلية . وقد رأى الكاتب كما ذكرنا من قبل أن النثر الذى يضاف إلى الجاهليين قد حفظ لنا صورة ما من النثر الجاهلى دون أن تحفظ لنا نصاً من نصوصه ، وهذا صحيح ولكنه إن صح أن ينطبق على الكتابة الفنية فهو أشد انطباقاً على الخطابة . والجدير بالذكر أن الكاتب يفرق بين الحوار أو الجدل فى جانب ، والخطابة فى جانب آخر ، ويرى أن الحياة القبلية تدعو إلى الحرار والجدل ولكنها لا تدعو إلى الخطابة . (١) ولكن كيف يحول الحوار بينهم وبين أن يقف أحدهم خطيباً للتأثير فى السامعين ، فيرد عليه الخصم بخطبة أخرى قد تقصر وقد تطول ، وتكون أقوى أو لا تكون (٢) . وأما الحواضر العربية كالطائف والمدينة ومكة — كما عرض الدكتور طه حسين من قبل — فقد كان لها حظ لا بأس به من الحضارة واتصال باليهود والنصارى ومجوس

---

(١) فى الأدب الجاهلى ص ٣٥٥ .

(٢) ينسب إلى ابن المقفع فى طول بعض الخطب الجاهلية قوله : « الايجاز هو البلاغة . فأما الخطب بين السماطين وفى إصلاح ذات البين فالاكثار فى غير خطل والإطالة فى غير إملال ». (البيان والتبيين — القاهرة — ١٣٨٨/١٩٦٨ — الجزء الأول ص ١١٦) . وينسب إلى قيس بن خارجة بن سنان من خطباء الجاهلية قوله : « عندى قرى كل نازل ، ورضا كل ساخط ، وخطبة من لون تطلع الشمس إلى أن تغرب آمر فيها بالتواصل وأنهى فيها عن التقاطع ». ويقول الجاحظ : « قالوا : فخطب يوماً إلى الليل فما أعاد فيها كلمة ولامعنى » . (البيان — الجزء الأول ص ١١٧) . ولعل هذه الخطبة هى التى سميت العذراء ، (البيان — الجزء الأول ص ٣٤٨) ، وضرب بها الجاحظ المثل فى الطول (الحيوان — القاهرة ١٣٦٢هـ — ١٩٤٣م — الجزء السادس ص ٢٦١) .

الفرس ومعرفة ببعض العلوم وأخبار الأمم . وإذا كان الدكتور طه حسين قد رأى أن «كل الحياة الاجتماعية للعرب قبل الاسلام لم تكن — وإن غضب أنصار القديم — تدعو إلى خطابة قوية ممتازة ، فالحواضر المضرية كانت حواضر تجارة ومال واقتصاد ، ولم يكن للحياة السياسية فيها خطر يذكر ، ولم تكن لهم حياة دينية عملية قوية تحتاج إلى إلقاء الخطب كما تعود النصارى والمسلمون »(١). أقول إذا كان الدكتور طه حسين قد رأى ذلك من أجل أن يثبت أن الخطابة لا تنشأ إلا إذا توافرت لها «الحياة المدنية المعقدة» ، فقد سبق له أن رأى وهو فى معرض تصوير الحياة الجاهلية من خلال تمثيل القرآن لواقعها أن «القرآن إذن أصدق تمثيلا للحياة الدينية عند العرب من هذا الشعر الذى يسمونه الجاهلى . ولكن القرآن لا يمثل الحياةَ الدينية وحدها ، وإنما يمثل شيئاً آخر غيرها لا نجده فى هذا الشعر الجاهلى ، يمثل حياة عقلية قوية ، يمثل قدرة على الجدل والخصام أنفق القرآن فى جهادها حظاً عظيما .. وإذا كان العرب أصحاب علم ودين ، وأصحاب ثروة وقوةوبأس ، وأصحاب سياسة متصلة بالسياسة العامة متأثرة بها مؤثرة فيها ، وأصحاب اقتصاد داخلى وخارجى معقد ، فما أخلقهم أن يكونوا أمة متحضرة راقية لا أمة جاهلة همجية» (١) .

وهكذا تبدو لنا فى هذين النصين صورتان مختلفتان عن البيئة الجاهلية ، ولكن الواقع أن طبيعة الحياة العربية الجاهلية بصورها القبلية وقسطها من الحضارة ملائمة كل الملاءمة لنشأة الخطابة ، وإذا صح أن يكون للعرب فى الجاهلية معلقات ومذهبات دون أن يكون لهم كتابة فنية فلا يعقل أن يكون لهم هذا الشعر الناضج المتكامل دون أن يكون لهم خطابة ، ولا يعقل أن يكون للقبيلة شاعرها الذى يعدد مناقبها ويهجو أعداءها دون أن يكون فيها السيد الخطيب الذى يحث قومه للذود عنها ويفد على شيوخ القبائل وملوك الإمارات لعرض قضاياها والتحدث عنها

(١) فى الأدب الجاهلى ص ٣٥٤ — ٣٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٧١ - ٧٢ ، ص ٧٨ — ٧٩ .

فى أمة عرفت عنها الفصاحة والبلاغة وجاءها القرآن بمعجزة تفحم فصحاءها وتعجز أمراء البيان فيها .

يقول المرزوقى فى معرض التدليل على تأخر المنظوم عن رتبة المنثور عند العرب : « إن ملوكهم قبل الاسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتنان فيها ، ويعدونها أكمل أسباب الرياسة ، وأفضل آلات الزعامة . فاذا وقف أحدهم بين السماطين لحصول تنافر أو تضاغن أو تظالم أو تشاجر ، فأحسن الاقتضاب عند البداهة ، وأنجع فى الاسهاب وقت الاطالة ، أو اعتلى فى ذروة منبر فتصرف فى ضروب من تخشين القول وتليينه ، داعياً إلى طاعة ، أو مستصلحاً لرعية ، أو غير ذلك مما تدعو الحاجة إليه ، كان ذلك أبلغ عندهم من انفاق مال عظيم ، وتجهيز جيش كبير» (١) .

إن قول المرزوقى يصور لنا أدق تصوير وجوه رقى الخطابة الجاهلية كما يصور العناصر الفنية فيها ، وأثرها العميق فى المجتمع الجاهلى الذى كان يفوق أثر المال والسلاح ، بما لا يدع مجالا للشك فى أهمية هذا الفن القولى عند العرب وقدره من ناحية ، وازدهاره وتأثيره فى توجيه الحياة الجاهلية من ناحية أخرى . وللمستشرق كارلو نالينو رأى يلقى الضوء على جوانب أخرى من ارتفاع شأن الخطابة فى العصر الجاهلى ، يقول :

«أما فن الخطابة فله عند العرب مقام عال جداً ، فلو جمعنا الأبيات القديمة التى يحمد فيها خطيب لملأنا بضعة صحائف . ولذلك أسباب مرتبطة بنظامهم السياسى المبنى على الحرية ونوع من مجلس الشورى . فكان رجال كل قوم من أهل الوبر يباحثون أهم أمور القوم فى مجلسهم كما كان كبار أهل مكة يتفاوضون فيها فى دار الندوة المنسوب تأسيسها إلى قصى بن كلاب فكان للخطيب البليغ شأن عظيم . ومن الحرى بالذكر أن الألفاظ التى كان

---

(١) أبو على أحمد المرزوقى – شرح ديوان الحماسة – القاهره – ١٣٧١ هـ / ١٩٥١م – الجزء الأول ص ١٦ .

العرب يعبرون بها عن متولى حكم قوم من أقوامهم، أعنى السيد والأمير عند عرب الحجاز، والقيل فى أنحاء اليمن، إذا بحثنا عن اشتقاقها بمقارنة سائر اللغات السامية وجدنا أن معناها الأصلى انما كان القائل أو المتكلم. ثم أثرت فى ارتقاء فن الخطابة سياسة العرب الخارجية، أعنى العلائق بين قوم وقوم أو بين قبيلة وملوك اليمن والحيرة والفرس وغسان، فكان حينئذ الخطيب وكيل جميع قبيلته يخطب باسمها فى المواسم والوفود للمفاخرة والمشاجرة والدفاع عن حقوق قومه. فوصف أوس بن حجر منصب الخطيب فى داخل قومه وخارجه حين قال وهو يرثى أبا دليجة فضالة بن كلدة :

أبا دليجة من يكفى العشيرة إذ ... أمسوا من الخطب فى لبس وبلبال
أم من يكون خطيب القوم إذ حفلوا ... لدى الملوك ذوى أيد وأفضال

ولهم عوائد خاصة عند إلقاء الخطب الاحتفالية، وعند أهل المدن الحجازية فى أواخر القرن السادس للمسيح نوع ثان من الخطابة جار فى أمور الدين والأخلاق والزهد، وهو نوع اشتهر به زيد بن عمرو بن نفيل من أهل مكة، وقس بن ساعدة الإيادى النصرانى أسقف مدينة نجران الذى ضرب به المثل فى الفصاحة والبلاغة ..»

من ذلك تتضح لنا عوامل ارتقاء فن الخطابة فى الجاهلية، كما تتضح صورة الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الاسلام، تلك الحياة التى ساعدت على ازدهار ألوان من الخطابة متصلة بشئونهم وعلاقاتهم المتنوعة مع غيرهم من الجماعات الأخرى. ولعل الخطأ فى الحكم على الخطابة الجاهلية ونفى وجودها يكمن فى أن ننظر إلى الخطابة نظرة شاملة لجميع أنواعها أو فروعها وموضوعاتها، فقد تتوافر الظروف لنشأة نوع معين من الخطابة دون أن تساعد هذه الظروف نفسها على إحداث أنواع أخرى، فاذا كانت الحياة الدينية عند عرب الجاهلية لم تساعد على ظهور الخطابة الدينية بالشكل الذى

---

(١) تاريخ الآداب العربية – القاهرة – ١٩٥٤ ص ٨٠ – ٨٢.

ظهرت به فى الاسلام ، فليس ذلك يعنى انعدام ألوان أخرى من الخطابة الاجتماعية تعالج مشكلات المجتمع الجاهلى الذى اختلطت فيه ألوان من العقائد والديانات . وإذا كانت الحياة السياسية عند العرب لم تعرف الحزبية السياسية لينبثق عنها خطابة سياسية، فإن انطباع الحياة الاجتماعية للعرب بطابع العصبية القبلية كفيل أن ينشىء خطابة تنعكس فيها صور العصبيات المختلفة المتطاحنة . بل إن الخطابة السياسية الحزبية التى نشأت بعد الاسلام وازدهرت فيها خطابة للأمويين أو خطابة للزبيريين والخوارج والهاشميين ليست مقطوعة الصلة بالعصبية الجاهلية . فالعصبية القبلية لم تندثر بظهور الاسلام وإنما ارتدت على نحو آخر وظهر ارتدادها أو امتدادها فى ظهور بعض الأحزاب التى تطورت مع تطور الحياة الاسلامية ، فكانت لها مبادئها السياسية المتبلورة ، وكانت لها آراؤها التى تتعارض مع الأحزاب الأخرى، ولم تكن البواعث التى أنشأتها ومزقت أوصالها بعيدة عن الأسباب القبلية التى كانت تفرق بين بعض العصبيات الجاهلية وبعضها الآخر . ثم إذا كان الاسلام أيضاً قد أنشأ لوناً من ألوان الخطابة يتمثل فى موضوع الجهاد فى سبيل الله والحث على قتال المشركين ، فهل يبعد أن يكون ذلك فى بعض صوره امتداداً لخطابة الجاهليين فى الحث على الدفاع عن شرف القبيلة ومكانتها ، ثم اتخذت هذه الخطابة شكلا آخر لا يختلف عن ذلك كثيراً حين تنازعت الأحزاب السياسية الاسلامية فيما بينها وشغلت خطابتها أكثر ما شغلت بحث أنصار كل جماعة على قتال الفئة الأخرى ، ولم يكن هذا القتال عند الكثير من الأحزاب الا صورة من صور الجهاد فى سبيل الله .

عرف الجاهليون إذن ألواناً من الخطابة ، ولا ينبغى أن تكون الأسباب التى منعت من ظهور لون من هذه الألوان أسباباً جامعة تحول دون ظهور فن الخطابة عامة أو تأخر نشأته فى الجاهلية إلى صدر الاسلام كما رأى الدكتور طه حسين . إن نقص لون من ألوان الخطابة لا ينبغى أن يدفع للحكم على الخطابة بشكل مطلق ، فظروف العرب قبل الاسلام لا تحول

بين الخطابة وبين أن تكون فناً جاهلياً، ولكن هذا الفن الجاهلى تشعب واتسعت ألوانه وتعددت موضوعاته مع مجيء الاسلام وظهور الخلافة والخلاف عليها وتطور حياة المسلمين واتساعها ، ثم اكتمل ازدهاره وبلغ غاية الرقى كلما تشعبت سبل الحياة فى الدولة الاسلامية وترامت أطرافها وانقسمت هذه الأطراف على نفسها وتنازعت فيها الآراء السياسية وتباعدت الأفكار الدينية .

— ٢٠ —

عاد الدكتور طه حسين إلى الحديث مرة أخرى عن نشأة النثر العربى فى محاضراته عن النثر فى القرنين الثانى والثالث الهجرى التى وردت فى كتابه «من حديث الشعر والنثر» . ولكن آراءه هنا تختلف كل الاختلاف عما رآه فى «الأدب الجاهلى» ، فالجاهليون الذين كان لهم فى «الأدب الجاهلى» قسط ما من الحضارة (يدل على أن قد كان قبل الاسلام نثر وصل إلى حد من الرقى لا بأس به) و(كان من المعقول أن يدعوهم هذا كله إلى التفكير والروية ثم إلى الكتابة واستحداث النثر) و(حين نرفض ما يضاف اليهم من النثر لا نزعم أنهم قد جهلوا النثر جهلا تاماً ولم يعرفوه إلا بعد الاسلام وانما نزعم أن قد كان لهم نثر لم يصل الينا منه شيء بطريقة علمية قاطعة أو مرجحة) و (كان لهم نوعان من النثر إذا ، أحدهما فنى لم يتحلل من قيود الشعر التحلل المطلق ، والآخر عادى اعتمد على لغة التخاطب أكثر من اعتماده على أى شيء آخر) و (نشأ فيها نوع من النثر لم يتحلل من قيود الشعر كلها ، وانما تحلل منها بعض الشيء ، لم يلتزم فيه الوزن وانما التزمت فيه القافية التزاماً ما ، فنشأ السجع الذى كان يلتزم فى بعض الخطابات الفنية وفى بعض الرسائل الفنية أيضاً) .. هؤلاء الجاهليون قد عدل الدكتور طه حسين رأيه فيهم حين مر على الموضوع نفسه عبر الحديث إلى نثر القرنين الثانى والثالث الهجرى كما قلت . والحديث هنا بطبيعة الحال عن النثر الفنى وحده ، إذ لم يفت الكاتب كما لاحظنا أن يفرق بين النثر

العادى والنثر الفنى ليقول إن النوعين قد وجدا ، وإن النوع الفنى منهما لم يتحلل من قيود الشعر ، وإن منه الخطابات والرسائل الفنية . فالأمر إذن واضح فيما يختص برأيه هذا ، ولكن هذا الرأى قد عدل عنه — دون أن يشير اليه — فى كتابه «من حديث الشعر والنثر» على النحو التالى إذ يقول :

«والواقع أننا لا نستطيع بحال من الأحوال — مهما نحرص على أن نكون من أنصار العصر الجاهلى وعشاقه — أن نطمئن إلى أن هذا العصر كان له نثر فنى» . ويقول : « وإذن فالعصر الجاهلى لم يكن له نثر بالمعنى الذى حددته» (١) . والمعنى المقصود هنا هو النثر الفنى . ويقول : «وإذن فالنثر العربى الذى ليس لغة التخاطب ، ولا الأحاديث العادية ، والذى لا يعبر عن عاطفة أو شعور من حيث هى عاطفة أو شعور ، بل من حيث هى صورة عامة يظهر فيها نتيجة التفكير ، هذا النثر أثر من آثار الحياة الاسلامية الجديدة ، ظهر فى الاسلام ، ولم يكن موجوداً» (٢) . ثم نعرف بعد ذلك أن النثر لم ينشأ لا فى العصر الجاهلى ، ولا فى القرن الأول للهجرة حين يقول : «فأول القرن الثانى للهجرة هو الذى شهد ظهور الحياة العقلية ، وهو الذى شهد مظهر هذه الحياة العربية ، وهو نشأة النثر الفنى» . (٣) وعلى هذا فإن «نشأة النثر العربى لم تكن بدعاً فى الأمم» (٤) وإنما جاءت نشأته كما يرى طه حسين «ملائمة كل الملاءمة ومطابقة كل المطابقة لما نألفه فى نشأة النثر الذى كان عند الأمم التى لها أدب راق»(٥) . والأمثلة على ذلك تتضح فى نشأة النثر اليونانى ونشأة النثر الفنى عند الفرنسيين .

وإذا وقفنا هنا لنتساءل : إذا كان النثر الفنى قد تأخر لينشأ بعد القرن

(١) من حديث الشعر والنثر — القاهرة — ١٩٥٣ ص ٢٥ .
(٢) الموجع السابق ص ٢٨ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٥ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٩ .
(٥) المرجع السابق ص ٣٨ .

الأول للهجرة ، فماذا يكون القول فى القرآن وما يمثله من نثر فنى ؟ هنا نجد الدكتور طه حسين يلجأ إلى تقسيم جديد للأدب يخرج فيه القرآن من مجال النثر ، فيقول : «ولكنكم تعلمون أن القرآن ليس نثراً ، كما أنه ليس شعراً إنما هو قرآن ، ولا يمكن أن يسمى بغير هذا الاسم .. فلسنا نستطيع أن نقول إنه نثر ، كما نص هو على أنه ليس شعراً .. وإذن فمن الحق أن نضع القرآن فى مقامه الخاص الذى لا يصح أن يقاس به شيء آخر ، وأن نبحث عن النثر العربى» . (١) والبحث عن النثر العربى بطبيعة الحال لن يخرج بشيء فى دائرة القرن الأول الهجرى وعلى طوله وامتداده ، وأما القرآن فقد فرغ منه الكاتب على هذا النحو بعزله عن مجالى الشعر والنثر كليهما ، ولعل هذا التقسيم الجديد مرتبط بتقسيم آخر سبق أن أشرنا اليه حين عرفنا أن الكلام يقسمه الكاتب إلى ثلاثة أقسام : شعر وخطابة ونثر فنى ، فيفصل النثر عن الخطابة . والهدف من هذا التقسيم هو نفس الهدف الذى ألجأ الكاتب إلى قوله بنظرية الشعر والنثر والقرآن . فالنثر الفنى باعتباره قسما مستقلا من أقسام الأدب منفصلا عن الخطابة يمكن الحكم عليه الآن حكماً مستقلا يؤخر نشأة النثر إلى القرن الثانى ، فلا تنطبق هذه النشأة على الخطابة التى سيقرر الدكتور طه حسين كما سنرى أن نشأتها كانت قبل ذلك ، ولا يحتاج إزاء هذا إلى استثنائها من حكمه على النثر الفنى .

وهكذا تأخرت نشأة النثر العربى إلى القرن الثانى الهجرى ، والأمر الذى لا شك فيه أن هذه النشأة لا تعنى غير النشأة ، فهى لا تعنى التطور أو الارتقاء أو القوة والاتساع والازدهار ، وفرق كبير بين أن ينشأ النثر الفنى فى الجاهلية وبين أن يتأخر لينشأ فى القرن الثانى (٢) . والمعروف

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥ .

(٢) يتفق الدكتور طه حسين فى هذا الرأى الجديد مع رأى سبق أن رآه المستشرق الفرنسى « مرسيه » لا فيما يتعلق بأقسام الكلام فحسب – كما أشرنا إلى ذلك من قبل – بل بتوقيت نشأة النثر العربى كذلك ، وقد نشر الأستاذ « مرسيه » هذه الآراء فى عام ١٩٢٧ ،

(Marcais, Origines de la prose littérature arabe, Sevre Africaine, Nos. 330, 331, 1 er, 2e trimistres, 1927)

– وقد ردد الأستاذ « جيب » هذا الرأى فى مقال نشره فى مجلة (الأدب والفن) بلندن عام ١٩٤٣ وأعاد نشره فى كتابه

Studies on the civilization of Islam, Boston, 1962, p. 237.

أن القرن الثانى فى ميدان النثر العربى مقترن باسم عبد الحميد وابن المقفع ، ولكن الدكتور طه حسين إذ يرى أن القرن الثانى شهد نشأة النثر الفنى لا يرى أن هذه النشأة قد أنشأها كاتب بعينه وأنه نشأ نشأة عربية طبيعية فيقول :

«فى هذا العصر الذى أحدثكم عنه — القرن الثانى للهجرة — ظهر كاتبان يعتقد العرب والمستشرقون أنهما هما اللذان أسسا النثر العربى . وفى هذا كثير من المبالغة ، فلم يؤسس النثر العربى كاتب بعينه ، وانما نشأ نشأة طبيعية ملائمة للشعب العربى الاسلامى » (١). ويقول : «هذا النثر أثر من آثار الحياة الاسلامية الجديدة ، ظهر فى الاسلام ولم يكن موجوداً . هذه الأسباب التى دعت إلى وجوده أسباب طبيعية ، لأن أمة لم تكن أعارت العرب النثر ، بل هى الظروف التى أوجدته . وهو فن دعت اليه حاجة الحياة العربية ، ولذلك يجب أن ننزع من نفوسنا أن العرب استعارت النثر من غيرها من الأمم . فالذين يزعمون أن الأمة العربية قد أخذت نثرها عن الفرس أو اليونان مسرفون . ولكن ليس معنى هذا أن النثر نشأ بعيداً عن هؤلاء ، بل كان عربى النشأة ، ولكنه تأثر بهؤلاء ، وتطور بفضل اتصال العرب بتلك الأمم» (٢) .

ليس من شك فى أن النثر العربى قد تأثر بهؤلاء ، وتطور بفضل اتصال العرب بالفرس واليونان ، فهذا كله صحيح ، ولكن التأثر والتطور يأتى دورهما فى المراحل التى تلى مرحلة النشأة . وقد رأى الدكتور طه حسين أن النثر العربى قد نشأ نشأة عربية وكان أثراً من آثار الحياة الاسلامية الجديدة ، فاذا كان ذلك كذلك ، فلماذا تأخرت هذه النشأة — وهى عربية إسلامية — إلى القرن الثانى ، فى حين أن الحياة العربية الاسلامية التى أنشأت النثر العربى كانت قد بدأت قبل القرن الثانى بقرن كامل ؟ والقرن الثانى

---

(١) من حيث الشعر والنثر ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨ .

الهجرى كما هو معروف لا يقترن بامتزاج العرب بغيرهم من الأمم ، لأن هذا الامتزاج قد حدث قبله ، وانما يقترن بظهور آثار هذا الامتزاج فى جميع نواحى الحياة ، وتبلور مظاهر هذا التأثير فى ميدان الأدب والنثر . وعلى ذلك فلا يصح تأخير نشأة النثر العربى إلى القرن الثانى دون أن تكون هذه النشأة مرتبطة كل الارتباط بأثر الفرس واليونان ، وبذلك لا يمكن أن تكون نشأة عربية خالصة . والدكتور طه حسين يرفض أن يكون ابن المقفع وعبد الحميد هما اللذان أسسا النثر العربى ، ومع ذلك نستطيع أن ندرك أن تفكيره متعلق بالقرن الثانى ونشأة النثر الفنى فيه ، لالشىء الا لشهود هذا القرن فن ابن المقفع وعبد الحميد . يقول :

«وانما الكاتبان امتازا امتيازاً ظاهراً فى هذا العصر حتى أصبحا رمزاً لهذا النثر الذى ليس هو لغة التخاطب ، ولا اللغة العلمية الطبيعية ، ولا اللغة الفلسفية ، ولا التاريخية ، ولكنه نثر فيه شىء من الفن ، وفيه ميل إلى احداث اللذة عند القارىء فوق العناية بتأدية الفكرة ، هذان الكاتبان هما « ابن المقفع» و« عبد الحميد بن يحيى» (١) . ويقول :

«وربما كان من الحق أن أول من أحدث فى نفوسنا لذة الكتابة الفنية فى العصر الاسلامى فى القرن الثانى للجهرة هو عبد الحميد وابن المقفع » (٢) ويقول : «هذان هماالكاتبان اللذان نستطيع أن نعتبرهما عنواناً للكتابة الفنية»(٣) .

قلنا إنه إذا كانت نشأة النثر العربى فى أول القرن الثانى فلا يمكن

---

(١) المرجع السابق ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢ – ومن الغريب أن يقول الدكتور طه حسين فى مقال له فى كتاب (حافظ وشوقى ص ٦٨) : « متى بلغ النثر العربى أقصى ما كان يستطيع أن يبلغ من الرقى ؟ فى عصر ابن المقفع والجاحظ وأشباههما » . وكأن النثر العربى قد نشأ فى القرن الثانى ، وبلغ فى الوقت نفسه أقصى ما يستطيع أن يبلغ من الرقى عند ابن المقفع . ولكن لم يرد فى مقال الدكتور طه حسين ما نسبه إليه الدكتور زكى مبارك من القول بأن «أول كاتب فى اللغة العربية هو ابن المقفع الفارسى الأصل » . (النثر الفنى فى القرن الرابع حـ ١ ص ٤٩) .

(٣) من حديث الشعر والنثر ص ٤٩ .

الا أن تكون هذه النشأة متصلة بعلمين بارزين هما عبد الحميد وابن المقفع والحديث عن عبد الحميد وابن المقفع لا يمكن الا أن يكون متصلا بأثر الثقافة الفارسية واليونانية ، والدكتور طه حسين نفسه يقول فى موضع آخر : «لولا المترجمون فى العصر العباسى ما عرفت العربية نثر ابن المقفع والجاحظ» وعلى ذلك فان نشأة النثر العربى فى القرن الثانى وفى عصر عبد الحميد وابن المقفع ليست الا دليلا على أن النثر العربى لم يكن عربى النشأة . وحديث الدكتور طه حسين عن ثقافة هذين الكاتبين يوضح مدى تأثير الثقافتين الفارسية واليونانية فى نثرهما . يقول عن عبد الحميد : « يختلف الناس فى أن عبد الحميد فارسى الأصل أو من جنسية أخرى ، ويقول أبو هلال انه كان يحسن الفارسية . وعندما أقرأ عبد الحميد وابن المقفع الذى لا خلاف فى أنه كان فارسياً ، وأقارن بينهما ، أرجح أن عبد الحميد كان شديد الاتصال بالثقافة اليونانية ، وربما كان عالماً بلغتها .. ولعبد الحميد خاصة لغوية أو فنية هى التى تحملنى على أن أرجح أنه كان شديد الاتصال باليونانية .. فهو إذا كتب أسرف فى استعمال الحال . . استعمال الحال على هذا النحو من خصائص اللغة اليونانية ، ومن الأسباب التى يعتمد عليها اليونان فى تحديد معانيهم .. هذه الظاهرة عند عبد الحميد تقوى عندى أنه كان شديد الاتصال باليونانية ، ذلك لأن مدارس الأدب اليونانى كانت منبثة فى الشرق كله ، فى الاسكندرية وغزة وأنطاكية والشام والجزيرة ، وظلت كذلك حتى العصر العباسى ، ولكنها انحصرت فى الأديرة حتى ذهب أمرها فى القرنين الثالث والرابع للهجرة . فليس غريباً أن يكون عبد الحميد قد اتصل باليونان فى مدارسهم بالجزيرة والشام وتعلم اليونانية وأحسنها . يقوى هذا فى نفسى الرسالة التى كتبها إلى ولى العهد والتى تتناول معانى يظهر فيها تأثير الثقافة اليونانية .. والرسالة تنقسم إلى قسمين : القسم الأول نصح من الخليفة لابنه . . ثم إذا فرغ من هذا القسم انتقل إلى نصيحة ولى العهد فيما ينبغى أن يتخذه من تنظيم الجيش ومحاربة العدو . وهو أشبه برسالة فى فن الحرب وتنظيم الجيش . وهذا النحو من

(١) حافظ وشوقى – ص ٤٩ .

الرسائل كان شائعاً فى هذا العصر اليونانى الرومانى . وبعضه ترجم للعرب . وعندى فى هذه الرسالة نص بسيط يدلنى على أن عبد الحميد كان فى هذه الرسالة متأثراً لا باليونانية وحدها ، بل بما كان مألوفاً عند اليونان .. فنظام الجيش هذا ما أشك فى أنه متأثر فيه برسائل الحرب عند اليونان ثم رؤية الجيوش اليونانية التى كان العرب يحاربونها دائماً ، ولا سيما أيام مروان . ومن خصائص عبد الحميد أنه يقسم كلامه إلى فصول ، فكل رسالة من رسائله تنقسم إلى أجزاء .. هذا النوع من تقسيم الكلام نوع يونانى من خصائص النثر اليونانى القديم » (١) .

ويعود الدكتور طه حسين ليؤكد هذه الفكرة فى موضع آخر من بحوثه فيقول فى بحث له معروف عن «البيان العربى من الجاحظ إلى عبد القاهر» :

«وإذا كنا على يقين من أن ابن المقفع فارسى الأصل ، فنحن لا نعرف شيئاً ما عن أصل عبد الحميد بن يحيى ، بيد أننا عندما نقرأ القليل الباقى من منشآته ، لا يسعنا الا أن نعترف بما (للهيلينية) من الأثر البين فى هذه المنشآت معنى ومبنى . والحق أن عبد الحميد كان أحد كتاب القرن الثانى الذين فهموا (الفصول) كما يفهمها علماء البيان من اليونان . ونفس بناء جملة يظهر تأثراً واضحاً بالهيلينية ، فهو يضع الصفة من الجملة حيث يقتضى لمعنى وضعها ولو أغضب النحاة بذلك بعض الشىء » (٢) .

هذه صورة كاملة نعرف منها تصور الدكتور طه حسين لمدى تأثير الثقافة اليونانية فى نثر عبد الحميد . والجدير بالذكر أنه يصرح فى موضع آخر مما يؤكد أن بداية الكتابة مرتبطة كل الارتباط بالتأثير اليونانى ، فاذا كانت الكتابة قد بدأت بعبد الحميد فكأنها لم تبدأ به الا لأنه الكاتب

---

(١) من حديث الشعر والنثر ص ٤٢ – ٤٦ .

(٢) نقد النثر – لأبى الفرج قدامة بن جعفر – تمهيد فى « البيان العربى من الجاحظ إلى عبد القاهر – ترجم هذا البحث عبد الحميد العبادى عن الأصل الفرنسى الذى وضعه طه حسين – القاهرة – ١٣٥٧/١٩٣٨ ص ١٠ .

المتأثر بالثقافة اليونانية ، وعلى ذلك تكون الثقافة اليونانية هى التى أطلقت نقطة البدء . ونص كلام الدكتور طه حسين يقول : «ونحن عندما نقول : (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) ، فنحن نعنى كتابة عبد الحميد المتأثرة بالثقافة اليونانية المعتمدة على الترتيب وعلى المنطق ، وكتابة أخرى عنيت بالفن اللفظى والزخرف أكثر من المعنى» (١) .

ونحن وإن كنا لا ننكر تأثير الثقافة اليونانية فى نثر عبد الحميد الا أننا نرى أن من الممكن البحث عن مظاهر هذا التأثير فى غير ما وجده الدكتور طه حسين من قبل فى رسائله . ولكن هذا ليس موضوع بحثنا الآن ، وانما الذى نريد أن نوضحه هو أنه إذا كان لهذه الثقافة اليونانية عند عبد الحميد مثل هذا الأثر الذى شمل الشكل أو الأسلوب والفكرة والمضمون معاً فى نثره . وإذا كانت الكتابة التى بدأت بعبد الحميد ليست الا الكتابة المتأثرة بالثقافة اليونانية إلى جانب ما يظن من أصل عبد الحميد الفارسى فلا يمكن أن تكون نشأة النثر العربى فى عهده — فى أول القرن الثانى — نشأة عربية ، لأنها ليست بمعزل عن الجنسية الفارسية ، ولا بمعزل عن مدارس الأدب اليونانى على وجه الخصوص ، تلك التى كانت منبثة فى الشرق كله كما يقول الكاتب . وهذا القول نفسه ينطبق على ابن المقفع الذى لا شك فى فارسيته ولا شك فى ثقافته اليونانية أيضاً . وفى ذلك يقول الدكتور طه حسين :

«ابن المقفع فارسى من غير شك ، وكان أبوه من عمال الحجاج على الخراج ، وكان مجوسياً . وظل ابن المقفع مجوسياً إلى أول الدولة العباسية ، وكان قد أتقن العربية وتثقف بثقافتها . ولا شك أن حظه كان عظيما من الثقافة اليونانية ، فهو أول من ترجم كثيراً من كتب أرسطو فى المنطق والجدل والقياس والمقولات . فكان إذاً عظيم الحظ من الثقافة العربية واليونانية والفارسية » (٢) . ويمضى الدكتور طه حسين بعد ذلك فى

---

(١) من حديث الشعر والنثر ص ٨١ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٦ .

الاستدلال بنماذج من الأفكار الواردة فى رسالة «الصحابة» و « الأدب الكبير» لابن المقفع على أنها من آثار الثقافة اليونانية ، كما يوضح المعانى الفارسية فى «الأدب الكبير» . ولكنه لا يهتم بتأثير الثقافة الفارسية قدر اهتمامه ببيان الأثر اليونانى فهو يرى « أن مثل هذا الكتاب (أى الأدب الكبير) وكتاب الأدب الصغير واليتيمة كان منتشراً فى العهد اليونانى منذ عصر الاسكندر وترجم للعرب منه الكثير أيام العباسيين» فى حين أن المعانى الفارسية لا تكاد تظهر الا فى الباب الأول من «الأدب الكبير» وهو الخاص بعلاقة الانسان بالسلطان ، «لأنه لا يذكر الا صفات الملوك المستبدين ، الذين يمكرون ويمكر الناس بهم . فأخلاق ملوك الفرس والشرق بوجه عام ظاهرة فى هذا الباب» . وأما القسم الثانى وهو باب الصديق ففيه ما يوصى به الفلاسفة من الأمة اليونانية من حسن العلاقة بين الناس والتأديب فى معاملة الأصدقاء» (١) . بل ان الأكثر من ذلك أن ضعف أسلوب ابن المقفع كما رآه الدكتور طه طه حسين يشبه ضعف كتاب اليونان فى فترة نشأة النثر الفنى فى أدبهم ، يقول : «وليس ابن المقفع بدعاً فى هذا ، فكتاب اليونان كانوا على مثل ما كان عليه ابن المقفع من ضعف فى التعبير ، لأنهم لم يتعودوا أداء هذه المعانى من قبل ، فليس على ابن المقفع حرج أن تضطرب لغته وتستعصى عليه» (٢) .

والغريب أن يكون ابن المقفع فارسياً متعصباً لثقافته وتراثه الفارسى إلى الحد الذى ألصق به تهمة الزندقة ثم يكون تأثير الثقافة اليونانية أظهر وضوحاً من فارسيته . فاذا كان ابن المقفع كما يرى طه حسين «يكتب فى أول عهد النثر الفنى بالوجود» (٣) فكيف يكون النثر العربى فى أول عهده عربى النشأة ، وإذا كان ظهور التأثير اليونانى أيضاً عند عبد الحميد على هذا الشكل فى القوة الذى رأيناه ، فكيف يكون النثر العربى كذلك عربى النشأة ؟

---

(١) المرجع السابق ص ٤٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٥١ .
(٣) المرجع السابق ص ٥١ .

وكأن الدكتور طه حسين وهو يقرر أن النثر الفنى عربى النشأة يعود ويبرهن فى الوقت نفسه على أن نشأته لم تكن عربية ، وأن لليونان على وجه الخصوص أثراً بارزاً وللفرس أيضاً أثرهم فى نشأة هذا النثر ، ما دام النثر لم ينشأ عنده الا فى القرن الثانى وفى عهد عبد الحميد وابن المقفع ، أى فى أول عهد النثر الفنى بالوجود . ولكنه يقول بعد كل ذلك : : «الذين يزعمون أن الأمة العربية قد أخذت نثرها عن الفرس أو اليونان ، ولكن ليس معنى هذا أن هذا النثر نشأ بعيداً عن هؤلاء بل كان عربى النشأة ولكنه تأثر بهؤلاء» (١) . هو عربى النشأة ، ونشأته غير بعيدة عن هؤلاء ؟ هذا عن النشأة التى تأخرت إلى أول القرن الثانى ، وأما مرحلة التطور التى تلى عصر النشأة فستأتى عند طه حسين فى آخر القرن الثانى «فازدادت المعانى التى يتناولها .. ولم يكد يأتى القرن الثالث للهجرة حتى كان النثر قد استقام وأصبح ذلولا مطيعاً لأصحابه يؤدون به المعانى المختلفة ، ولم يكد ينتهى هذا القرن حتى كان العرب قد استوعبوا كل هذه العلوم فى النثر»(٢) .

نصل من كل ذلك إلى أنه لا يمكن الجمع — كما أراد الدكتور طه حسين بين أن يكون النثر الفنى عربى النشأة ، وبين أن تكون هذه النشأة فى أول القرن الثانى ، وهناك عبد الحميد وابن المقفع فى أول هذا القرن بأصلهما وثقافتهما التى صورها الكاتب على هذا النحو الذى رأيناه . ومهما يكن من أمر فان ما نراه الآن هو أن الدكتور طه حسين قد عدل فى (حديث الشعر والنثر) عن رأيه الذى رأيناه فى نهاية كتابه (فى الأدب الجاهلى) ، وان كان لم يشر إلى ذلك ، وتركنا حتى الآن أمام رأيين متعارضين فى موضوع واحد ، فالنثر العربى نشأ فى الجاهلية حيناً ، وكانت نشأته فى القرن الثانى حيناً آخر . ولكن أين ذهبت الفجوة الكبيرة بين هذين الزمنين : الجاهلية والقرن الثانى ؟ الواقع أنه لم يقفل هذه الفترة ، فقد تحدث فى هذه المواضع كذلك عما قد يكون من نثر فنى فى عصر صدر الاسلام

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٢ .

حتى نهاية القرن الأول أى فى الفترة الممتدة ما بين الجاهلية والقرن الثانى ، يقول :

«فى صدر الاسلام ، ما الذى كان يوجد من النثر (طبعاً قوى فن الخطابة لأسباب الحوار ومحاولة الاقناع ، سواء كان موضوعه الدين أو السياسة أو الخصومات المختلفة . وبالطبع احتاج المسلمون إلى أن يكتبوا وكتب النبى رسائل وكتب الخلفاء من بعده ، ولكن هذه الرسائل التى كانت تكتب كانت مختصرة لا يقصد منها الا مجرد الأداء فى غير تفنن أو اثارة لجمال فنى خاص . ومن هنا كانت هذه الرسائل قصيرة جملها صغيرة توشك أن تكون رموزاً ، ليس فيها هذا التفصيل أو المحاولات الفنية التى نجدها عند الشعراء من حيث الألفاظ » (١) .

وهذا يتمشى مع رأيه فى الموضع نفسه أى أن نشأة النثر الفنى كانت فى القرن الثانى ، فهو يرى أن المحاولات التى حدثت فى القرن الأول من أمثلة رسائل النبى عليه الصلاة والسلام ورسائل الخلفاء لم تكن فنيه ، وانما كانت لا تتعدى درجة الأداء . ولكنه لم يذكر شيئاً عن حديث الرسول الذى كان يرى أن من البيان لسحرا ، هل خلا الحديث أيضاً من الفن ؟ وإذا كانت بعض رسائل الخلفاء مختصرة لا يقصد بها حقيقة الا مجرد الأداء ، فهل ينطبق ذلك على جميع هذه الرسائل . ألم تؤثر المعجزة البيانية على هذه الأساليب .هذا التأثير الذى من شأنه أن يعمل على على احداث كتابة فنية تنمو وتقوى وتتطوى ويتسع مداها فى عصر انتشار التدوين الذى شهده عبد الحميد وابن المقفع . هذا فيما يختص بالكتابة ، أما الخطابة فقد عرض لها الكاتب أيضاً فى النص الأخير من كلامه ، ولكن يبدو أن عرض آرائه فى الخطابة كما وردت «فى حديث الشعر والنثر» على آرائه التى وردت « فى الأدب الجاهلى» من قبل يحتاج إلى نقاش آخر

(١) المرجع السابق ص ٢٦ .

— ٣ —

سبق أن رأينا أن الدكتور طه حسين يعتقد فى «الأدب الجاهلى» أن «الخطابة العربية فن اسلامى خالص) ، وأن (الحياة الاجتماعية قبل الاسلام لم تكن — وان غضب أنصار القديم — تدعو إلى خطابة قوية ممتازة) ، فلا نصدق إذاً أن قد كانت للعرب فى الجاهلية خطابة ممتازة ، انما استحدثت الخطابة فى الاسلام ، استحدثها النبى والخلفاء ، وقويت حين نجمت الخصومة السياسية الحزبية بين المسلمين) .

مما لا شك فيه أن الخطابة قويت حين نجمت الخصومة السياسية بين المسلمين ، ولكن الذى نبحثه هنا منحصر فى رأى الكاتب فى موضوع النشأة ، ولذلك فان ما نفهمه من هذا النص الأخير هو أن الخطابة نشأت واستحدثت فى الاسلام ، وقد رأينا من قبل ونحن نعرض لرأيه فى الخطابة فى «الأدب الجاهلى» أيضاً أنه لا ينكر وجود الخطباء فى الجاهلية ولكن (خطابتهم لم تكن شيئاً ذا غناء) ، ومن هذا نفهم أن هذا القدر من الخطابة الجاهلية لا يمثل دور النشأة ، وانما هو شىء يشبه التمهيد للنشأة ، لأن النشأة الحقيقية للخطابة العربية عنده انما كانت فى الإسلام . هذا ما رأيناه فى (الأدب الجاهلى» ، ولكننا يجب أن ننظر إليه الآن مرة أخرى على ضوء ما جاء فى «حديث الشعر والنثر» حيث يقول :

«وإذن فالعصر الجاهلى لم يكن له نثر بالمعنى الذى حددته ، ومع ذلك فقد كان له نثر خاص لم يصل إلينا لضعف الذاكرة وخلوه من الوزن . هذا النثر هو الخطابة ، وليس من شك — إذا فهمنا حياة العرب الجاهلية — أن ما كان يقع بينها من خصومات كان يحتاج إلى كلام غير منظوم . فقد كان الخطباء والمحامون ينطقون بلسان القبائل ، ويحرصون على أن يعجبوا السامعين لا ليقنعوهم فحسب ، بل ليثيروا فيهم لذة فنية ، ومتى وجدت هذه الفكرة فقد وجد الجمال الفنى . والخطباء كانوا يقنعون ويحاجون معتمدين فى ذلك على خلب السامعين ، ولكن هذه الخطابة لم يرد إلينا منها

شيء نثق به . وربما كان من السهل أن نتصور هذه الخطابة تصوراً مقارباً ليس دقيقاً عندما نقرأ كتب السير وما فيها من خطابة وأحاديث . كل هذه تعطينا فكرة عن النثر الجاهلي» (١) .

ويتحدث الدكتور طه حسين عن تطور النثر فى القرن الأول فيقول : «فى هذا العصر نستطيع أن نقول : إن النثر قد وجدت له الأسباب التى مكنته من أن يقوى من جهة ، وأن تنشأ له فنون جديدة من جهة أخرى . أما الذى قوى منه فالخطابة التى كانت موجودة فى الجاهلية واشتدت أسبابها ودواعيها فى الاسلام» (٢) .

نفهم من هذا أن الخطابة العربية فى «حديث الشعر والنثر» قد نشأت فى الجاهلية ، بل لقد كانت الخطابة الجاهلية خطابة فنية لا تعجب السامع وتقنعه فحسب ، بل تثير فيه لذة فنية ، ولم تكن الخطابة الجاهلية كذلك فى «الأدب الجاهلي» كما رأينا . ولقد جاءت الخطابة الجاهلية فى «حديث الشعر والنثر» مزدهرة تثير الجمال واللذة الفنية فى حين أن خطابة «الأدب الجاهلي» لم تكن شيئاً ذا غناء ، كما كانت منقطعة الصلة بالنزاع القبلي الذى (يدعو إلى الحوار والجدل ولكنه لا يدعو إلى الخطابة) .

ولم يقف الأمر عند هذا ، بل ان الدكتور طه حسين يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فى «البيان العربى من الجاحظ إلى عبد القاهر» ، فلا يكتفى بنشأة الخطابة فى الجاهلية وإنما يخطو خطوة أخرى على طريق البيان العربى فيزى نشأة شيء من النقد فى الجاهلية يرعى شأن الخطابة ويوجه مواقف الخطباء ، فيقول :

«ان العرب من نهاية العصر الجاهلى أخذوا يخضعون صناعة الكلام لنقد أولى ، ولكنه فى أغلب الأحوال سديد ، لأنهم كانوا يعولون فيه على سلامة

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥ – ٢٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨ .

الذوق . ولقد بلغ بهم الأمر أن استكشفوا عيوباً فنية فى النظم ، ووضعوا من النصح ما يفيد كلا من الشاعر والخطيب فى صناعته ، فهم مثلا يحذرون الشاعر من التورط فى عيوب معينة قد تلحق القافية ، ويعرفون كيف يؤاخذونه فى حالى الغلو والتقصير ، ثم هم يتقدمون إلى الخطباء أن يراعوا مقتضى الحال ، فيوجزو أو يطيلوا على وفق المقام ، وأن يفتتحوا خطبهم بحمد الله والثناء عليه ، ويوشحوها بآى من الذكر الحكيم . وكتاب (البيان والتبيين) حافل باقتباسات من الشعر والنثر ، كلها تدور حول هذه الصورة الموجزة لأسلوبهم فى النقد ، وكلها تصعد إلى أواخر العصر الجاهلى والقرن الأول للهجرة» (١)

لا يهمنا فى هذا الرأى بطبيعة الحال سوى ما يتصل بالخطابة من ناحية وبالعصر الجاهلى من ناحية أخرى . فالعرب كان لهم من نهاية العصر الجاهلى نقد أولى يفيد الخطيب فى صناعته وفى مراعاته لمقتضى الحال ، وإن دل هذا على شىء فانما يدل على رقى الخطابة التى قام عليها هذا النقد ، وإذا كان النقد نفسه نقداً أولياً ، فهذا لا يعنى أن الخطابة ضعيفة أو أولية ، لأن مرحلة النقد تتبع مرحلة الانشاء ، وإذا كان النقد قد نشأ على أى وجه من الوجوه ، فليس يعنى هذا سوى أن الخطابة قد قطعت مرحلة من النضج تستتبع وتستوجب نشوء هذا النقد .

— ٤ —

عرض الدكتور طه حسين مرة أخرى لموضوع نشأة النثر فى محاضراته بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ، وهى المحاضرات التى ضمت إلى كتاب (من تاريخ الأدب العربى — الجزء الثانى) الذى جمعت فيه مجموعة من أبحاثه وقسمت حسب العصور الأدبية المختلفة . (٢) ومهما يكن من أمر فنحن نسمع فى احدى هذه المحاضرات قول الدكتور طه حسين (٣) :

---

(١) نقد النثر — تمهيد ص ٤ .

(٢) كنا نود لو قدم الدكتور طه حسين الكتاب بمقدمة يوافق فيها على ما نشر له به من محاضراته بقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة ، وذلك بالاضافة إلى المقدمة التى كتبها الدكتور شكرى فيصل — الجزء الأول — (بيروت ١٩٧٠) ص ٥ — ٧ .

(٣) المحاضرات بتاريخ ٨ — ١١ — ١٩٤١ .

والمحقق أن العرب فى جاهليتهم لم يكتبوا نثراً فنياً ، والصحيح أيضاً أن العرب فى جاهليتهم عرفوا ألواناً من البلاغة فى محاوراتهم وخصوماتهم وما نسميه خطابة وأحاديث» (١) .

فالكاتب هنا يفرق بين الكتابة والخطابة ، فيقرر أن الجاهليين لم يعرفوا الكتابة الفنية ، وان كان لهم من النثر فن قولى يتمثل فى الخطابة وفى غيرها ثم يتابع تطور الكتابة خلال القرن الأول فيرى أن النثر الفنى اسلامى ويرى أن كثرة تمرين الكتاب الذين كانوا يكتبون بين يدى النبى وتعودهم «سهل أموراً كثيرة بعد .. فاذا انتباههم يتجه إلى العناية بما يكتبون والعناية الفنية دون غيرها» . (٢) ثم يتابع هذا التطور لدى الكتابة فى أيام الخلفاء الراشدين ليخلص من ذلك إلى قوله : «كما نشأت الخطابة حديثاً بين فرد وجماعة ثم تطورت حديثاً موثراً فيه فن ومتعة كذلك نشأت الكتابة حديثاً بين الكاتب والقارىء البعيد .. وكان شاقاً أول الأمر ثم مرن ، وأخذ الكاتب بعد أن تمت له المرونة يقصد إلى أن يلتمس الزينة والفن ، وأن يجدد فى كتابته ، وأن يحدث إلى جانب الأداء المادى لذة فنية يكون لها أثرها فى تأدية الغرض..فلم يعد يكتفى الانسان بمجرد البناء ،بل أصبح يبغى الزخرف والزينة والتسامق والتجديد .. وكذلك الأمر فى التصوير وغيره» .

والذى يبدو لنا الآن أن الدكتور طه حسين قد عدل عن رأيه الأول فى نشأة النثر الفنى فى الجاهلية ، وعن رأيه الثانى فى نشأته فى القرن الثانى الهجرى ، وأراد فى هذا الرأى الثالث أن يرجع هذه النشأة فى العصر الاسلامى الأول . وهو إذ يرى أن الحياة الاسلامية بما أتاحته للعقل العربى من رقى وثقافة ، قد أنشأت النثر الفنى فهو يقصد بذلك الحياة الاسلامية

---

(١) من تاريخ الأدب العربى – الجزء الثانى – بيروت ١٩٧١ ص ٤٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٤١ .

(٤) المرجع السابق ص ٤٢ – ٤٣ .

بعد الفتوح (١) . وبذلك تقدمت نشأة النثر الفنى فى الأدب العربى عند الدكتور طه حسين قرناً كاملا من الزمان قبل القرن الثانى الهجرى ، ولم يقف الأمر عند حد النشأة ، وإنما تعداه إلى لون من ألوان التطور أصاب النثر فى القرن الأول ، فلم يصبح أدب رسائل فحسب بل شمل كذلك النثر القصصى ، وبذلك شهد القرن الأول «وجود نوعين» أو «فنين من النثر» (٢) .

ويتأكد كذلك انصراف الدكتور طه حسين عن القرن الثانى الذى كان يرى فيه منشأ النثر العربى ، وذلك حين يصل فى عرضه لتطور النثر إلى سقوط الدولة الأموية ، تلك الدولة التى سقطت فى فترة شهدت نمو النثر وتطوره ، وفرق كبير كما رأينا بين مراحل النمو والتطور وبين مرحلة النشأة ، يقول :

«لو فرضنا أن الدولة الأموية لم تسقط وأن أبا مسلم فشل لسبب ما وتأخر سقوط الدولة الأموية خمسين أو عشرين سنة ، فما الذى كنا نلاحظه فى الحياة الأدبية لو حصل هذا ؟ أكان وجد هذا النثر أو لم يكن يوجد ؟ بطبيعة الحال إذا نظرنا إلى التطور الذى نقص أطرافاً منه فسنرى أن النثر كان سيستمر فى نموه ، لأن الحسن البصرى كان يدرس فى العراق نثراً قبل سقوط الدولة الأموية ، وكذلك ابن سيرين وغيرهم من الذين يتحدثون فى التاريخ أو يتناظرون فى مسائل الدين .. فلو أن الدولة الأموية لم تتغير ولو أن مركز الحضارة والخلافة لم ينتقل من الشام إلى العراق لما أثر هذا بحال من الأحوال فى وجود هذا الفن الأدبى الذى نشأ فى الحياة العربية ، واحتضنته هذه الحياة فى تطوره ونموه حتى وصل إلى ما وصل اليه» (٣) .

إذن فالحياة العربية الاسلامية فى القرن الأول قد شهدت نشأة النثر الفنى

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٥ – ٤٦ .

وشهدت كذلك تطوره ونموه ، وأما الفترة التى عاش فيها عبد الحميد وكذلك ابن المقفع فى القرن الثانى فلم تكن ذات أثر فى النشأة وان كانت ذات أثر فى التطور المستمر . يقول الدكتور طه حسين :

إذن فالحياة العربية الاسلامية فى القرن الأول قد شهدت نشأة النثر الفنى وشهدت كذلك تطوره ونموه ، وأما الفترة التى عاش فيها عبد الحميد وكذلك ابن المقفع فى القرن الثانى فلم تكن ذات أثر فى النشأة وان كانت ذات أثر فى التطور المستمر . يقول الدكتور طه حسين :

«والشىء الواضح أيضاً أن عبد الحميد لم يكن كاتباً للعباسيين ، بل للأمويين ، وقتله العباسيون عند سقوط الدولة . وليس النثر ناشئاً عن سقوط دولة وقيام دولة ، ولم ينشأ لأن قوماً غير عرب تعلموا العربية وأتقنوها . ولكن النثر نشأ لأن أمة بدوية تحضرت ، ولأن طبيعة الحضارة أن يوجد فيها النثر سواء تعلم الفرس العربية أم لا ، وسواء أعرب هؤلاء الفرس أم لا .. فلا بد لهم أن يكتبوا ما داموا تحضروا ، وما دامت الحضارة تقتضى النثر» (١) .

وهنا يعود الدكتور طه حسين إلى موضوع النشأة العربية للنثر ، وقد رأيناه يعرض له من قبل ، فيؤكده فى صورة مباشرة وينقضه فى صورة غير مباشرة حين يقرن نشأة النثر العربى بالقرن الثانى وتأثير اليونانية فى عبد الحميد وابن المقفع ، وتأثير الفارسية أيضاً . أما الآن فالدكتور طه حسين ينفى الأثر الأجنبى بشدة فى هذه النشأة ، وان كان هذا بطبيعة الحال لا يعنى نفى التأثير الأجنبى فى مراحل التطور .. يقول :

«لابد من العدول نهائياً عن التفكير السخيف فى أن العرب أخذوا النثر عن الأمم الأجنبية ، فهم لم يأخذوه عن أحد .. بل أنشأته الحياة العربية كما أنشأت هذه الحياة شعرهم كذلك .. فالأمة العربية تأثرت تأثراً

(١) المرجع السابق ص ٤٦ .

لا شك فيه بالأمم المغلوبة لأنها أعرق فى الحضارة ، ولكن فرق بين أن تكون تأثرت بالحضارات ، وبين أن تكون استعارت طبيعةأمة أخرى وفناً من فنونها» (١) .

ويعود الدكتور طه حسين هنا — وهو ينفى أثر الحضارات الأجنبية بشكل عام فى نشأة النثر العربى — فينص على نفى التأثير الفارسى على وجه الخصوص . أما التأثير اليونانى ، فلا ينص عليه وإنما يشمله النفى فى صورته العامة . يقول : «وهنا يظهر الفرق بين أثر اليونان فى روما وأثر الفرس فى العرب ، فالعرب لم يحتاجوا إلى تقليد النثر الفارسى لأنه غير معروف ولا الشعر الفارسى لأنه غير موجود ، على حين أن اللاتين الرومان كانت لهم نماذج من النثر والشعر اليونانيين فقلدوهما واتخذوا منها اماماً ، فالعرب تأثروا بالحضارات الشرقية ، ولكنهم لم يستعيروا فناً ما من هذه الفنون» (٢) .

والنتيجة التى يصل اليها الدكتور طه حسين هنا فى هذا الموضع هى توقيت نشأة النثر الفنى فى العصر الاسلامى ، والعصر الاسلامى هو القرن الأول كما رأينا ، إذا كان القرن الأول يمثل فترة طويلة من الزمن ، فالذى يمكن أن نراه من رأى الدكتور طه حسين أن النشأة كانت فى الشطر الأول منه ، وليس معنى هذا أن النشأة قد تحددت فى سنوات معينة ، وإنما المقصود أنها كانت فى المرحلة الأولى منه ، وأن المراحل التالية قد شهدت خطوات التطور والنمو التى تبعت خطوة النشأة . والجدير بالذكر أن الدكتور طه حسين وان كان يمزج فى حديثه عن النثر بين الخطابة والكتابة فى أكثر الأحيان الا أنه يقصر موضوع النشأة وتأريخها على الكتابة الفنية وحدها دون الخطابة ، وهذا واضح من قوله :

---

(١) المرجع السابق ص ٤٦ — ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٧ .

«وإذا كانت الخطابة قد سلكت طريقها التى لانعرفها، فان النثر قد سلك طريقاً يخيل الينا أننا نعرفه .. وسنرى أن العصر العباسى لم ينشىء النثر العربى بل ربما أغناه وقواه ، والنثر العربى الفنى نشأ فى البيئة العربية الخالصة ثم تطور كما تطورت الفنون العربية المختلفة من نثر بسيط جداً يكثر فيه التكرار ، ويقصر عن تأدية الأغراض بدقة إلى نثر ينمو ويسهل ، ويمكن أن تؤدى به الأغراض من غير مشقة ولا عنت ، إلى نثر يقصد به اقناع السامعين والقارئين . ويمكن أن نتتبع هذا النثر منذ هاجر النبى إلى المدينة حتى أوائل القرن الثانى ، فنراه يتطور تطوراً طبيعياً لا تكلف فيه ، حتى إذا اشتد الاتصال وثب وثبة كبرى هى التى خيلت إلى الباحثين أنه جاء من الشرق لا من بلاد العرب» (١) .

هذا هو عرض القضية الذى يلخص فى الوقت نفسه النتيجة التى وصل اليها الدكتور طه حسين فى هذا الموضع من مواضع آرائه فى نشأة النثر العربى ، وقد جاءت هنا فى القرن الأول . وهذا القرن يتوسط فترتين ، كانت كل منهما فى بعض الأحيان كما رأينا مهداً لنشأة النثر العربى ، أما الأولى فهى الجاهلية ، وأما الثانية فهى القرن الثانى .

— ٥ —

لكننا نريد أن نتلمس بعد كل هذا حقيقة الأمر . والذى يبدو لى أن الحقيقة تتضح إذا ما رجعنا إلى القضية فى بساطتها من غير تعقيد . والبساطة تحتم أن نأخذ القضية ككل ، وننظر إلى النثر باعتباره نثراً دون فصل بين الخطابة فى جانب والكتابة فى جانب آخر . ذلك أن الخطابة نثر لا ريب فيه ، فلم ينظر اليها القدامى على أنها شىء مستقل ، وكل ما يفرق بينها وبين الكتابة هو الطريقة أو الأداء ، فالأولى قول يقال ، والثانية قول يكتب ، وكثيراً ما تكتب الخطبة فتشبه الرسالة الفنية ، أو تلقى الرسالة

(١) المرجع السابق ص ٤٠ .

القاء فتشبه الخطبة ، فالرسالة والخطبة نثر ، والفصل بينهما فى معرض النثر العربى بوجه عام أمر لا يستلزمه المنطق ، ولا يتفق مع طبيعة الأشياء . ولماذا نذهب بعيداً وأبو تمام يقول :

فتح الفتوح تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب

ليست هذه صورة خيالية لأبى تمام ، ينسب فيها الخطابة إلى النثر ، وانما هى الحقيقة التى لا مجاز فيها ، أو الواقع الذى لا شك فيه . ذلك أن تقسيم الكلام إلى الشعر وكتابة وخطابة أمر يحمل من التعسف الشىء الكثير ، وانما الكلام شعر ونثر . وأما أن ينقسم النثر بعد ذلك إلى أقسام فهذا شىء آخر . وفى ذلك يقول صاحب نقد النثر الذى مر بنا منذ قليل .

«واعلم أن سائر العبارة فى كلام العرب إما أن يكون منظوماً وإما أن يكون منثوراً ؛ والمنظوم هو الشعر ، والمنثور هو الكلام» (١) .

ولما كان الشعر ينقسم أقساماً كان للنثر كذلك أقسامه ، ولذلك يقول : «وليس يخلو المنثور من أن يكون خطابة ، أو ترسلا ، أو احتجاجاً ، أو حديثاً ولكل واحد من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه» (٢) . ويقول : «ثم إنه يخص الخطبة والترسل أشياء نحن نذكرها »(٣) . فنرى هنا أنه يجمع بين الخطابة والترسل فى تناول خصائصهما ، لأن الخطابة نثر ، أو هى قسم منه ، ولكنها ليست قسما مستقلا من أقسام الكلام .

وقد عرض الدكتور زكى مبارك لآراء بعض النقاد القدامى فى الشعر والنثر ، ومنها رأى أبى هلال العسكرى فى كتاب الصناعتين — والصناعتان هما الشعر والنثر — وذلك فيما يختص بالفرق بين الخطب والرسائل من حيث كونهما قسمين من أقسام النثر ، فيقول :

(١) نقد النثر ص ٧٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٩٣ .
(٣) المرجع السابق ص ٩٤ .

«وأبو هلال العسكرى أكثر دقة من الثعالبى فى الكلام على الشعر والنثر ، فعنده أن الرسائل والخطب متشاكلتان فى أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقفية ، وقد يتشاكلان أيضاً من جهة الألفاظ والفواصل ، فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب فى السهولة والعذوبة ، وكذلك فواصل الخطب مثل فواصل الرسائل ، ولا فرق بينهما الا أن الخطبة يشافه بها ، والرسالة يكتب بها ، والرسالة تجعل خطبة ، والخطبة تجعل رسالة ، فى أيسر كلفة ، ولا يتهيأ مثل ذلك فى الشعر من سرعة قلبه واحالته إلى الرسائل الا بتكليف وكذلك الرسالة والخطبة لا يجعلون شعراً الا بمشقة » . ثم يقول : «وهذا صريح فى أن نقاد العرب يفهمون أن الرسائل والخطب فن واحد ، أو فنان متقاربان يقابلهما الشعر . فالكلام ينقسم إلى قسمين : منظوم ومنثور ، والمنثور منه الخطب والرسائل . وقد عرض القلقشندى للتعليق على كلمة أبى هلال فى صبح الأعشى — حـ١ ص ١١٩ — فقال «إن الخطب جزء من أجزاء الكتابة ونوع من أنواعها ، يحتاج الكتاب اليها فى صدور بعض المكاتبات ، وفى المبيعات والعهود والتقاليد والتفاويض وكبار التواقيع والمناشير» . ومن هذا يتبين أن المسيو مرسيه تكلف شططاً حين زعم أن الكلام ينقسم إلى ثلاثة أصول أساسية : هى النظم والنثر والخطب ، ليصح له أن يحكم بأن الجاهليين عرفوا فن الشعر وفن الخطابة ولم يعرفوا فن النثر . والمعقول أن الذى يحسن إعداد الخطبة يحسن بسهولة انشاء الرسالة . وقد بقى صدى خطباء الجاهلية لأن الخطب كانت لا تلقى عادة الا فى المواسم أو عند كبريات الحوادث ، أما الرسائل فكانت تنقل من قبيلة إلى قبيلة على أيدى الرسل ، وكانت فى الأغلب مما يكتمه المرسلون» (١) .

لا نريد أن نعرض الآن لموضوع الرسائل ، ولكنا نريد أن نؤكد نثرية الخطابة ، فإذا كانت الخطابة نثراً ، وكانت الخطابة فناً من فنون الأدب

---

(١) النثر الفنى فى القرن الرابع — الجزء الأول — القاهرة — بدون تاريخ — ص ٢٤ — ٢٥ .

التى عرفها الجاهليون ، فهذا يكفى ليكون النثر العربى قد نشأ فى العصر الجاهلى ، وقد تبع هذه النشأة على مدى العصور مراحل مختلفة من الرقى والتطور ، ولكن مراحل الرقى كما عرفنا شىء ومرحلة النشأة شىء آخر ، وقد شهد العصر الجاهلى هذه المرحلة بما لا يدع مجالا للشك ، ويكفى أن نرجع إلى البيان والتبيين لنرى ما رواه الجاحظ من تصوير لمكانة الخطباء فى الجاهلية وارتفاع هذه المكانة على مكانة الشاعر . يقول :

«قال أبو عمرو بن العلاء : كان الشاعر فى الجاهلية يقدم على الخطيب ، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذى يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم . فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوقة ، وتسرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر» . (١) ويقول أيضاً : «كان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب ، وهم إليه أحوج ، لرده مآثرهم عليهم ، وتذكيرهم بأيامهم ، فلما كثر الشعراء ، صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر» (٢) .

وبذلك نربط آخر الكلام بأوله ، فقد عرضنا فى أول البحث لعوامل ازدهار الخطابة فى الجاهلية وصور ازدهارها ، والآن نرى كيف ارتفعت مكانة الخطيب على الشاعر . فإذا كان الخطيب فى هذه المنزلة ، فهذا لا يعنى سوى رقى الخطابة ، ورقى الخطابة يوجب وجودها ، ووجودها يثبت نشأة النثر الفنى فى العصر الجاهلى . وينبغى أن نؤكد كذلك أن ضياع نصوص هذه الخطابة لا ينفى هذه النشأة ولا يؤخرها عن هذا العصر ، فقد أجمعت الآراء — ومنها رأى الدكتور طه حسين — أن هذه النصوص المروية تقدم لنا صوراً من النصوص الأصلية الضائعة . وقد قال الرقاشى

---

(١) البيان والتبيين — تحقيق عبد السلام هارون — الطبعة الثالثة — القاهرة ١٣٨٨/١٩٦٨ الجزء الأول ص ٢٤١ .

(٢) المرجع السابق — الجزء الرابع — ص ٨٣ .

ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ، فلم يحفظ من المنثور عشرة ، ولا ضاع من المنظوم عشرة .

ولقد عرف العصر الجاهلى صوراً أخرى من النثر كسجع الكهان والأمثال والقصص ، ولكننا لا نستند اليها بالدرجة الأولى ، لأن الخطابة الجاهلية أقوى دلالة على وجود النثر الفنى فى شكل كاف لتصوير مرحلة النشأة . وأما القرآن الكريم فهو دليل غير مباشر على نشأة النثر العربى فى الجاهلية ، والدليل المباشر الذى يتمثل فى الخطابة أقدر على النهوض بالدلالة ؛ لأنه يستمد قدرته كما قلنا من إشارته إلى نشأة النثر اشارة مباشرة من غير واسطة .

استغلال الأرض فى مركز رشيد

للدكتور محمد خميس الزوكه

يقع مركز رشيد عند الجزء الأخير من فرع رشيد فى أقصى شمال غرب دلتا نهر النيل بين دائرتى عرض ١١ ٥٣١، ٣٠ ٥٣١ شمالا ، وخطى طول ٩ ٥٣٠، ٣١ ٥٣٠ شرقاً ، ويحده من الشرق فرع رشيد لمسافة ٣٩ كيلو متراً ليفصله عن مركز فوه التابع لمحافظة كفر الشيخ ، ومن الجنوب مركزى المحمودية وأبو حمص ، ومن الجنوب الغربى مركز كفر الدوار ومن الغرب محافظة الاسكندرية . وللمركز جبهة بحرية يطل بها على البحر المتوسط من جهة الشمال طولها ٣٦ كيلو متراً تقريباً ، كما يطل المركز على بحيرة ادكو بجبهة طولها حوالى ٤٠ كيلو متراً .

ويتبع مركز رشيد من الناحية الادارية محافظة البحيرة ، وتبلغ مساحته ١٠٢٧٦٨ فدانا وهو مايكون ٩,٤٤ ٪ تقريبا من اجمالى مساحة محافظة البحيرة البالغة ١٠٨٨٢٩٦ فداناً ، ويضم مركز رشيد ١٨ ناحية تتراوح مساحة كل منها بين ٣٥١ — ٥٦٦٨٣ فداناً ، وفيما يلى بيان بهذه النواحى : (شكل رقم ١)

مسلسل	الناحية	المساحة	مسلسل	الناحية	المساحة
١	ادكو	٥٦٦٨٣	١١	منشية علوان	١٥٢١
٢	الجدية	١٠٣٨٠	١٢	الحماد	١٤٩٦
٣	رشيد	١٠٠٠٣	١٣	التفتيش	١٤٨٤
٤	برج رشيد	٣٩٦٥	١٤	محلة الأمير	١٢٤٨
٥	الساحل	٣٤١٥	١٥	ديبى	١٢٣٢
٦	الكوم (الفاروقية)	٢٢٢٤.	١٦	العامرية الغربية	٦٨٣
٧	الجديدة	١٩٧٥	١٧	الشماشمه	٣٩٧
٨	سيدى عمر	١٩١٨	١٨	ادفينا	٣٥١
٩	العامرية الشرقية	١٩١٧			
١٠	الملقة	١٨٧٦		الجملة	١٠٢٧٦٨

ولا تختلف الأراضى الزراعية فى مركز رشيد كثيراً عن مثيلاتها فى غرب دلتا نهر النيل وان كانت تتميز بانتشار الكثبان الرملية فى بعض الأحواض الزراعية وخاصة فى الجهات الشمالية من المركز ، وتسود هنا زراعة محاصيل البرسيم والقمح خلال شهور الشتاء ، والأرز والأذرة خلال شهور الصيف ، بالاضافة إلى انتشار زراعة الخضروات واشجار نخيل البلح . ولقد كان لموقع المركز فى أقصى شمال غرب دلتا النيل عند مصب فرع رشيد فى البحر المتوسط أثر كبير فى تحديد الخصائص الرئيسية للتربة حيث اشترك البحر مع نهر النيل فى ارساب مواد التربة هنا ، ويلاحظ انتشار التربات الطينيةالتى يتراوح نسيجها بين المتوسط والثقيل فى الأجزاء الجنوبية والشرقية من المركز ، بينما ترتفع نسبة الرمل فى التربة التى يقل نسيجها كلما اتجهنا ناحية الشمال والشمال الغربى حيث تسود التربات الرملية .

وينخفض منسوب سطح الأرض بشكل تدريجى كلما اتجهنا من الشرق إلى الغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال يستثنى من ذلك نطاق الكثبان الرملية الواقع فى الجزء الشمالى من المركز ، والبالغ متوسط ارتفاعه ٦ أمتار فوق منسوب سطح البحر ، وهناك نطاقات يرتفع منسوبها إلى أعلى من ذلك حيث تصل بعضها إلى ٢٥ متراً فوق منسوب سطح البحر ، ومع ذلك هناك نطاقات أخرى ينخفض منسوبها عن منسوبسطح البحر كما هو الحال فى الجهات الواقعة جنوب بلدة ادكو والتى يصل منسوبها إلى — متر . وقد حددانحدار سطح الأرضفى المركز اتجاه شبكة الترع التى تنحدر من الجنوب والشرق فى اتجاه الشمال والغرب بصفة عامة .

ولقد بذلت جهود كبيرة فى المركز لزيادة مساحة الأراضى الزراعية فجففت مساحات من بحيرة ادكو فى منطقتى ادكو وحلق الجمل ، كما استصلحت مساحات من الأراضى الرملية فى شمال المركز وتم استزراعها كما حدث فى منطقة البوصيلى . ففى عام ١٩٤٨ بدأت أول عملية استصلاح زراعى فى المركز حين قامت مصلحة الاملاك الأميريةبتجفيف مساحة ١٧٠٠ فدان تقع إلى الجنوب مباشرة من بلدةادكووتنحصربين خطى كنتور ٠,٢٥

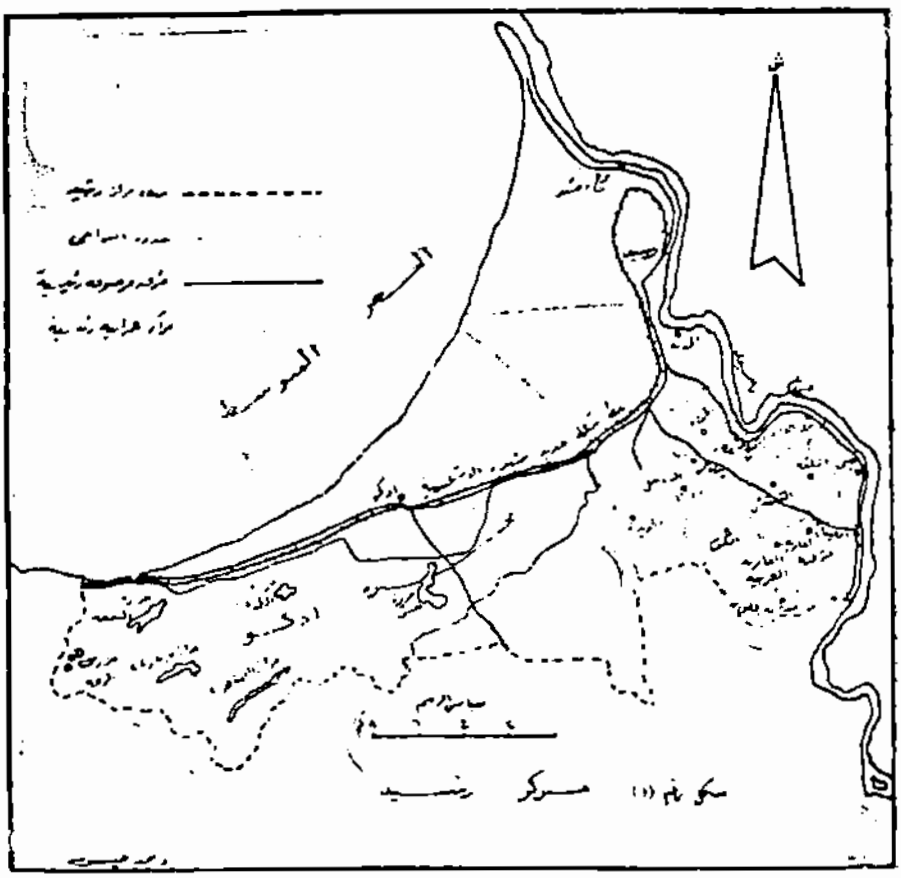

١ متر تقريباً تحت منسوب سطح البحر ، وفى عام ١٩٥٥ استصلحت الهيئة العامة لاستصلاح الأراضى مساحة أخرى تقدر بحوالى ١٠٠٠ فدان وبذلك أصبحت مساحة مشروع ادكو ٢٧٠٠ فداناً تم استزراعها بعد أن مرت بعدة مراحل كان أولها احاطة هذه المساحات بجسور واقية قوية ثم تم بعد ذلك تجفيفها وتسويتها ثم استصلاحها ..

أما منطقة حلق الجمل فتقع إلى الجنوب مباشرة من منطقة ادكو السابق الاشارة اليها وتبلغ مساحتها ٣٠٨١ فداناً تقريباً ، وهى تقع بين خطى كنتور ٧ ، ٩ متراً فوق منسوب سطح البحر ، وقد بدأت عمليات الاستصلاح هنا بمعرفة الشركة العقارية المصرية عام ١٩٥٨/٥٧ بينما قامت مؤسسة الاستزراع باستزراع أراضى هذه المنطقة بعد استصلاحها . أما المنطقة الثالثة وهى البوصيلى فتقع إلى الشرق من بلدة ادكو وتبعد عنها بحوالى عشرة كيلو مترات ، ويحدها من الشرق والجنوب خط سكة حديد رشيد/ الاسكندرية والطريق المرصوف الموصل بين رشيد والاسكندرية ، بينما يفصلها عن البحر المتوسط من الشمال والغرب أراضى رملية ، وتبلغ المساحة المنزرعة هنا ١٥٣٩ فداناً بدىء فى استصلاحها عام ١٩٥٨ بمعرفة مؤسسة تعمير الأراضى والشركة العقارية المصرية ،وبذلك تبلغ جملة مساحة الأراضى التى تم استصلاحها واستزراعها فى المناطق الثلاث حوالى ٧٣٢٠ فداناً ضمت إلى الزمام المزروع فى المركز .

والجدول التالى يبين تفصيل زمام نواحى مركز رشيد :(١)

مسلسل	الناحية	جملة مساحة الزمام	مساحة العامة المنافع	مساحة البوار	الزمام المساحة	المزروع ٪
١	ادكو	٥٦٦٨٣	١٠١٥	٥٠٤٤٣	٥٢٢٥	٪٩,٢١
٢	الجدية	١٠٣٨٠	١٨٩	٧٦٣٤	٢٥٥٧	٢٤,٦٣
٣	رشيد	١٠٠٠٣	٣٥٥	٧١٤٤	٢٥٠٤	٢٥,٠٣
٤	برج رشيد	٣٩٦٥	١٧٨	٢١٧١	١٦١٦	٤٠,٧٥
٥	الساحل	٣٤١٥	٣٣٦	١٩٠	٢٨٨٩	٨٤,٥٩
٦	الكوم (الفاروقية)	٢٢٢٤	١٦٤	—	٢٠٦٠	٩٢,٦٢
٧	الجديدة	١٩٧٥	١٩٠	١٢	١٧٧٣	٨٩,٧٧
٨	سيدى عمر	١٩١٨	١٨١	—	١٨٣٧	٩٠,٥٦
٩	العامرية الشرقية	١٩١٧	١٥٩	٥	١٧٥٣	٩١,٤٤
١٠	الملقة	١٨٧٦	١٣٧	—	١٧٣٩	٩٢,٦٩
١١	منشية علوان	١٥٢١	٢٠٩	١٧	١٢٩٥	٨٥,١٤
١٢	الحماد	١٤٩٦	٥٥	٤٤٨	٩٩٣	٦٦,٣٧
١٣	التفتيش	١٤٨٤	٢٢٢	١٣	١٢٤٩	٨٤,١٦
١٤	محلة الأمير	١٢٤٨	٧٩	—	١١٦٩	٩٣,٦٦
١٥	دبى	١٢٣٢	١٤١	—	١٠٩١	٨٨,٥٥
١٦	العامرية الغربية	٦٨٣	٤١	—	٦٤٢	٩٣,٩٩
١٧	الشماشمه	٣٩٧	٢٢	—	٣٧٥	٩٤,٤٥
١٨	ادفينا	٣٥١	٤٧	١	٣٠٣	٨٦,٣٢
	الجملة	١٠٢٧٦٨	٣٧٢٠	٦٨٠٧٨	٣٠٩٧٠	٣٠,١٤

(١) ا – سجلات مصلحة المساحة ؛ مركز رشيد (أرقام غير منشورة) .

ب – سجلات قسم الاحصاء ، مديرية الزراعة ، مركز رشيد (أرقام غير منشورة) النسب المئوية من حساب الباحث .

يتضح من تحليل أرقام الجدول السابق الحقائق التالية :

— تبلغ مساحة الأراضى المزروعة فى مركز رشيد حوالى ٣٠٩٧٠ فداناً وهو ما يكون ٣٠,١٤٪ من اجمالى مساحة المركز ، ومرد صغر مساحة الزمام المزروع عظم مساحة الأراضى البوار البالغة ٦٨٠٧٨ فداناً وهو ما يوارى حوالى ٦٦,٢٤٪ من جملة مساحة المركز ، أما باقى المساحة وقدرها ٣٧٢٠ فداناً فتمثل مساحة المنافع العامة التى تشكل حوالى ٣,٦٢٪ فقط من اجمالى مساحة مركز رشيد البالغة ١٠٢٧٦٨ فداناً .

— تتسع مساحة الأراضى البوار بشكل واضح فى أربع نواحى هى برج رشيد ، رشيد ، الجدية ، ادكو .. وهى النواحى التى تشغل كل الاجزاء الشمالية والغربية من مركز رشيد ، وتبلغ المساحات البوار فى هذه النواحى حوالى ٦٧٣٩٢ فداناً وهو ما يعادل ٩٨,٩٧٪ من اجمالى المساحات البوار فى المركز والبالغة ٦٨٠٧٨ فداناً . وتكون مساحة البوار فى ادكو أكبر مساحة بوار فى ناحية واحدة حيث تبلغ ٥٠٤٤٣ فداناً وهو ما يوازى ٧٤,٠٩٪ من جملة مساحة البوار فى المركز ، وقد ساعد على ذلك أن بحيرة ادكو تشغل معظم أراضى هذه الناحية ، بالاضافة إلى انتشار الكثبان الرملية فى أجزائها الشمالية ، ولقد كان لانتشار الكثبان الرملية فى نواحى الجدية ، رشيد ، برج رشيد أكبر الأثر فى ارتفاع نسبة الأراضى البور بها حيث بلغت ٧٦٣٤ فداناً (١١,٢١٪) ، ٧١٤٤ فداناً (١٠,٤٩٪) ، ٢١٧١ فداناً (٣,١٨٪) على الترتيب . أما باقى مساحة البوار وقدرها ٦٨٦ فداناً وهو ما يكون ١,٠٣٪ من اجمالى مساحة البوار فتتوزع على سبع نواحى أخرى يوضحها الجدول السابق ، ويقوم الأهالى وخاصة فى ناحية ادكو بزراعة بعض المساحات من الأراضى البوار زراعة واحدة فى السنة بحد أقصى خمسة آلاف فدان أى ما يعادل ٧,٣٤٪ من اجمالى مساحة البوار فى المركز .

— تكون مساحة المنافع العامة فى ادكو أكبر مساحة منافع عامة فى ناحية واحدة حيث تبلغ ١٠١٥ فداناً وهو ما يعادل ٢٧,٢٨٪ من اجمالى

مساحة المنافع العامة فى المركز ، وقد ساعد على ذلك الامتداد العمرانى الكبير لبلدة ادكو التى يوجد بها أكبر تجمع سكانى فى المركز إذ يبلغ عدد سكانها ٤٢٢٣٩ نسمة وهو ما يكون ٢٩,٩٪ من اجمالى سكان مركز رشيد البالغ عددهم ١٤١١٨٠ نسمة حسب تعداد عام ١٩٦٦ .

ويأتى فى المرتبة الثانية ناحية رشيد حيث تبلغ مساحة المنافع العامة بها ٣٥٥ فداناً وهو ما يعادل ٩,٥٤٪ من جملة مساحة المنافع العامة فى المركز ومرد ذلك اتساع مدينة رشيد ، وانتشار المحلات العمرانية فى الناحية .

— اتساع مساحة الأراضى المزروعة بشكل ملحوظ فى النواحى ادكو الساحل ، الجدية ، رشيد ، الكوم حيث تكون ١٦,٨٨٪ ، ٩,٣٣٪ ، ٨,٢٦٪ ، ٨,٠٩٪ ، ٦,٦٦٪ من اجمالى مساحة الأراضى المزروعة فى المركز على الترتيب ، وبذا فان الأراضى الزراعية فى هذه النواحى الخمس تبلغ مساحتها ١٥٢٣٥ فداناً أى حوالى ٤٩,٢٢٪ من اجمالى مساحة الزمام المزروع فى مركز رشيد ، وقد ساعد على ذلك اما عظم مساحة الزمام كما هو الحال بالنسبة لنواحى ادكو ، الجدية ، رشيد ، الساحل ، أو لعدم وجود مساحات بوار مما عمل على اتساع الزمام المزروع كما هو الحال فى ناحية الكوم . أما باقى الزمام المزروع فيتوزع على باقى نواحى المركز التى يوضحها الجدول التالى الذى يبين توزيع الزمام المزروع فى نواحى مركز رشيد (١) :

مسلسل	الناحية	الزمام المزروع المساحة (بالفدان)	الزمام المزروع ٪	مسلسل	الناحية	الزمام المزروع المساحة (بالفدان)	الزمام المزروع ٪
١	ادكو	٥٢٢٥	١٦,٨٨	١١	منشية علوان	١٢٩٥	٤,١٩
٢	الساحل	٢٥٥٧	٩,٣٣	١٢	التفتيش	١٢٤٩	٤,٠٤
٣	الجدية	٢٥٠٤	٨,٢٦	١٣	محلة الأمير	١١٦٩	٣,٧٨
٤	رشيد	٢٨٨٩	٨,٠٩	١٤	ديبى	١٠٩١	٣,٥٣
٥	الكوم	٢٠٦٠	٦,٦٦	١٥	الحماد	٩٩٣	٣,٢١
٦	الجديدة	١٧٧٣	٥,٧٣	١٦	العامرية الغربية	٦٤٢	٢,٠٨
٧	العامرية الشرقية	١٧٥٣	٥,٦٧	١٧	الشماشمه	٣٧٥	١,٢١
٨	الملقة	١٧٣٩	٥,٦٢	١٨	ادفينا	٣٠٣	٠,٩٨
٩	سيدى عمر	١٧٣٧	٥,٦١				
١٠	برج رشيد	١٦١٦	٥,١٣		الجملة	٣٠٩٧٠	١٠٠,٠٠

(١) الجدول من حساب الباحث

يلاحظ اتساع مساحة الزمام المزروع كلما بعدنا عن الجهات الشمالية والغربية من المركز (شكل رقم ٢) وهى جهات معظمها اما أراضى بوروكثبان رملية أو مسطحات مائية ، ويمكن تقسيم نواحى مركز رشيد الثمانية عشر حسب نسبة الزمام المزروع إلى جملة مساحة كل منها إلى ثلاث مجموعات : (شكل رقم ٣) .

المجموعة الأولى : نواح تستغل مساحة صغيرة من أراضيها فى الزراعة

وهى النواحى التى تقل نسبة الزمام المزروع بها عن ٧٠٪ من جملة مساحتها ، وتشمل ادكو (٩,٢١٪) ، الجدية (٢٤,٦٣٪) ، رشيد (٢٥,٠٣٪) ، برج رشيد (٤٠,٧٥٪) ، الحماد (٦٦,٣٧٪) ، وقد عمل على انخفاض نسبة مساحة الأراضى الزراعية اما انتشار الأراضى والكثبان الرملية كما هو الحال فى نواحى برج رشيد ، رشيد ، الجدية ، الحماد ، أو اتساع المسطحات المائية التى تتخلل أراضى الناحية كما هو الحال بالنسبة لادكو التى تضم داخل حدودها بحيرة ادكو مما عمل على اتساع مساحة البوار بها حتى بلغت ٥٠٤٤٣ فداناً أى حوالى ٧٤,٠٩٪ من جملة مساحة البوار فى المركز كما سبق أن ذكرنا .

المجموعة الثانية : نواح تستغل مساحة كبيرة من أراضيها فى الزراعة :

تضم هذه المجموعة النواحى التى تتراوح نسبة الزمام المزروع بها بين ٧٠ — ٩٠٪ من جملة مساحتها وهى الجديدة (٨٩,٧٧٪) ، ديبى (٨٨,٥٥٪) ادفينا (٨٦,٣٢٪) ، منشية علوان (٨٥,١٤٪) ،الساحل (٨٤,٥٩٪) ، التفتيش (٨٤,١٦٪) ، ويرجع ارتفاع نسبة الزمام المزروع فى نواحى هذه المجموعة إلى عدة عوامل أهمها خصوبة معظم أراضيها الزراعية ، وقلة المساحات البوار بها ، وازدحامها بالسكان .

المجموعة الثالثة : نواح تستغل معظم أراضيها فى الزراعة :

وهى النواحى التى تبلغ نسبة الزمام المزروع بها أكثر من ٩٠٪ من جملة مساحتها ، وتضم الشماشمة (٩٤,٤٥٪) ، العامرية الغربية (٩٣,٩٩٪)

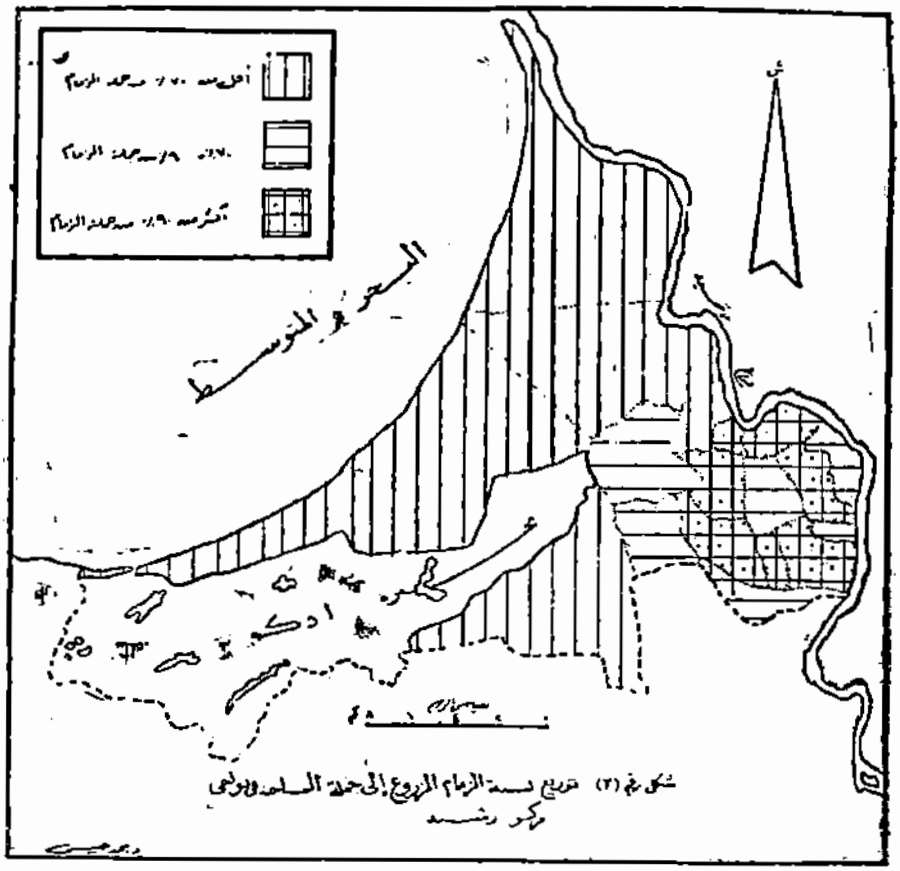

شكل رقم (٢) توزيع نسبة الزمام المزروع إلى جملة المساحة الأولى
مركز رشيد

محلة الأمير «٩٣,٦٦٪) ، الكوم (٩٢,٦٢٪) ، الملقة (٩٢,٦٩٪) ، العامرية الشرقية (٩١,٤٤٪) ، سيدى عمر (٩٠,٥٦٪) ، وتتميز نواحى هذه المجموعة أيضاً بازدحامها بالسكان وخصوبة أراضيها الزراعية وقلة المساحات البوار بها بل أن بعضها نواح تكاد تنعدم فيها المساحات البوار كما هو الحال بالنسبة للكوم وسيدى عمر والملقة ومحلة الأمير والعامرية الغربية والشامية ، لذا ارتفعت نسبة الزمام المزروع بشكل كبير فى نواحى هذه المجموعة ، فاذا أضفنا إلى كل ما سبق البعد النسبى لهذه النواحى عن الجهات الشمالية والغربية حيث تنتشر الكثبان الرملية وتمتد بحيرة ادكو نجد تفسير الاستغلال الانسان لمعظم أراضى هذه النواحى السبع فى الزراعة .

وتعد الظروف المناخية السائدة من العوامل الطبيعية التى تؤثر بشكل مباشر فى الانتاج الزراعى بأى منطقة إذ تساعد على نجاح أو فشل المحاصيل الزراعية ، كما تؤثر فى متوسط انتاجية الفدان من المحاصيل المختلفة ، وتعتبر درجة الحرارة من أهم العناصر المناخية المؤثرة فى الانتاج الزراعى ففى مركز رشيد يلاحظ أن متوسط درجة الحرارة يبلغ فى شهر يوليو ٢٦,٢° م ، بينما يبلغ فى يناير ١٤,٧°م ، وهذا يعنى أن درجة الحرارة لا تنخفض إلى الدرجة التى تؤدى إلى الأضرار بالمحاصيل إلا فى حالات نادرة كما حدث فى شتاء عام ١٩٧٣ بدليل أن الحد الأدنى لدرجة الحرارة لا يتعدى ١١,٣°م فى يناير وهو أقل شهور السنة حرارة فى مركز رشيد كما أن درجة الحرارة لا ترتفع إلى الدرجة التى تهدد بذبول المحاصيل إذ لا يتعدى الحد الاقصى لدرجة الحرارة ٣٠,٢°م فى أغطس وهو أكثر شهور السنة حرارة فى المركز . ولقد كان للاختلافات الفصلية لدرجة الحرارة أثر مباشر فى تقسيم السنة الزراعية إلى ثلاثة فصول زراعية مميزة هى الموسم الشتوى والموسم الصيفى والموسم النيلى الذى يمكن أن نطلق عليه اسم الموسم الصيفى المتأخر .

كما كان لارتفاع نسبة الرياح الهابة من الشمال والشمال الغربى والغرب حيث تبلغ ١٢,١٪ ، ٢٧,٣٪ ، ١٣,٠٪ من مجموع الرياح الهابة على

المركز من الجهات المختلفة على الترتيب أثر فى انتشار مصدات الرياح وخاصة فى نواحى برج رشيد ورشيد والجدية وادكو لتحمى الحقول الزراعية من ذرات الرمال التى تحملها الرياح الآتية من الجهات المذكورة لانتشار الأراضى والكثبان الرملية فى الجهات الشمالية والغربية من المركز، أما كمية الأمطار السنوية التى تسقط على مركز رشيد فهى قليلة إذ لا تتعدى ١٦٠ مم لذلك يعتمد أساساً على مياه الرى فى الزراعة ، ومع ذلك فان مياه الأمطار تساعد على استزراع مساحات من الكثبان الرملية تتباين من عام لآخر تبعاً لكمية الأمطار وهى عموماً لا تتعدى ٥ آلاف فدان فى السنة كما سبق أن أشرنا .

ويمكن تقسيم أراضى مركز رشيد حسب نوع التربة إلى خمسة قطاعات رئيسية (شكل رقم ٤) :

النطاق الأول : يشمل الأراضى ذات التربة الطينية الخفيفة ثقيلة النسيج فى طول القطاع (حفرت قطاعات التربة لعمق يتراوح بين ١٥٠ — ٢٠٠ سم من سطح الأرض) ، وتنتشر هذه التربة فى نواحى الشماسمه ، محلة الأمير ، ادفينا ، دبى ، الملقة ، التفتيش ، الساحل ، الجديدة ، العامرية الشرقية ، العامرية الغربية ، الكوم ، منشية علوان ، سيدى عمر أى تنتشر هذه التربة فى معظم الأجزاء الشرقية والجنوبية الشرقية من المركز وهى مندمجة البناء لذا تتسم ببطىء نفاذيتها للماء ، ويغلب عليها اللون البنى الداكن لارتفاع نسبة كل من المواد العضوية والطين إذ تتراوح نسبة الطين بين ٥٠ — ٨٠٪ ، بينما تتراوح نسبة السلت بين ٢٠—٣٠٪ ، ونسبة الرمل الناعم بين ٦—١٥ ٪ ، ونسبة الرمل الخشن بين ٠١ ر— ٢(١) أما كربونات الكالسيوم فتتراوح نسبتها فى الطبقة السطحية من التربة بين ١— ٣,٥٪ .

---

(١) تتراوح اقطار حبيبات الرمل الناعم بين ٢ر٠ — ٠٢ر من الملليمتر ، بينما تتراوح أقطار حبيبات الرمل الخشن بين ٢ ر ٠ — ٢ ملليمترا .

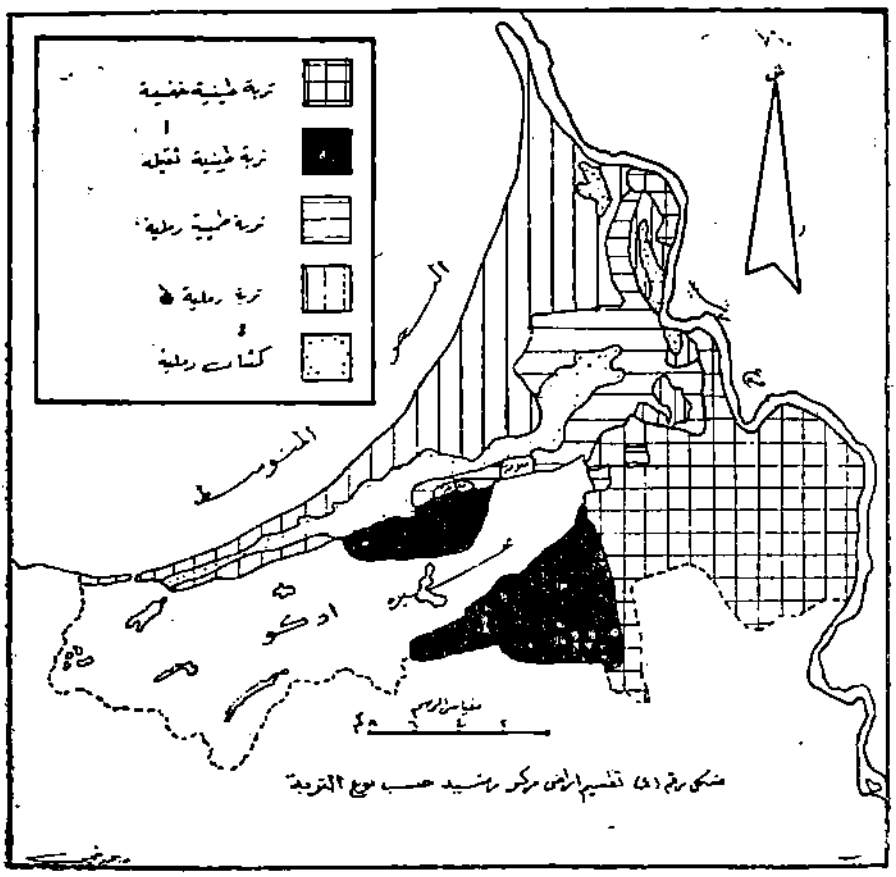

شكل رقم (١) تقسيم الأرض مركز رشيد حسب نوع التربة

النطاق الثانى : يضم الأراضى ذات التربة الطينية الثقيلة التى تتميز بثقل نسيجها فى طول القطاع ، وأحياناً تكون الطبقة السطحية عبارة عن تربة طينية خفيفة فى بعض القطاعات وخاصة فى الأراضى التى استزرعت حديثاً نتيجة لعمليات الخدمة الزراعية ، وتنتشر هذه التربة فى ناحية ادكو ، وهى مندمجة البناء جداً لذا فهى بطيئة جداً فى نفاذيتها للماء ، ويغلب عليها اللون الأسود لارتفاع نسبة المواد العضوية ، وارتفاع نسبة الطين التى تتراوح بين ٦٠ — ٨٠٪ بينما تبلغ نسبة السلت ٢٠٪ ، ونسبة الرمل الناعم ١٢٪ ، والرمل الخشن ٠,٠٢٪ ، وتتراوح نسبة كربونات الكالسيوم بين ٣ — ٧٪ وهى تنتشر فى شكل جيوب تتركز بصفة خاصة فى الطبقة السطحية للتربة .

النطاق الثالث : يشمل الأراضى ذات التربة الطميية الرملية خفيفة النسيج فى طول القطاع ، وينتشر هذا النوع من التربة فى نواحى رشيد والجدية والحماد وادكو ، وهى تربة متماسكة البناء أحياناً ومفككة ذات بناء محبب أحياناً أخرى ، لذا فهى متوسطة النفاذية للماء ، ويغلب عليها اللون الأسمر الفاتح لانخفاض نسبة الطين التى تتراوح بين ١٥ — ٢٥٪ ، بينما تتراوح نسبة السلت بين ١٠—٢٠٪ ، والرمل الناعم بين ٣٠ — ٤٠٪ ، والرمل الخشن بين ٣٠ — ٤٠٪ ، فى حين تتراوح نسبة كربونات الكالسيوم بين ٠,٥ — ٢٪ .

النطاق الرابع : يضم الأراضى ذات التربة الرملية التى تنتشر فى الأجزاء الشمالية من ناحية ادكو ، وفى اجزاء متفرقة بناحتى رشيد والجدية ، والتربة هنا عميقة القطاع ذات نسيج خفيف جداً ، لذا فهى سريعة النفاذية للماء ، ويغلب عليها اللون الأصفر لارتفاع نسبة الرمل الذى تتراوح نسبة الناعم منه بين ٣٥ — ٦٠٪ بينما تبلغ نسبة الرمل الخشن حوالى ٤٠٪ ، فى حين تنخفض نسبة الطين إذ تتراوح بين ٠,١ — ٨,٥٪ أما السلت فتتراوح نسبته بين ١ — ٧,٥٪ ، ولا تتعدى نسبة كربونات الكالسيوم ١٪ .

النطاق الخامس : يشمل الأراضى التى تنتشر بها الكثبان الرملية فى نواحى برج رشيد ورشيد وادكو والجدية ، وتتراوح منسوب هذه

الكثبان بين ١ — ١٥ متراً فوق منسوب سطح البحر ، وهى منقولة بفعل الرياح ، ويسودها الرمال المفككة لذا فهى كثبان متحركة يغلب عليها اللون الأصفر الفاتح ، وترتفع نسبة الرمل الناعم حيث تصل إلى ٩٠٪ ، لذلك فهى تربة سريعة النفاذية للماء ، وتتراوح نسبة الرمل الخشن بها بين ٧ — ٢٠٪ ، وكربونات الكالسيوم بين ٠,١ — ٤٪ وتنخفض نسبة الطين فى تربة هذا النطاق بشكل كبير إذ لا تتعدى ٥٪ .

وترتفع نسبة الأملاح الذائبة فى تربة عدد كبير من الأحواض الزراعية وخاصة فى نواحى ادكو ورشيد والجدية حيث تبلغ درجة التوصيل الكهربائى أكثر من ١٦ ملليموس سم ٣ (١) ويرجع ذلك إلى عدة أسباب نذكر منها :

— انخفاض منسوب سطح التربة فى بعض الأحواض الزراعية وخاصة فى ناحية ادكو وهى فى معظمها اما أراضى بور أو أراضى مجففة من بحيرة ادكو تفتقر إلى شبكة جيدة من المصارف الحقلية .

— ارتفاع منسوب الماء الأرضى فى معظم جهات المركز مع ارتفاع نسبة الاملاح فى الماء الأرضى .

— ضعف شبكة المصارف الحقلية وخاصة فى نواحى الملقة والساحل والجديدة .

— يرجع ارتفاع نسبة الاملاح الذائبة فى الأجزاء الشمالية من المركز إلى انخفاض منسوبها ومجاورتها للبحر المتوسط الذى يغمر مساحات منها فى أوقات معينة من السنة .

---

(١) تقاس نسبة الإملاح الذائبة فى التربة بقياس درجة التوصيل الكهربائى فى عينات من التربة مشبعة بالماء فى درجة حرارة ٢٥ درجة مئوية محسوبة بالملليموس ، ويدل ارتفاع درجة التوصيل الكهربائى على زيادة نسبة الأملاح الذائبة فى التربة والعكس صحيح .

ونتيجة للارتفاع الكبير لنسبة الصوديوم مع انخفاض نسبة الكالسيوم فى تربة بعض الأحواض الزراعية فقد تحولت إلى أراضى قلوية ، وتحتاج مثل هذه الأحواض إلى كميات كبيرة من الجبس الزراعى تضاف للطبقة السطحية للتربة لتحسين خواصها الكيميائية والطبيعية وخاصة فى نواحى ادكو ، الجديدة ، رشيد ، الجدية ، الحماد ، سيدى عمر ، الساحل ، الكوم التفتيش ، منشية علوان ، وتتراوح كمية الجبس الزراعى المطلوبة للفدان بين طن وأكثر من عشرة أطنان .

وتنخفض نسبة العناصر السمادية اللازمة لغذاء المحاصيل الزراعية فى التربة بمركز رشيد ، وتشمل هذه العناصر الآزوت والفوسفور والبوتاسيوم فتتراوح نسبة الآزوت بين ٢٢ جزء فى المليون (فى الحماد) ، ١٢٠,٤٠ جزء فى المليون (فى ديبى والتفتيش) ، بينما تتراوح نسبة الفوسفور بين ٠,١٢ جزء فى المليون (فى الشماشمة) ، ١١,٢٠ جزء فى المليون (فى الساحل) أما البوتاسيوم فتتراوح نسبته بين ٠,١ ملليمكافىء ٪ لتر فى محلة الأمير ، ١٧,٥ ملليمكافىء / لتر فى الساحل ، كما اثبت التحليل الكيميائى للعينات التى جمعت من نواحى المركز انخفاض النسبة المئوية للمادة العضوية فى التربة بصفة عامة حيث تتراوح بين ٠,٢٦٪ فى الجدية ، ٣,٥٠٪ فى ديبى ، لذا يجب الاهتمام بتسميد الأراضى بالأسمدة العضوية والآزوتية لرفع نسبة الآزوت والمادة العضوية فى التربة وحفظ العناصر السمادية من الضياع مما يساعد على تحسين خواص التربة وزيادة قدرتها الانتاجية من المحاصيل المختلفة .

ويرتفع منسوب الماء الأرضى كلما اتجهنا من الجنوب إلى الشمال ، ومن الشرق إلى الغرب بصفة عامة إذ يظهر مستوى الماء الأرضى على عمق أبعد من ١٥٠ سم من سطح التربة فى جهات كثيرة من جنوب ادكو وجهات متفرقة من نواحى منشية علوان ، الكوم ، العامرية الشرقية ، ديبى ، الملقة ، التفتيش ، الساحل ، الحماد ، رشيد ، برج رشيد ، فى حين يرتفع منسوب الماء الأرضى ويصل إلى ما بين ١٥٠ — ٨٠ سم من سطح

الترية فى باقى جهات المركز ، وقد ساعد على ارتفاع منسوب الماء الأرضى العوامل التالية :

ـ ضعف شبكة المصارف الحقلية .

ـ انخفاض منسوب سطح الأرض فى جهات كثيرة متفرقة عن منسوب سطح البحر .

ـ ارتفاع منسوب الترع والمصارف فى بعض الجهات عن منسوب الأرض الزراعية مما يؤدى إلى رشح مياهها ، كما هو الحال فى بعض الأحواض الزراعية بنواحى منشية علوان والكوم نظراً لارتفاع منسوب ترعتى فزارة والفاروقية .

وتعتبر ترعة الرشيدية المورد الأساسى للمياه التى تغذى شبكة الرى فى مركز رشيد ، وكان يتم تغذية هذه الترعة من ترعة المحمودية حتى عام ١٩٥٨ لتذبذب مناسيب المياه فى فرع رشيد مما كان يشكل خطورة كبيرة على الأراضى التى تعتمد على ترعة الرشيدية ويزيد من هذه الخطورة أن مدينة رشيد تعتمد أيضاً على هذه الترعة لمدها بمياه الشرب ، ولكن بعد انشاء قناطر ادفينا (بدأ العمل فى انشائها عام ١٩٤٧ ، وتم الحجز عليها لأول مرة عام ١٩٥١) وما تبع ذلك من تغذية الجزء الأخير من فرع رشيد بصفة مستمرة واستقرار منسوب المياه فيه، تم الاستغناء عن ترعة المحمودية كمغذية لترعة الرشيدية التى أصبحت تأخذ مباشرة من فرع رشيد عن طريق ثلاث مغذيات هى :

ـ مغذى حلق الجمل عند الكيلو ١٩٧,٦٠٠ على فرع رشيد ، ويعتمد عليه الجزء الممتد من بداية ترعة الرشيدية حتى الكيلو ١١ من مجراها ، ويوجد هذا المغذى عند الكيلو ٢,٨٨٠ من ترعة الرشيدية (خارج زمام مركز رشيد) .

ـ مغذى فزارة عند الكيلو ٢٠٦,٣٠٠ على فرع رشيد ، ويعتمد

عليه الجزء الممتد من الكيلو ١١ إلى الكيلو ١٦ من مجراها ، ويوجد هذا المغذى عند الكيلو ١١,٤٠٠ من ترعة الرشيدية .

— مغذى دبي عند الكيلو ٢١١ على فرع رشيد ، ويعتمد عليه الجزء الممتد من الكيلو ١٦ حتى نهاية الترعة عند الكيلو ٤١,٨٠٠ ، ويوجد هذا المغذى عند الكيلو ١٥,١٩٠ من ترعة الرشيدية .

وقد تم انشاء محطة طلمبات الرشيدية لتغذية ترعة الرشيدية وخاصة من الكيلو ١٦ من مجراها حتى نهايتها عن طريق الرفع وذلك فى حالة انخفاض منسوب المياه فى فرع رشيد عن المناسيب اللازمة لمد المغذيات الثلاث السابق عرضها ، وبعد انشاء السد العالى أوقف العمل بالمغذيات المذكورة بعد أن أمكن تثبيت منسوب المياه فى الجزء الأدنى من فرع رشيد إذ يحتفظ بطلمبات دبي (بها ثلاث وحدات لرفع المياه ، تصرف كل منها ٢,٥ متر مكعب/ ثانية) كمغذى للرشيدية فى حالة انخفاض منسوب المياه فى الجزء الأدنى من فرع رشيد .

والشكل رقم ٥ يوضح الترع الرئيسية التى تأخذ من الرشيدية لتمد الأراضى الزراعية فى المركز بحاجتها من مياه الرى ، ويتبع نظام خاص فى توزيع المياه يعرف بمناوبات الرى التى تهدف أساساً إلى ضمان عدالة توزيع المياه على الزراعات المختلفة ووصولها بالكميات الكافية وفى الأوقات المناسبة للمحاصيل المختلفة دون اسراف فى استغلالها ، وتنقسم مناوبات الرى فى المركز إلى أربع مناوبات نعرضها فيما يلى :

— المناوبة الشتوية :

تبدأ من ٢٨ نوفمبر إلى ١٥ مارس ، ويتخللها فترة السدة الشتوية ومدتها ٣٧ يوماً ، ويكون نظام تشغيل الترع خلالها كالآتى :

— ٣ أيام قفل جزئى .
— ٣١ يوماً قفل كلى
— ٣ أيام فتح جزئى .

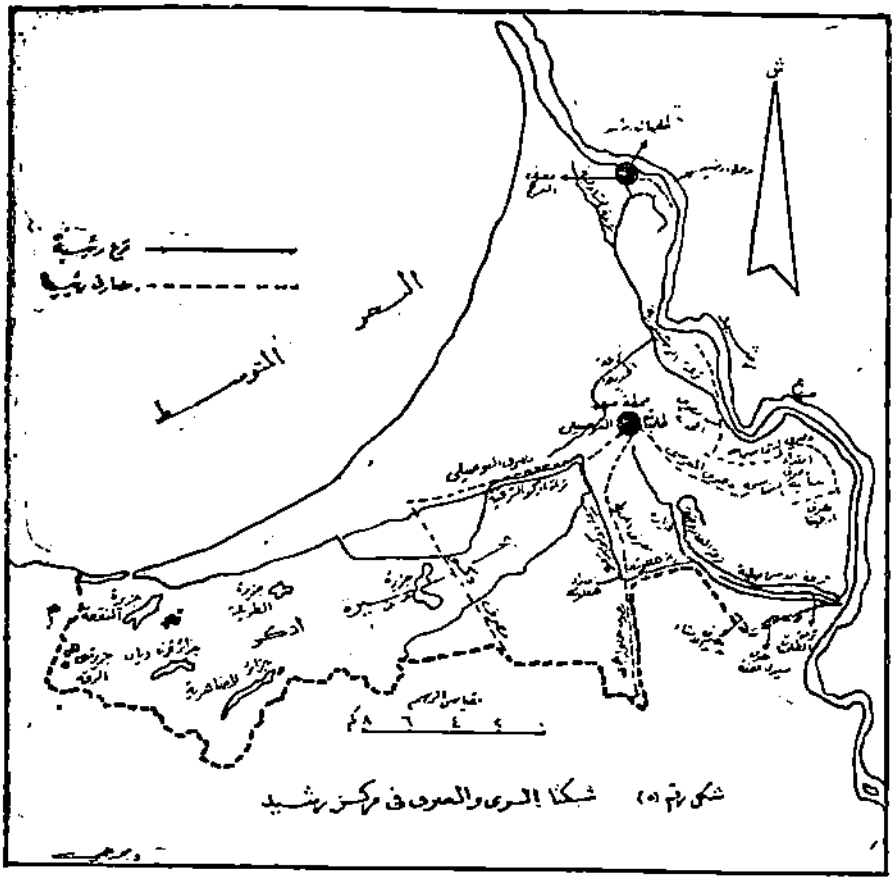

شكل رقم (٥) شبكة الري والصرف في مركز رشيد

ويكون نظام المناوبة قبل السدة الشتوية ٨ أيام ادارة ، ١٦ يوم بطالة ، بينما يتغير هذا النظام بعد السدة الشتوية ويصبح ٦ أيام ادارة ، ١٢ يوم بطالة .

ـ المناوبة الربيعية :

تبدأ من ١٥ مارس إلى ١٠ مايو ، ويكون نظام هذه المناوبة خمسة أيام ادارة ، عشرة أيام بطالة .

ـ المناوبة الصيفية :

تبدأ من ١٠ مايو إلى ٢٥ أغسطس ، وخلال هذه الفترة تزداد حاجة المحاصيل وخاصة الارز لمياه الرى لذا يصبح نظام المناوبة أربعة أيام ادارة وأربعة أيام بطالة .

ـ المناوبة النيلية :

تبدأ من ٢٥ أغسطس إلى ٢٨ نوفمبر ، ويمكن تقسيم هذه المناوبة إلى مرحلتين ، الأولى تبدأ من ٢٥ أغسطس إلى ١٨ اكتوبر ، ويكون نظام تشغيل الترع خلالها خمسة أيام ادارة ، خمسة أيام بطالة ، أما المرحلة الثانية فتمتد من ١٨ اكتوبر إلى ٢٨ نوفمبر ، وفيها تقل حاجة الأراضى الزراعية لمياه الرى ، لذا يصبح نظام المناوبة خلالها خمسة أيام ادارة ، عشرة أيام بطالة .

وقد لمس الباحث خلال الدراسات الميدانية التى قام بها فى المركز بعض المشاكل المتعلقة بالرى ، أهمها تعرض ترعتى الشاذلية وادكو وخاصة الأولى لسفى الرمال ، وتساقط ذرات الرمال على جانبى الترعة مما يقلل من قدرتها على تصريف مياه الرى اللازمة لزمامها الزراعى ، وفى ذلك خطورة كبيرة على المحاصيل المزروعة ، لذا يرى الباحث ضرورة تبطين جانبى الترعة أو تشجير جسورها ، وفى هذه الحالة تشكل الأشجار حاجزاً يحمى الترعة من سفى الرمال .

وتعانى ترعة الرشيدية من مشكلة نمو النباتات المائية بها مما يعوق حركة

المياه بها وخاصة فى الجزء الأخير من مجراها الممتد من الكيلو١٥ إلى نهاية الترعة ، وهذا يهدد بجفاف هذا الجزء من الترعة ، ولا يخفى علينا خطورة ذلك على الأراضى الزراعية الواقعة عند نهاية هذه الترعة الحيوية ، ومما يزيد من هذه المشكلة أنه يوجد عند نهاية الرشيدية برابخ تنتهى إلى الجزء الأخير من فرع رشيد الذى يتميز بارتفاع نسبة الاملاح الذائبة فى مياهه (مياه البحر المتوسط) ويؤدى عدم وصول المياه إلى الجزء الأخير من ترعة الرشيدية بكميات كبيرة إلى تسرب المياه المالحة عن طريق هذه البرابخ إلى ترعة الرشيدية ومنها إلى الأراضى الزراعية مما يضعف من قدرتها الانتاجية .

وجدير بالذكر أن الأهالى قاموا بحفر ترعة تعرف باسم ترعة وصلة البوصيلى لتروى مساحة تقدر بحوالى ١٠٠٠ فدان قام الأهالى بتجفيفها واستصلاحها على نفقتهم الخاصة .. وهى أراضى غير مقرر ريها لذلك يقوم الأهالى بتغذية الترعة التى حفروها من مصرف طرد البوصيلى ، وهى مياه ترتفع بها نسبة الأملاح الذائبة بطبيعة الحال ، لذا يرى الباحث ضرورة مساعدة الأهالى فى رى مثل هذه المساحات بمياه عذبة حتى ترتفع قدرتها الانتاجية!.

وفيما يتعلق بالصرف فالشكل رقم ٥ يوضح شبكة المصارف الرئيسية وعموماً يمكن تقسيم مركز رشيد حسب مدى كفاية الصرف إلى ثلاثة نطاقات رئيسية : (شكل رقم ٦) .

النطاق الأول :

يشمل الأراضى التى تتمتع بوجود شبكة من المصارف الحقلية والمجمعة والرئيسية ذات كفاءة عالية ، لذا تتميز مثل هذه الأراضى بانخفاض منسوب الماء الأرضى بها بصفة عامة إلى ١٥٠ سم من سطح التربة ، ويمتد هذا النطاق فى نواحى سيدى عمر والتفتيش والكوم .

النطاق الثانى :

يضم الأراضى التى تفتقر إلى شبكة جيدة من المصارف الحقلية ،

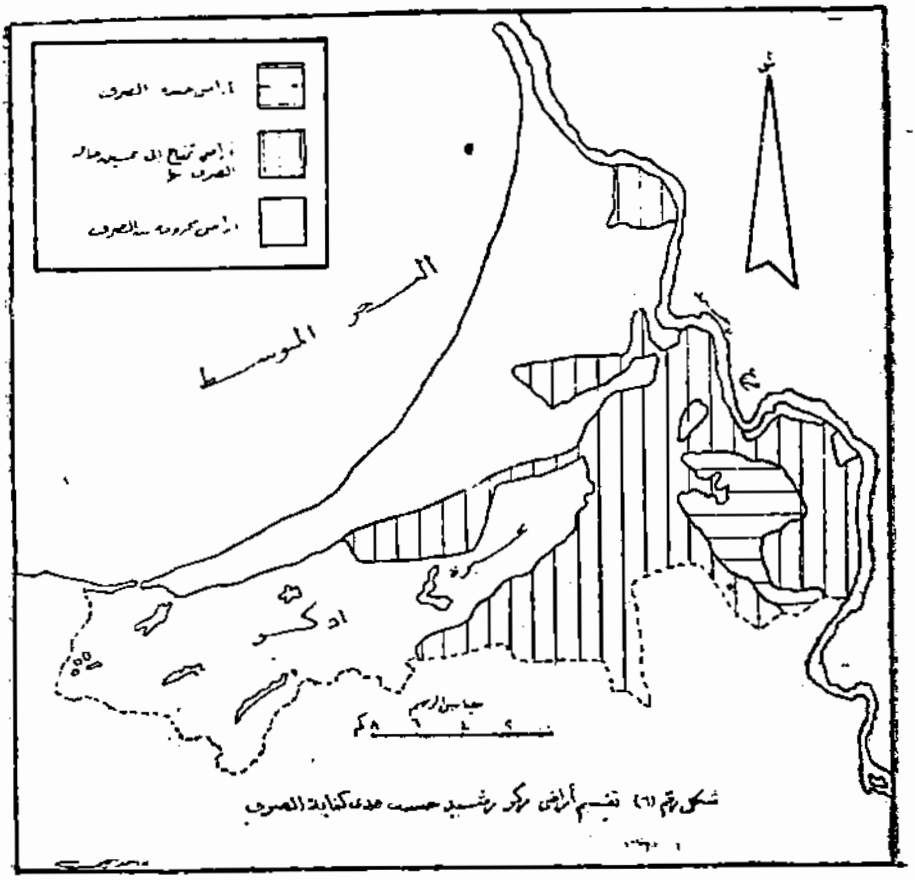

شكل رقم (٦) تقسيم أراضي مركز رشيد حسب عدد كتابة العقود

والتى تحتاج المصارف المجمعة والرئيسية بها إلى عمليات تطهير فقدنتج عن سوء حالة معظم المصارف بها وعدم اتصال أغلب مصارفها الحقلية والمجمعة بالمصارف الرئيسية إلى ارتفاع منسوب الماء الأرضى إلى عمق أقل من ١٥٠ سم من سطح التربة ، وينتشر هذا النطاق فى جنوب ادكو ، ونواحى الساحل الجديدة ، العامرية الغربية ، العامرية الشرقية ، ديبى ، محلة الأمير ، الحماد الجدية . ويجب على المسئولين الاهتمام بتوصيل شبكة المصارف الحقلية والمجمعة بالمصارف الرئيسية ، وتطهير شبكة المصارف المجمعة فى أراضى هذا النطاق وتعميقها ، مع تقوية شبكة المصارف الحقلية وتضييق المسافات بينها ، لأن أراضى هذا النطاق معظمها طينية ثقيلة النسيج مندمجة البناء شديدة التماسك .

النطاق الثالث :

يشمل الأراضى المحرومة من الصرف ، ويتمثل هذا النطاق فى مساحات متفرقة صغيرة بنواحى الجدية ، الحماد ، الشماشمه ، محلة الأمير ، ديبى ، بالاضافة إلى نطاق كبير المساحة فى شمال المركز يمتد بين ساحل البحر المتوسط ، وخط سكة حديد رشيد / الاسكندرية ، ولنجاح الزراعة فى أراضى هذا النطاق ورفع قدرتها الانتاجية يجب الاهتمام بانشاء شبكة جيدة من المصارف بمقاييسها المختلفة وخصوصاً أنها تتسم بارتفاع نسبة الأملاح الذائبة فى الماء الأرضى بها لانخفاض منسوبها ومجاورتها للبحر المتوسط وبحيرة ادكو .

ولقد تغير هيكل الملكية الزراعية فى مركز رشيد بشكل واضح بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، فقبل هذا التاريخ كانت تنتشر الملكيات الزراعية الكبيرة فى المركز شأنه فى ذلك شأن كل جهات مصر ، إذ كان الملك السابق وأعوانه من كبار الملاك يمتلكون مساحات فى المركز تقدر بحوالى ١٧٣٦٤ فدان وهو مايكون ١٦,٨٪ من اجمالى مساحة مركز رشيد البالغة ١٠٢٧٨٦(١) وتمثل هذه المساحة المملوكة لكبار الملاك زمامات

(١) يرجع انخفاض نسبة الأراضى التى كان يمتلكها كبار الملاك إلى جملة مساحة المركز (١٦ر٨٪) إلى أن معظم أراضى المركز كانت غير مملوكة للأهالى بل كانت ملكا للدولة .. وكانت هذه الأراضى تتمثل فى المساحات البوار والمساحات التى تشغلها الكثبان الرملية وبحيرة ادكو؛ فإذا استبعدت هذه المساحات ترتفع نسبة الأراضى التى كان يمتلكها كبار الملاك إلى حوالى ٧٥٪ من مساحة المركز .

نواحى بأكملها تقريباً .. هذه النواحى هى الملقة ، التفتيش ، سيدى عمر ، الساحل ، الجديدة ، الكوم ، ادفينا ، العامرية الشرقية ، العامرية الغربية ، منشية علوان أى أن كبار الملاك كانوا يمتلكون أخصب الأراضى الزراعية فى مركز رشيد .

ولكن بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو وصدور قوانين الاصلاح الزراعى تغير الهيكل العام للملكية الزراعية فى المركز حيث تم القضاء على الملكيات الزراعية الكبيرة ، وقامت الدولة بالاستيلاء على الأراضى الزائدة عن الحد الأقصى للملكية الزراعية للشخص الواحد مع تعويض أصحابها مادياً ، كما تم توزيع معظم هذه الأراضى المستولى عليها على صغار المزارعين والمعدمين بحيث تملك كل منتفع قطعه من الأرض تتراوح مساحتها بين ٢ — ٥ أفدنه حسب درجة خصوبة التربة مما أدى فى النهاية إلى انتشار الملكيات الصغيرة التى عملت على ارتفاع مستوى معيشة السواد الأعظم من المزارعين فى مركز رشيد .

وقد ساعد على ازدياد عدد الملاك الزراعيين فى المركز أن الدولة عمدت إلى توزيع الأراضى التى تم استصلاحها واستزراعها على صغار المزارعين ، ففى منطقة البوصيلى بلغ عدد المنتفعين بأراضيها ٣٦٨ منتفعاً وزع على كل منهم مساحة تتراوح بين ٣—٣,٥ فدان ، وقد تم تهجير معظم المنتفعين بالمنطقة من نواحى مركز رشيد وخاصة من منشية علوان ومحلة الأمير وادفينا وديبى والجدية التى تقع منطقة البوصيلى داخل زمامها ، أما منطقة أدكو البالغ مساحتها ٢٧٠٠ فدان فقد تم توزيع معظمها على ٥٧٠ منتفعاً من سكان ادكو ، وكان الهدف من هذا المشروع ايجاد مورد رزق جديد لسكان المنطقة بعد انتشار البطالة بينهم نتيجة لضعف انتاج الصيد وبوار صناعة الحرير ، وهما الحرفتين الرئيسيتين لسكان هذه المنطقة ، أما منطقة حلق الجمل فقد وزعت الأراضى الداخلة فى زمام المركز منها على حوالى ١٣٠ منتفعاً منهم عشر منتفعين من سكان مركز رشيد ، والباقى تم تهجيرهم من بعض مراكز محافظة البحيرة ، ومحافظات المنوفية ، كفر الشيخ ، الغربية .

يتضح مما سبق أن صدور قوانين الاصلاح الزراعى وتوزيع الأراضى المستولى عليها والأراضى المستصلحة على صغار المزارعين والمعدمين .. كلها عوامل أدت إلى اختفاء الملكيات الزراعية الضخمة وانتشار الملكيات الصغيرة والمتوسطة (١) .

ومن الأهمية بمكان معرفة تطور نصيب الفرد من الأراضى الزراعية فى مركز رشيد لتتضح لنا مدى العلاقة بين الانسان والأرض وخاصة أن الزراعة تمثل هنا أهم حرف السكان ، لذا كان من الضرورى معرفة مدى التوازن بين عدد السكان ومساحة الزمام المزروع ، فبينما كان عدد سكان مركز رشيد ١١٩٣٠٠ نسمة عام ١٩٦٠ قفز عام ١٩٦٦ وأصبح ١٤١١٨٠ نسمة ، أى أن اجمالى عدد سكان المركز قد زاد بنحو ١٨,٣٪ فى الفترة بين عامى ١٩٦٠/١٩٦٦ ، بينما لم تتسع مساحة الأراضى الزراعية بأكثر من ٧,٥٪ ، والمساحة المحصولية بحوالى ١٥٪ . وقد نتج عن ذلك انخفاض نصيب الفرد من الأراضى الزراعية فبعد أن كان نصيب الفرد ٠,٢٤ فداناً عام ١٩٦٠ أصبح ٠,٢١ فداناً عام ١٩٦٦ (٢) ويتوقع استمرار انخفاض نصيب الفرد من الأراضى الزراعية نتيجة للازدياد المضطرد لعدد السكان فى الوقت الذى توقفت فيه عمليات الاستصلاح الزراعى بالمركز ، لذا يرى الباحث ضرورة الاهتمام بعمليات تجفيف مساحات جديدة من بحيرة ادكو واستصلاح بعض المساحات البور واستزراعها ثم توزيعها بعد ذلك على صغار المزارعين ، مع ضرورة الاهتمام بالتوسع الرأسى للزراعة ولن يتأتى ذلك الا بتحسين خواص التربة الطبيعية والكيميائية كما سبق أن ذكرنا ونشر وسائل تحديد النسل بين سكان نواحى المركز المختلفة مما يؤدى فى النهاية إلى تخفيف ضغط السكان على الأراضى الزراعية .

---

(١) لم يستطع الباحث الحصول على أى أرقام واحصاءات حديثة ودقيقة عن تفصيل الملكية الزراعية فى نواحى مركز رشيد .

(٢) النسب المئوية الخاصة بتطور كل من عدد السكان ، و مساحة الأراضى الزراعية، والمساحة المحصولية ، ومتوسط نصيب الفرد من الأراضى الزراعية من حساب الباحث .

وتنقسم الأراضى الزراعية فى مركز رشيد إلى ٢٨٢ حوضاً زراعياً وتتشابه أراضى كل حوض فى عدة جوانب أهمها موقعها بالنسبة لطرق المواصلات المختلفة وشبكة الرى بالاضافة إلى درجة خصوبتها .. وتحدد هذه الاعتبارات قيمة الضريبة المفروضة على كل حوض زراعى بقيمة متساوية لكل فدان فيه ، وعلى هذا الأساس تتباين القيمة الايجارية للفدان فى أحواض المركز الزراعية كما يتضح من أرقام الجدول التالى التى تبين متوسط القيمة الايجارية للفدان فى نواحى مركز رشيد (١) :

مسلسل	الناحية	متوسط القيمة الايجارية	مسلسل	الناحية	متوسط القيمة الايجارية
		مليم جنيه			مليم جنيه
١	ادكو	١١,٩٥٦	١١	منشية علوان	١٣,٤٧٥
٢	الجدية	١٧,٠٦٦	١٢	الحماد	١٨,٩٠٠
٣	رشيد	١٦,٨٠٠	١٣	التنفتيش	٤,٦٥٥
٤	برج رشيد	١٥,٤٩٨	١٤	محلة الأمير	١٦,١٧٠
٥	الساحل	١٢,٥١٦	١٥	ديبى	١٦,٢١٩
٦	الكوم (الفاروقية)	١٣,٩٦٥	١٦	العامرية الغربية	١٣,٧٢٠
٧	الجديدة	١١,٢٧٠	١٧	الشماشمه	١٦,٣٣١
٨	سيدى عمر	١٣,٨٢٥	١٨	ادفينا	١٩,٨٤٥
٩	العامرية الشرقية	١٣,٨٨٨			
١٠	الملقة	١٢,٩٨٥		المتوسط العام	١٤,٣٩٣

تبين ارقام الجدول السابق ان المتوسط العام للقيمة الايجارية للفدان ١٤,٣٩٣م ج ،ومع ذلك تتباين هذه القيمة من ناحية لأخرى تبعاً لمدى خصوبة

---

١ – الجدول من اعداد الباحث ، وقد تم اعداده بعد الحصول على الأرقام الدالة على القيمة الضريبية للفدان فى الأحواض الزراعية المختلفة من سجلات مأمورية الضرائب العقارية ، مركز رشيد (أرقام غير منشورة) .

التربة والموقع بالنسبة لطرق المواصلات وشبكة الرى ، وعلى ذلك يمكن تقسيم نواحى مركز رشيد إلى ثلاثة أقسام رئيسية : (شكل رقم ٧) .

القسم الأول : يشمل النواحى التى تقل القيمة الايجارية للفدان بها عن ١٢ جنيهاً مصرياً ، وهى ادكو ، الجديدة ، التفتيش ، وقد عمل على على انخفاض القيمة الايجارية للفدان فى نواحى هذا القسم اما قلة عدد السكان نسبياً ، وضعف خصوبة التربة لارتفاع نسبة الاملاح الدائبة وارتفاع منسوب الماء الأرضى بها كما هو الحال فى ناحيتى ادكو والجديدة ، أو لوقوع معظم الأحواض الزراعية بها عند نهايات الترع والمساقى الرئيسية مما يسبب الكثير من المشاكل المتعلقة بمياه الرى سواء فيما يختص بكمياتها أو بميعاد وصولها إلى الزراعات المختلفة .

القسم الثانى : يضم النواحى التى تتراوح القيمة الايجارية للفدان بها بين ١٢ إلى أقل من ١٥ جنيهاً مصرياً ، وهى الساحل ، الكوم ، سيدى عمر العامرية الشرقية ، الملقة ، منشية علوان ، العامرية الغربية ، أى أن هذا القسم يضم معظم الأحواض الزراعية الواقعة فى جنوب شرق المركز .

القسم الثالث : يشمل النواحى التى تزيد فيها القيمة الايجارية للفدان على ١٥ جنيهاً مصرياً ، وهى الجديدة ، رشيد ، برج رشيد ، الحماد ، محلة الأمير ، ديبى ، الشماسمه ، ادفينا ، ومرد ارتفاع القيمة الايجارية للفدان فى نواحى هذا القسم ازدحامها بالسكان ، وموقعها القريب من خطوط المواصلات ، بالاضافة إلى خصوبة معظم أحواضها الزراعية التى تتمتع بشبكة جيدة من الترع ساعدت على وصول مياه الرى إلى معظم الزراعات بالكميات الكافية وفى الأوقات المناسبة للمحاصيل المختلفة .

ولا توجد دورة زراعية منظمة يلتزم بها المزارعون فى نواحى مركز رشيد ، ويرجع ذلك إلى عدم زراعة القطن فى المركز ، فبعد فشل المحصول عام ١٩٦٧ منعت وزارة الزراعة زراعته بالمركز ، ومرد فشل زراعة القطن هنا ارتفاع منسوب الماء الأرضى فى معظم الأحواض الزراعية

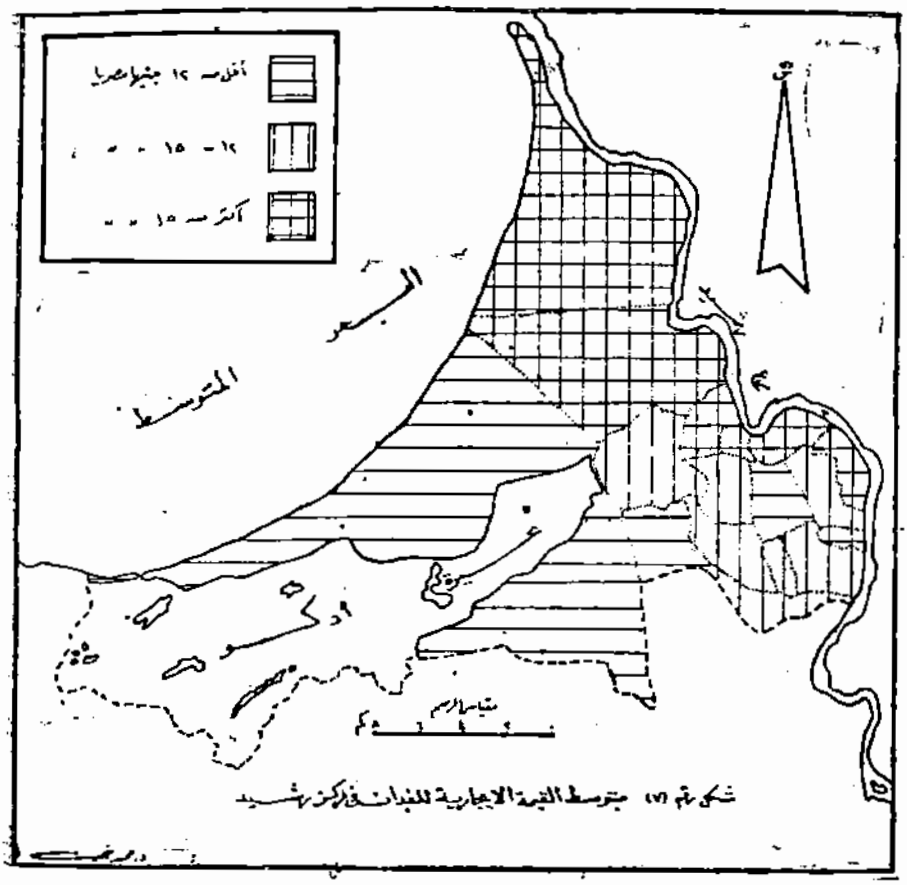

شكل رقم (٧) متوسط القيمة الايجارية للفدان في مركز رشيد

بالمركز مع ارتفاع نسبة الأملاح الذائبة به وخاصة فى الجهات القريبة من البحر المتوسط وبحيرة ادكو ، بالاضافة إلى ارتفاع معدل الرطوبة النسبية التى تبلغ أقصاها خلال الشهور يونيو ، يوليو ، أغسطس حيث تصل إلى ٧٩٪ ، ٨١٪ ، ٧٩٪ على الترتيب ، ويعزى ذلك إلى ازدياد عمليات التبخر نتيجة لارتفاع درجة الحرارة من ناحية ، وازدياد نسبة الرياح الهابة من البحر المتوسط من ناحية أخرى .

وبعتبر الأرز أهم المحاصيل الحقلية الصيفية التى تزرع فى مركز رشيد ، فقد بلغت مساحته عام ١٩٧٢ حوالى ١٥٤١٠ فداناً وهو ما يوازى ٧٠,٧٪ من اجمالى مساحة المحاصيل الصيفية التى بلغت ٢١٧٨٤ فداناً ، وتنتشر زراعة الأرز فى كل نواحى المركز (شكل رقم ٨) ساعد على ذلك انه من المحاصيل التى تستطيع النمو بنجاح فى التربات الضعيفة وخاصة أنه من المحاصيل غير المجهده للأرض ، وتتركز أكبر مساحات الأرز فى ناحية ادكو (حوالى ٩,٧٪) ومرد ذلك ملائمة التربة الطينية هنا لزراعته حيث تساعد على الاحتفاظ بالرطوبة ، كما يمكن عن طريق زراعته تخفض نسبة الأملاح الذائبة فى تربة عدد كبير من الأحواض الزراعية هنا نتيجة لتكرار عمليات الرى التى يحتاج اليها هذا المحصول ، وقد بلغ المتوسط العام لانتاج الفدان ٣,٣٨ ضريبة ومع ذلك فقد ارتفع هذا المتوسط فى النواحى التى تتميز بخصوبة تربتها وبكفاية مياة الرى التى تصل اليها مثل ديبى ، ادفينا ، محلة الأمير ، الشماسمه حيث بلغ ٤ ، ٣,٨٠ ، ٣,٨٠ ، ٣,٨٠ ضريبة على الترتيب .

وتأتى الأذرة الشامية الصيفية بعد الأرز من حيث المساحة ، فقد بلغت مساحتها ٢٦٤٩ فداناً وهو ما يوازى ١٠,٣٪ من اجمالى مساحة المحاصيل الحقلية الصيفية ، وتنتشر زراعتها أيضاً فى كل نواحى المركز نظراً لأهميتها كفيلة غذائية رئيسية للسواد الأعظم من الأهالى ، وتتركز أكبر مساحات الأذرة الشامية الصيفية (٧٢,٦٪) فى النواحى الشرقية والجنوبية الشرقية حيث ترتفع كثافة السكان وتزداد خصوبة التربة وهو ما يناسب هذا المحصول الذى تجود زراعته فى التربات الخصبة ثقيلة النسيج وقد بلغ متوسط انتاج الفدان

١٢,٨٢ أ دبار ، وهو انتاج مرتفع إذا قارناه بمتوسط انتاج الفدان على مستوى الجمهورية الذى بلغ ١١,٥١ أردبا عام ١٩٦٨ .

ولقد زرع القطن خلال هذا الموسم لأول مرة منذ عام ١٩٦٧ حين فشل المحصول وتوقف الأهالى عن زراعته منذ ذلك الحين ، وقد بلغت مساحة القطن خلال الموسم الصيفى عام ١٩٧٢ حوالى ١٥٠٢ فداناً وهو ما يوازى ٦,٩٪ من اجمالى مساحة المحاصيل الحقلية الصيفية ، وقد تركزت حوالى ٨٢,٤٪ من مساحة القطن فى المناطق المستصلحة لاختبار مدى صلاحية الأرض لنموه ، وقد بلغ متوسط انتاج الفدان ٢,٤٣ قنطار ، وهو انتاج ضعيف لارتفاع نسبة الاملاح الذائبة فى تربة معظم الأراضى المزروعة به ، وقد زرع فى نفس الموسم قصب السكر فى مساحة ١٠٣٠ فداناً ، وتكون هذه المساحة حوالى ٤,٧٪ من اجمالى مساحة المحاصيل الحقلية الصيفية ، وتتركز أكبر مساحات القصب (٥٣٪ تقريباً) من نواحى ادفينا محلة الأمير ، ديبى ، الشماشمه حيث تتوافر مياه الرى ، وعموماً لا يلقى هذا المحصول اهتماماً كبيراً من سكان المركز .

وقد بلغت المساحة المزروعة بالدراوة حوالى ٨٢٨ فداناً وهو ما يعادل ٣,٨٪ من اجمالى مساحة المحاصيل الحقلية الصيفية والدراوة من المحاصيل التى تستخدم علفاً أخضر للماشية ، وتنتشر زراعتها فى الأراضى التى ترتفع بها نسبة الأملاح الذائبة حيث تجود زراعتها وخاصة فى الأجزاء القريبة من بحيرة ادكو .

أما الاذرة الشامية النيلية فيزرعها الأهالى فى المركز فى وقت متأخر من الموسم الصيفى حيث تزرع خلال شهر يوليو ، وهى من المحاصيل الحقلية الثانوية إذ لم تتعدى مساحتها ١٢٠ فداناً مثلها فى ذلك مثل السمسم الذى بلغت مساحته ٦٥ فداناً فقط . وقد بلغ متوسط انتاج الفدان من الاذرة الشامية النيلية ٨,١٠ أردباً وهو انتاج مرتفع وخاصة إذا قارناه بمتوسط انتاج الفدان على مستوى الجمهورية الذى بلغ ٧,٦٧ أردباً عام ١٩٦٨ ، أما متوسط انتاج الفدان من السمسم فقد بلغ ١,٢٨ أردباً وهو انتاج ضعيف إذا قورن بمتوسط انتاج الفدان على مستوى الجمهورية الذى بلغ ٣,٣٩ أردباً

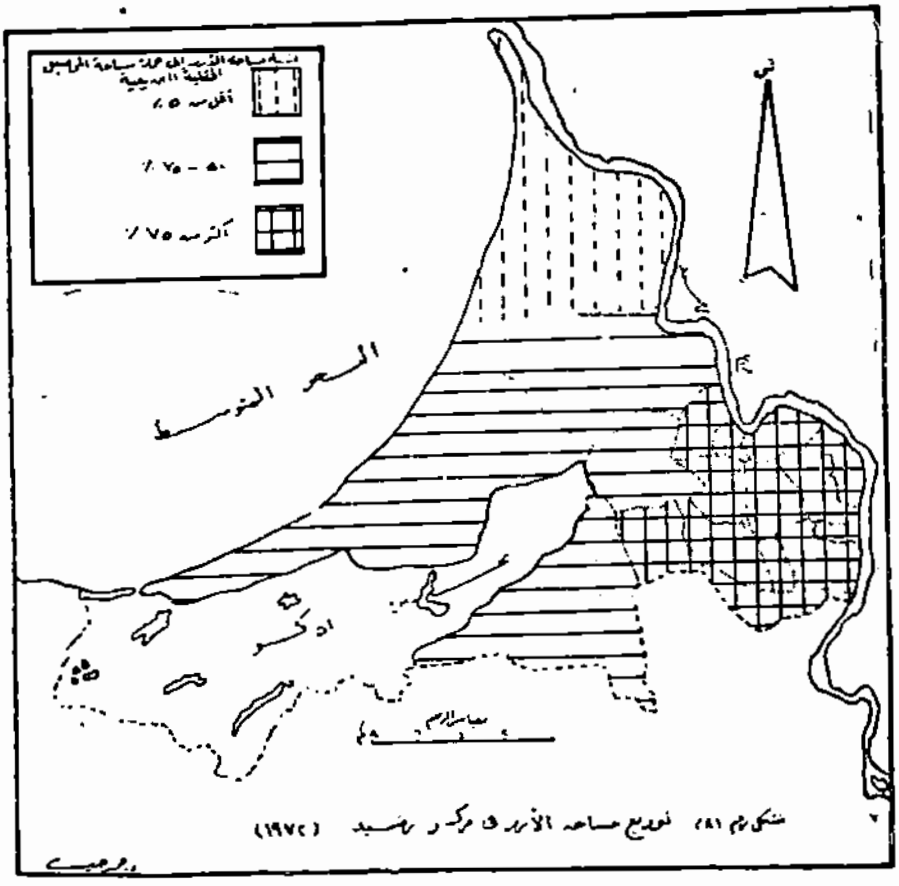

شكل رقم (٨١) توزيع مساحة الأرز في مركز رشيد (١٩٧٠)

ويعد القمح أهم محاصيل الحبوب الشتوية التى تزرع فى مركز رشيد فخلال الموسم الشتوى ١٩٧٣/٧٢ بلغت مساحته ٤٣٢٠ فداناً وهو ما يكون حوالى ١٦,١٪ من اجمالى مساحة المحاصيل الحقلية الشتوية البالغة ٢٦٨٩٧ فداناً ، وقد بلغ المتوسط العام لانتاج الفدان ٥,٨٨ أردباً وهو انتاج ضعيف نسبياً وخاصة إذا علمنا أن متوسط انتاج الفدان من القمح على مستوى الجمهورية بلغ حوالى ٧,١٦ أردباً عام ١٩٦٨ ويرجع ضعف انتاج الفدان من القمح فى المركز إلى تأثر هذا المحصول بارتفاع نسبة الأملاح الذائبة فى عدد كبير من الأحواض الزراعية ، ويرتفع متوسط انتاج الفدان فى بعض النواحى عن المتوسط العام للمركز وذلك لخصوبة أراضيها ، وتوافر مياه الرى كما هو الحال بالنسبة لناحيتى ادفينا ومحلة الأمير حيث بلغ هذا المتوسط ٧,١٠ ، ٧,٠٥ أردباً على الترتيب .

ويأتى الفول فى المرتبة الثانية بعد القمح من حيث المساحة المزروعة التى بلغت ٤٢٨٦ فداناً وهو ما يعادل ١٥,٩٪ من اجمالى مساحة المحاصيل الحقلية الشتوية ، وقد بلغ المتوسط العام لانتاج الفدان ٣,٥٦ أردباً وهو انتاج منخفض إذا قورد بمتوسط انتاج الفدان على مستوى الجمهورية الذى بلغ ٥,٩٥ أردباً عام ١٩٦٨ . ويأتى الشعير فى المرتبة الثالثة من حيث المساحة بين محاصيل الحبوب الشتوية التى تزرع فى المركز فقد بلغت مساحته ٧٣٠ فداناً وهو ما يوازى ٢,٧٪ من اجمالى مساحة المحاصيل الحقلية الشتوية وقد بلغ المتوسط العام لانتاج الفدان ١٠,٣٨ أردباً وهو انتاج مرتفع إذا قورن بمتوسط انتاج الفدان على مستوى الجمهورية الذى بلغ ٨,٦٣ أردباً ومرد ارتفاع متوسط انتاج الفدان من الشعير فى المركز امكان نموه فى الأراضى الضعيفة التى ترتفع بها نسبة الأملاح الذائبة كما هو الحال بالنسبة لمساحات كبيرة فى المركز .

ويعتبر البرسيم أهم المحاصيل الشتوية فى مركز رشيد من حيث المساحة المزروعة التى بلغت خلال الموسم الشتوى ١٩٧٣/٧٢ حوالى ١٧٥٦١ فداناً وهو ما يكون ٦٥,٣٪ من المساحة الاجمالية للمحاصيل الشتوية التى بلغت

٢٦٨٩٧ فداناً ، وقد عمل على التوسع فى زراعة البرسيم دوره فى اخصاب الأراضى الزراعية إذ يمدها ببعض المواد الآزوتية (يتميز البرسيم بقدرته على استخلاص الآزوت من الهواء وتثبيته فى التربة) مما يساعد على تحسين خواص التربة الطبيعية ، كما يساعد فى نفس الوقت على زيادة تماسك التربة الرملية كما هو الحال فى الجهات الشمالية ، وأيضاً تقليل درجة تماسك التربة الطينية كما هو الحال فى الجهات الجنوبية والغربية من المركز ، فاذا أضفنا إلى ذلك امكان تصريف الانتاج فى الأسواق المجاورة وخاصة فى الاسكندرية نجد تفسيراً لانتشار زراعة البرسيم فى المركز .

وقد زرع البرسيم المستديم فى مساحة ١٦٠٥٩ فداناً وهو ما يعادل ٩١,٤٪ من اجمالى مساحة البرسيم ، وقد انتشرت هذه المساحة فى كل نواحى مركز رشيد ، فى حين زرعت باقى المساحة بالبرسيم التحريش فى ناحية ادكو تمهيداً لزراعتها بالقطن ، إذ يزرع البرسيم التحريش عادة مبكراً عن البرسيم المستديم مما يمكن من تجهيز الأرض لزراعة القطن وخاصة انه يمكث فى الأرض فترة قصيرة تتراوح بين ٦٠ — ٧٥ يوماً فقط بينما يمكث البرسيم المستديم فى الأرض مدة سبعة شهور ، ويحصل منه على البذور ، بالاضافة إلى السيقان التى تحش لتستغل كمحصول علف للماشية .

وزراعة الخضروات من أكثر فروع الاستغلال الزراعى ربحاً لقصر المدة التى تمكثها فى الأرض ، ولامكان زراعتها ثلاث مرات (العروات الشتوية والصيفية والنيلية) فى السنة ، ولتنوعها الكبير وازدياد الطلب عليها فى الأسواق ، لذا تلقى اهتماماً كبيراً من المزارعين فى المركز وخاصة فى النواحى القريبة من الاسكندرية التى تمثل أهم أسواق تصريف الخضروات المزروعة فى مركز رشيد وأكبرها على الاطلاق ، ساعد على ذلك سهولة الاتصال بهذه المدينة الكبيرة سواء عن طريق خط سكة حديد رشيد / الطرح /الاسكندرية ، أو عن طريق السيارات وخاصة انه يوجد طريق مرصوف جيد يربط رشيد بالاسكندرية .

وقد بلغت المساحة المزروعة بالخضروات خلال الموسم الزراعى ١٩٧٣/٧٢ حوالى ١٥٦٧٥ فدانا وهو مايوازى ٢١,٤٪ من اجمالى مساحة الأراضى المزروعة ، وهى نسبة كبيرة تظهر اهتمام الأهالى الكبير بهذا النوع من الاستغلال الزراعى ، لذا تشكل مساحة الخضروات فى مركز رشيد حوالى ١١,٣٪ من اجمالى مساحة الخضروات فى محافظة البحيرة رغم أن مساحة المركز لا تتعدى ٩,٤٪ من اجمالى مساحة البحيرة .

وقد بلغت مساحة الخضروات الصيفية خلال الموسم الزراعى ١٩٧٣/٧٢ حوالى ٨٦١١ فداناً وهو ما يكون ٥٤,٩٪ من اجمالى مساحة الخضروات وتشمل الخضروات الصيفية اصناف الطماطم ، الكوسة ، البطاطا ، البطاطس الصيفى ، الفلفل ، الكرنب ، الفاصوليا الخضراء ، الملوخية ، بالاضافة إلى البطيخ ، وتشكل مساحة الخضروات النيلية حوالى ١٧,٨٪ من جملة مساحة الخضروات ، وتشمل أصناف الطماطم ، البطاطس ، الكوسة ، القنبيط الفجل . أما الخضروات الشتوية فقد بلغت مساحتها ٤٢٨٠ فداناً وهو ما يعادل ٢٧,٣٪ من جملة مساحة الخضروات ، وتشمل الخضروات الشتوية أصناف الطماطم ، الكوسة ، الكرنب ، القنبيط ، السبانخ ، الفلفل ، الخص ، الثوم .

وتعد الطماطم والبطاطس والكوسة والبطيخ أهم أصناف الخضروات المزروعة فى مركز رشيد حيث تشغل المساحات المزروعة بها أكثر من ٨٠٪ من اجمالى مساحة الخضروات .

وتكون المساحات المزروعة بالطماطم فى العروات الثلاث حوالى ٧٠٪ من جملة مساحة الخضروات ، وتتركز أكبر مساحاتها فى نواحى ادكو ، رشيد ، برج رشيد ، الجدية ، ويرجع هذا التركز إلى عاملين رئيسين هما ملائمة التربة فى هذه النواحى لزراعة الطماطم ، بالاضافة إلى سهولة اتصالها باسواق الاسكندرية ، وقد تباين متوسط انتاج الفدان من الطماطم خلال العروات الثلاث إذ بلغ ادناه خلال العروة الشتوية (٣,٤ طناً) بينما وصل

أقصاه فى العروة الصيفية (٦,٥ طناً) فى حين بلغ فى العروة النيلية حوالى ٥,٨ طناً .

وعموماً يتركز الجزء الأكبر من المساحات المزروعة بأصناف الخضروات المختلفة فى النواحى الأربع الواقعة فى أقصى شمال المركز وهى برج رشيد ، رشيد ، الجدية ، ادكو ، للأسباب السابق ذكرها .

وتعد زراعة أشجار الفاكهة من فروع الاستغلال الزراعى التى يمكن أن تدر ربحاً كبيراً للمزارعين فى المركز ، وذلك لملائمة التربة هنا لزراعة العديد من أصنافها ، بالاضافة إلى قربها من أسواق الاسكندرية الكبيرة حيث يمكن تصريف الانتاج فيها بسهولة ومع ذلك لا يقبل الأهالى كثيراً على زراعة أشجار الفاكهة ، ومرد ذلك عدة أسباب أهمها انتشار الملكيات الزراعية الصغيرة ، والمعروف أن صغار الملاك يفضلون زراعة المحاصيل الحقلية وخاصة الغذائية منها ، ولا يقبلون على زراعة أشجار الفاكهة لعظم نفقات زراعتها ، وضرورة انتظارهم فترة طويلة حتى يمكن الحصول على الانتاج ، بالاضافة إلى العديد من المشاكل الخاصة بالتسويق ، لذا تتركز حدائق الفاكهة عادة فى النواحى التى تنتشر فيها الملكيات الزراعية المتوسطة والكبيرة .

وتبلغ مساحة حدائق الفاكهة فى مركز رشيد حوالى ٣٠٣٤ فداناً فقط حسب حصر عام ١٩٧٣ ، وتشمل الأصناف المزروعة الموالح وخاصة البرتقال ، الجوافة ، الكمثرى ، البرقوق ، الخوخ ، المانجو ، الموز ، العنب وجدير بالذكر أن حدائق الموالح والجوافة تشغل الجزء الأكبر من حدائق الفاكهة فى المركز حيث تكون حوالى ٧٣,٩٣٪ ، ٢٤,١٦٪ على الترتيب ، أى أنهما يشغلان ٩٨,٠٩٪ تقريباً من اجمالى مساحة حدائق الفاكهة فى مركز رشيد .

وتتركز معظم المساحة المزروعة بالموالح فى الجزء الشرقى من المركز الذى يضم نواحى الشماشمه ، محلة الأمير ، دبيى ، ادفينا حيث تكون حدائق الموالح هنا حوالى ٤٧,٦٪ من اجمالى مساحة حدائق الموالح البالغة ٢٢٤٣ فداناً

كما تشكل حدائق الموالح فى الجهات الشمالية من المركز التى تضم نواحى برج رشيد ، رشيد ، الجدية ، الحماد ، ادكو حوالى ٢٦,٤٪ من جملة مساحة حدائق الموالح ، ومرد هذا التركز ارتفاع نسبة الرمل فى التربة لذا تتسم بالمسامية التى تساعد على تهوية التربة ، والمعروف أن الجذور أشجار الموالح تحتاج إلى نسبة عالية من الأوكسجين .

ويتركز الجزء الأكبر من حدائق الجوافة فى الجهات الشمالية حيث تكون ٩٥,٩٪ من اجمالى مساحة حدائق الجوافة فى المركز البالغة ٧٣٣ فداناً وقد ساعد على نجاح زراعة الجوافة فى هذه الجهات أمكان زراعتها بنجاح فى التربات منخفضة الخصوبة كما هو الحال فى بعض الأحواض الزراعية هنا حيث يرتفع منسوب الماء الأرضى . أما باقى أصناف الفاكهة المزروعة فى المركز فهى قليلة الأهمية ولا تلقى اهتماماً كبيراً من المزارعين .. يتضح ذلك من تتبع أرقام الجدول التالى الذى يبين تفصيل المساحات المزروعة بأصناف الفاكهة فى مركز رشيد عام ١٩٧٣ :

الصنف	المساحة (بالفدان)	٪	الصنف	المساحة(بالفدان)	٪
الموالح	٢٢٤٣	٧٣,٩٣	المانجو	٥	,١٦ —
الجوافة	٧٣٣	٢٤,١٦	الموز	٤	,١٤ —
الكمثرى	٢٧	,٨٩ —	العنب	١	,٠٣ —
البرقوق	١١	,٣٧ —			
الخوخ	١٠	,٣٢ —	الجملة	٣٠٣٤	١٠٠,٠٠

وتنتشر أشجار نخيل البلح فى معظم نواحى مركز رشيد ، وان تركزت بشكل خاص فى ٦ نواحى كلها فى شمال المركز ، ومرد ذلك انتشار التربة الرملية ، وارتفاع منسوب الماء الأرضى فى هذه النواحى مما سهل على أشجار نخيل البلح الحصول على مياه الرى التى تحتاج اليها وخاصة فى مراحل نموها الأولى ، والجدول التالى يبين توزيع اعداد نخيل البلح

فى هذه النواحى عام ١٩٧٣(١) :

المساحة بالفدان

الناحية	النخيل المجمع فى مساحات المساحة	عدد النخيل	عدد النخيل المشتت	اجمالى عدد النخيل
برج رشيد	٢٧٦٥	١٢٦٨٨٥	٣٨٤٠٦	١٦٥٢٩١
رشيد	٢٥٢٩	١٣٩٩٦٦٠	٣٧٨٢٩	١٧٧٧٩٥
الجدية	٧٤٠	٢٩٠٤٧	١٣٥٩٥	٤٢٦٤٢
الجماد	٥٠	١٦٢٢	٧٤١	٢٣٦٣
ديبى	٢٥	٨٠٥	٥٦٢	١٣٦٧
ادكو	٨٠٢	٣٧٤٧٣	١٩٦٩٢	٥٧١٦٥
الجملة	٦٩١١	٣٣٥٧٩٨	١١٠٨٢٥	٤٤٦٦٢٣

تبين أرقام الجدول السابق أهمية نخيل البلح كمصدر هام لدخل أهالى النواحى الشمالية وناحية ديبى الواقعة فى شرق المركز ، فقد بلغت المساحة المزروعة بالنخيل المجمع فى هذه النواحى ٦٩١١ فداناً ، ويتركز معظم النخيل المجمع فى ناحيتى برج رشيد ورشيد الواقعتان فى أقصى شمال المركز حيث بلغت مساحة النخيل المجمع فيهما ٥٢٩٤ فداناً وهو مايعادل ٧٦,٥٪ تقريباً من اجمالى مساحة النخيل المجمع ، وتبلغ جملة عدد النخيل فى الناحيتين ٣٤٣٠٧٦ نخلة وهو ما يوازى ٧٦,٨٪ من جملة عدد النخيل فى المركز والبالغ ٤٤٦٦٢٣ نخلة ، ويلاحظ أن اعداد النخيل المجمع فى مساحات تفوق اعداد النخيل المشتت إذ تكون حوالى ٧٥,٢٪ من أجمالى عدد النخيل فى المركز ، وهذا يؤكد اهتمام الأهالى بزراعة نخيل البلح فى مساحات حتى يسهل خدمتها ، وتقل نفقات تجميع الانتاج تمهيداً لنقله إلى أسواق الاستهلاك .

نخلص من الدراسة السابقة أنه يمكن تقسيم أراضى مركز رشيد حسب

(١) قام الباحث بتجميع أرقام هذا الجدول من سجلات مديرية الزراعة مركز رشيد (أرقام غير منشورة) .

قدرتها الانتاجية إلى أربعة نطاقات رئيسية : (شكل رقم ٩)

النطاق الأول :

يضم الأراضى الزراعية جيدة الانتاج ، وهى تتركز فى نطاقين رئيسيين يمتدان فى نواحى ديبى ، ادفينا ، العامرية الشرقية وتتمثل هذه الأراضى بصفة خاصة فى حوض بركات بأدفينا ، وتنتشر هنا زراعة المحاصيل الحقلية وحدائق الفاكهة ، ساعد على ذلك خصوبة التربة لذا يفوق انتاج هذه الأراضى المتوسط العام لانتاج المحاصيل على مستوى المركز ، كما تنخفض هنا تكاليف انتاج الفدان من المحاصيل المختلفة لانخفاض تكاليف عمليات الخدمة الزراعية وارتفاع كفاءة شبكة الرى إلى حد كبير ، لكل هذه الأسباب ترتفع القيمة الايجارية للفدان فى أراضى هذا النطاق حيث تتراوح بين ٨٨٨م،١٣ج —٨٤٥م،١٩ج ساعد على ذلك أن الأراضى هنا تتمتع بكفاية فى شبكة الطرق التى تربطها بالعديد من الجهات سواء فى مركز رشيد أو محافظة البحيرة ، ويتميز هذا النطاق بارتفاع كثافة سكانه التى تبلغ ٥٠١٤نسمة / كم٢ فى ادفينا ، ١١٥٨ نسمة / كم٢ فى ديبى ، ٢٣٨ نسمة / كم٢ فى العامرية الشرقية .

النطاق الثانى :

يشمل الأراضى الزراعية متوسطة الانتاج للانخفاض النسبى لخصوبتها الناتج عن الارتفاع النسبى للاملاح الذائبة فى التربة وارتفاع منسوب الماء الأرضى وخاصة فى الجهات الشمالية والغربية القريبة من البحر المتوسط وبحيرة ادكو ، وتتوزع هذه الأراضى على كل نواحى المركز تقريباً وتتركز فيها زراعة المحاصيل الحقلية وخاصة الغذائية منها لتوفير حاجة السكان ، كما تتركز حدائق الموالح والجوافة فى الجهات التى تنتشر فيها الملكيات المتوسطة والكبيرة ، والقيمة الايجارية للفدان فى أراضى هذا هذا النطاق متوسطة ، وان كانت ترتفع بشكل واضح فى بعض الجهات الشرقية لارتفاع خصوبة أراضيها وازدحامها بالسكان .

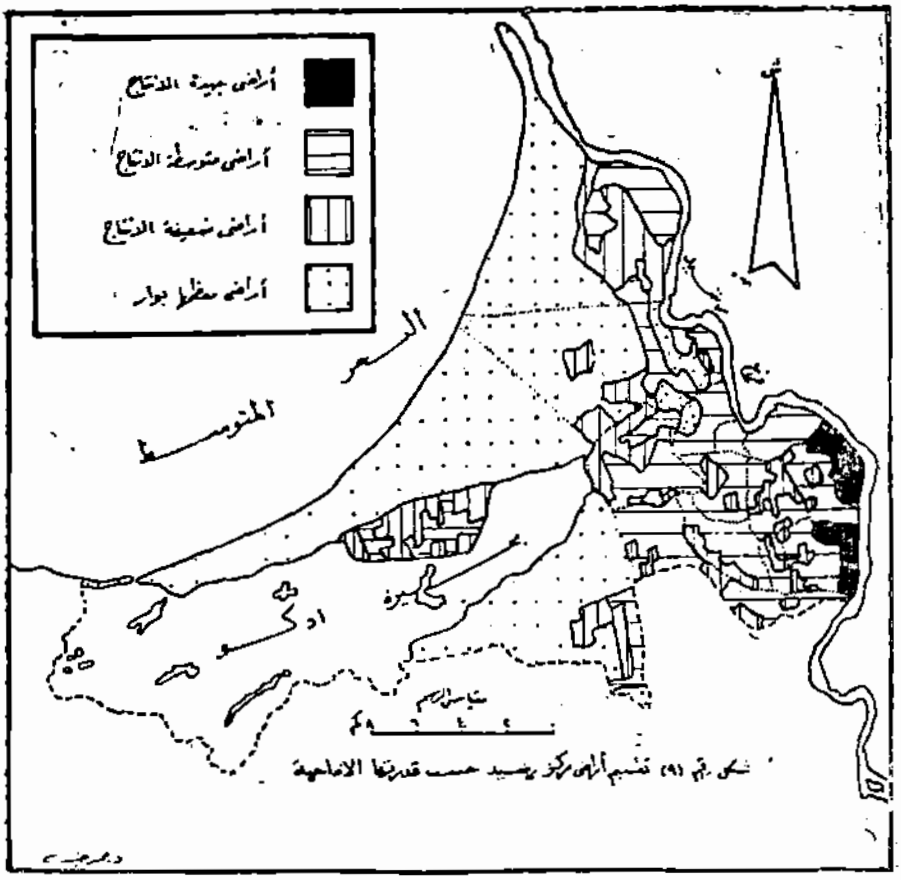

شكل رقم (٩) تقسيم أراضي مركز رشيد حسب قدرتها الانتاجية

النطاق الثالث :

يضم الأراضى ضعيفة الانتاج لارتفاع نسبة الأملاح الذائبة بها ، لذا تحولت بعضها إلى أراضى قلوية تحتاج إلى كميات كبيرة من الجبس الزراعى لتحسين خواصها ورفع قدرتها الانتاجية ، وتنتشر هذه الأراضى فى شكل نطاقات صغيرة المساحة تتناثر فى معظم نواحى مركز رشيد ، وتتركز فى هذه النطاقات زراعة المحاصيل التى تستطيع تحمل نسبة الأملاح الذائبة فيها كالبرسيم والشعير والأرز والدراوه ، كما تنتشر فى هذه الجهات زراعة نخيل البلح فى مساحات مجمعة . وتنخفض القيمة الايجارية للفدان فى معظم الأحواض الزراعية بهذا النطاق الذى يفتقر إلى شبكة جيدة من المصارف بمختلف مقاييسها وخاصة الحقلية منها ، كما تعانى بعض أراضى هذا النطاق من مشكلة نقص مياه الرى مما اضطر البعض إلى استغلال مياه المصارف فى رى الحقول كما هو الحال فى بعض الزراعات الواقعة قرب مصرف البوصيلى .

النطاق الرابع :

يشمل الأراضى البور وبحيرة ادكو ، وهو أكبر النطاقات من حيث المساحة كما يبدو من الشكل رقم ٩ ، وتتركز أراضى هذا النطاق فى الجهات الشمالية والغربية من المركز داخل زمام نواحى برج رشيد ، رشيد ، الجدية الحماد ، ادكو . ويستغل الأهالى بعض المساحات هنا فى زراعة بعض أصناف الخضروات بالاضافة إلى أشجار البلح ، وتتسم هذه الجهات بقلة عدد سكانها ، وقد كان بوار هذه المساحات دافعاً قوياً لأهالى هذا النطاق على احتراف مهن أخرى غير الزراعة منها صيد الأسماك سواء من البحر المتوسط أو من بحيرة ادكو ، والتجارة ، واستخراج الملح ، وصناعة السلال .

أولا : المراجع العربية :

— الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، النتائج النهائية لتعداد السكان بالعينة عام ١٩٦٦ ، المجلد الثالث ، محافظات الوجه البحرى ، مرجع رقم ٧١١/١ ، القاهرة ، يوليو ١٩٦٧ .

— حسن أحمد بغدادى ، فيصل منيسى ، الفاكهة وطرق انتاجها ، الاسكندرية ، ١٩٦٤ .

— حلمى راغب توفيق ، أساسيات انتاج الخضر ، الاسكندرية ١٩٦٢

— سجلات قسم الاحصاء ،مديرية الزراعة ، مركز رشيد (غير منشورة)

— سجلات قسم حركة المياه ، تفتيش رى البحيرة ، دمنهور (غير منشورة) .

— سجلات مأمورية الضرائب العقارية ، مركز رشيد (غير منشورة)

— سجلات مصلحة المساحة ، مركز رشيد (غير منشورة)

— على الخشن ، زراعة المحاصيل ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية ١٩٦٦

— كمال رمزىاستينو ، زراعة الخضر، الطبعة الرابعة ، القاهرة ١٩٥١

— محمد خميس الزوكة ، مناطق الاستصلاح الزراعى فى غرب الدلتا دراسة جغرافية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الاسكندرية ١٩٦٨

— محمد مهدى الغروفى ، الموالح ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٢

— مصطفى سرور وآخرون ، الخضروات فى مصر ، الطبعة الثانية القاهرة ، ١٩٣٠ .

ثانيا : المراجع الأجنبية :

— مصلحة الارصاد الجوية ، المعدلات المناخية للعناصر الجوية فىمصر وزارة الحربية القاهرة ، ١٩٥٠ .

العامل الجغرافى وأثره فى نشأة المدن

فى افغانستان

للدكتورة عطيات عبد القادر حمدى
أستاذ الجغرافيا المساعد بكلية الآداب

يلعب العامل الجغرافى الطبيعى أو البشرى دوراً كبيراً فى نشأة كثير من مدن أفغانستان بل مدن وسط آسيا . فالمشاهد أن السلاسل الجبلية فى وسط القارة تمتد بوجه عام من الشرق إلى الغرب ابتداء من غرب الصين (جبال تسلنج شان) حتى القوقاز وهذه السلاسل الجبلية عبارة عن عدة مجموعات من سلاسل متوازية تمتد كل منها وراء الأخرى . وكاد هذا الامتداد العظيم للجبال أن يعيق اتصال جنوب آسيا بشمالها لولا وجود عدة عوامل جغرافية كان لها الفضل الأكبر فى عقد الصلات الدائمة فيما وراء تلك السلاسل .

وان امتداد الجبال من الشرق إلى الغرب نفسه قد افرض على الطرق أن تسير هى الأخرى فى نفس الاتجاه وبلغت أهمية هذا الاتصال مبلغاً عظيما حينما كانت تلك الصلات بين شرق آسيا وغربها على أشدها ، وكانت صلات اغارة وغزو ، أو هجرات جنسية وثقافية ، أو صلات تجارة وتبادل .

وقد كانت تلك الصلات تجتمع فى نقط حساسة هامة عندما تدور الطرق فى بعض الأجزاء لتتجه إلى الجنوب نحو البلاد الموسمية الوافرة الخيرات . وعندما تعبر تلك الطرق وتتخطى السلاسل الجبلية العالية فانها تصل فى الجانب الآخر إلى المحطات الجبلية والمدن التجارية التى كان لها هى الأخرى شأوا عظيما .

وشاء الموقع الجغرافى لأفغانستان أن يجعلها فى مركز متوسط تتجمع عندها الطرق السائرة من الشرق إلى الغرب وتلك العابرة من الشمال إلى الجنوب . وبذلك أصبح يتجمع عندها عدد من الطرق أدت إلى نشأة المدن وازدهارها على مر العصور وأبرز موقع هذه المدن أهمية العامل الجغرافى

فى خلق المراكز العمرانية فى مناطق الجبال . وأصبحت هذه المراكز العمرانية فى بعض عصور التاريخ عواصم لأقاليم كانت مفاخر للشرق .

ولم يكن العامل الطبيعى هو المؤثر الوحيد فى حياة هذه المدن بل نجد أن العامل البشرى أيضاً كان له دوره فى تخطيط حياة تلك المدن . ذلك أن سهولة العبور والاتصال عبر المناطق الجبلية القاحلة جعل مراكز العمران هذه واحات غنية بالنسبة للاقليم وتجمعت عندها المتاجر من الشرق والغرب والشمال والجنوب فصارت مطمعاً للغزاة وتعرضت لكثير من الاغارات والغزوات وكثيراً ما مرت عليها عصور انهارت فيها وتدهورت وأصبحت ركاماً من الخرائب المهجورة الا أن العامل الجغرافى كان ضرورة ملحة فى اعادة نشأة المدن فى تلك المواضع ، فكانت الاسرات الحاكمة — التى توالت على هذه الاقاليم — تستفيد من الموقع الجغرافى وتحاول اعادة ما خربته الحرب فتبنى كل أسرة عاصمة جديدة لها وتفتخر بها وأصبح كل حاكم « يحلم ببناء مدينة جديدة فى مناطق العبور هذه كما يحلم رئيس القبيلة ببناء منزل جديد» (١) .

فالاسكندر الأكبر قام ببناء بعض المدن فى تلك المناطق ويقول ابن خرداذبة ان الاسكندر «سار إلى أرض بخارا فبنى بخارا ثم سار إلى أرض مرو فبنى مدينتها وبنى مدينتى هراة وزرنج وخرج على جرجان وأمر ببناء الرى وأصبهان وهمدان حتى عاد إلى أرض بابل .. الخ » (٢) وهذا الكلام ان دل على شىء فانما يدل على أن الاسكندر أدرك أهمية هذه المناطق مناطق العبور فبنى بها المدن لتخلد ذكراه وتكون مراكز للصلات التجارية .

---

(١) Blanchard (R.) Asie Occidentale, Geogr. Univers. (Pière patie) T. VIII, Paris 1929, P. 158.

(٢) ابن خرداذبة (ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله) المسالك والممالك طبعة ليدن (بريل ١٣٠٩ هـ) ص ٢٦٥ .

وعلى العموم فمن الممكن أن نسمى هذه المدن «مدن الواحات» لما حققته من غنى وثروات كبيرة ومنها نجد : سمنان ودمجان وسبزوار وشهرود على الجانب الايرانى كما نجد ميمنة وبلخ وطاشكورغان وكندوز على الجانب الأفغانى وكلها واحات نشأت على مناطق العبور . وقد أقام بها الحكام زراعة القطن والفاكهة وصناعة الصوف واستغلال مناجم الزمرد وغيرها وكانت مدينة نيسابور (١) مثلا رائعاً لهذا الصراع الدائم بين عوامل البيئة الطبيعية والبشرية بين ازدهار فى بعض العصور وانهيار وتدهور فى عصور أخرى .

وهكذا نجد أن نشأة المدن فى هذه المناطق كانت نتيجة لالتقاء الجبل بالصحراء وقد تحكمت تلك الظروف فى حياة المدن لدرجة اننا أصبحنا نجد أنها تكثر من حيث العدد والحجم فى المناطق الشمالية ، ويقل عددها وأهميتها كلما توغلنا جنوباً حيث أقاليم الصحراء ، كما أصبح حلول فصل الشتاء وتوفيره للرطوبة بتلك الأقاليم مورد رزق وحياة وانتعاش فى هذه الأرجاء فينشط الاتصال بين الشمال والجنوب ، ولو على حافة الصحراء فتقوم الطرق بين اصفهان وسمنان من ناحية ، ونرد ودمجان ومشهد من ناحية أخرى ، وكيرمان ومدن خراسان من ناحية ثالثة .

أما فى فصل الصيف وعند حلول الجفاف فتنقطع الطرق من الشمال إلى الجنوب وتقتصر حركة المواصلات على الدروب التى تسير فى حمى المنحدرات الصخرية والسلاسل الجبلية .

وليس من شك فى أن هذه الظروف الجغرافية قد أدت إلى تشكيل حياة السكان فقامت قبائل برمتها تقود الجمال وتعمل على الطرق التجارية

---

(١) بنى هذه المدينة واعاد بناءها الساسانيون والعرب ومحمود الغزنوى والسلاجقة وكانت الغزوات والحروب تؤدى دائما إلى انهيارها وكان بها حوالى ١٢ منجم من مناجم الأحجار الكريمة والنحاس والحديد والانتيمونى والملح والرخام . وكان بالواحة مئات القرى ومئات القنوات الباطنية ولم تعد فى الوقت الحاضر سوى محلة تزرع بها بعض الحبوب والأرز والطباق .

كحمالين (١) . ولذلك أصبحت أهم وظيفة للسكان هى الوساطة التجارية كما اتخذت المدن الجنوبية من الاقليم وظيفة جديدة إذ أصبحت ملاجىء ضد قطاع الطرق الموجودين فى الجنوب وفى اقليم فارس قرب الخليج العربى وضد بلوخ ساحل مكران وكثير من قبائل الياغيز yaghis أو الخارجين على القانون فى اقليم سرحد عند بامبور .

ولقد اطلقت الكتب العربية اسم خراسان على منطقة العبور هذه ، واعتبرتها منطقة اتصال نحو الشمال إلى البلاد الداخلة فى وسط آسيا أى اقليم ما وراء النهر ، ونحو الجنوب إلى الأقاليم الصحراوية والشبه صحراوية ، ونحو الشرق إلى حوض السند ، ونحو الغرب إلى قزوين والخليج العربى .

وقال الاصطخرى (٢) ان أهم مدن خراسان وأعظمها «هى نيسابور ومرو ، وهرات وبلخ» ومنها أيضاً «كور قوهستان وطوس ونسا وابيورد وسرخس .. والباميان وطخارستان وزم وآمل» . وجاء فى كتاب صورة الأرض (٣) ان «خراسان تشتمل على كور عظام وأعمال جسام . . والذى يحيط به من شرقيه فنواحى سجستان وبلد الهند لأنى ضممت إلى سجستان ما يتصل بها من ظهر الغور كله إلى الهند وجعلت ديار الخلج فى حدود كابل ووخان على ظهر الختل كله وغير ذلك من نواحى بلد الهند وغربيها مغازة الغزية ونواحى جرجان وشماليها بلد ما وراء النهرو شىء من بلد الترك يسير على ظهر الختل وجنوبيها مقازة فارس وقومس إلى نواحى جبال الديلم مع جرجان وطبرستان والرى وما يتصل بها وجعلت ذلك كله اقليما واحداً» .

---

(١) مثل قبيلة آناراك : فهى تملك حوالى ٥٠٠٠ جمل وتقوم بحركة النقل بين اصفهان ويزد ومشهد بل إلى بخارى .

(٢) الاصطخرى (ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى) المعروف بالكرخى – مسالك الممالك طبعة ليدن بمطبعة بريل ١٩٢٧ ص ٢٥٣ .

(٣) ابن حوقل (ابو القاسم بن حوقل النصيبى) صورة الأرض الطبعة الثانية القسم الثانى طبعة ليدن بمطبعة بريل ١٩٣٩ ص ٤٢٧ .

ونخلص من هذه المقدمة بأن العوامل الجغرافية الطبيعية قد تكاتفت مع العوامل البشرية من أجل خلق مراكز عمرانية عند مناطق عبور السلاسل الجبلية الاسيوية الممتدة من الشرق إلى الغرب حيثما أراد هذا العبور اختراق تلك السلاسل من الشمال إلى الجنوب ووجدنا مدناً رئيسية تنشأ فى تلك الأقاليم من وسط آسيا وتتخذ لها مكانة حضارية أساسية أمثال كشغر ويرقند (تجمع طرق تاريم) وطشقند وسمرقند وبخارى ومرو (تجمع طرق زنجاريا وتاريم) على الجانب الشمالى للسلاسل الجبلية ثم مشهد ونيسابور وبلخ وهراة وقندهار وكابل على الجانب الجنوبى لتلك السلاسل ، ولم تكن تلك المدن سوى مثل فقط وانما يوجد غيرها كثير .

وفى هذا البحث سنخص بالدراسة التفصيلية ثلاث مدن رئيسية تأثرت حياتها كثيراً بمنطقة العبور فى جبال هندكوش وكانت تشكل اثناء تسطير تاريخها تشكل تاريخ افغانستان نفسه وتؤثر ليس فقط فى دولتها وانما بتأثرها بعيداً نحو حوض الهند من ناحية واقليم ما وراء النهر أى اقليم طوران من ناحية أخرى وهى مدن هرات — قندهار — كابل وسنستنتج فى اثناء البحث أثر العامل الجغرافى الذى كان دائماً يلعب دوراً أساسياً فى تكوين تلك المدن وفى اتصالها بالمناطق المجاورة .

العوامل الطبيعية ذات الأثر فى نشأة المدن الثلاث :

تعتبر جبال هندكوش (١) العمود الفقرى للتضاريس فى منطقة الدراسة . فهى تمتد من هضبة بامير نحو الجنوب الغربى لمسافة ٨٠٠كم. م وتعتبر خط تقسيم مياه بين حوض نهر كابل وحوض نهر أمودريا . ومن الممكن أن نقول انها تمتد من منطقة تاغ دمباش بامير وتتجه نحو الغرب حتى سلسلة كوه — أى — بابا . وترتفع تلك السلاسل الجبلية تدريجياً ابتداء من منابع نهر فرغ آب وهرى رود كما يزداد تكاثفها . وهى تكون

(١) هندكوش معناها قاتل الهنود . وكان العبيد والجوارى الذين يؤتى بهم من بلادالهند كان يموت اكثرهم هناك لشدة البرد (عن : ابن بطوطة طبعة بيروت ١٩٦٠ ص ٣٦٠).

بين نهر امودريا وهلمند كتلة عظيمة «كوهستان» وتكون حداً طبيعياً وجبهة تتكاثف عندها بعض السحب التى قد تأتى من الغرب . وفى شرق ممر باميان Bamian نجد أن هذه السلسلة تشبه الهضبة وتقع عليها بعض البحيرات ولكنها كلما اتجهت نحو الغرب ازداد ارتفاعها ووضح شكل السلسلة الجبلية . وفى اقصى الاجزاء الشرقية لهندكوش نجد ممر فاخجير الذى يخترق منطقة داغ دمباش بامير الجبلية نحو أعالى نهر هنزا . وهو بذلك يكون الحد الشرقى الأقصى لجبال هندكوش . وتشرف هندكوش فى هذا الجزء على نهر امودريا بحافتها الشمالية تاركة بينه وبينها جزءاً مستوياً يصل عرضه حوالى ١٦ ك متراً ويمتد فوق هندكوش فى هذه المنطقة اقليم واخان الافغانى . وهو عبارة عن شريط ضيق من الأرض يحده من الشمال نهر امودريا ومن الجنوب قمم هندكوش .

وفى الأجزاء الشرقية لهندكوش نجد أيضاً عدة ممرات تختلف فى ارتفاعها فيما بين ٣٨٠٠ متر ، ٥٣٠٠ متر وأسهل هذه الممرات وأقلها ارتفاعاً هو ممر باروجيل (١) الذى يصل بين آسيا العليا وشترال .

وكلما اتجهت هندكوش نحو الجنوب الغربى كلما ازداد ارتفاعها وظهرت بها بعض القمم التى يصل ارتفاعها إلى حوالى ٧٣٠٠ متر وتوجد هذه القمم فى الأجزاء الجنوبية من هندكوش فى جبال تيراش مير الشاهقة الارتفاع والتى تشرف بسفوحها الجنوبية على اقليم شترال . وتعتبر سلسلة كوه — اى — بابا السلسلة الرئيسية فى هندكوش وتخرج منها سلاسل سياه — كوه وصفيدكوه وترتفع بها قمة «الشيطان» إلى ٥١٤٠ متراً وقد تصل بعض القمم إلى ٥٥٠٠ متر بينما متوسط الارتفاع يصل إلى ٤٥٠٠ متر . وعند اقدام السفوح الشمالية تظهر مدن تركستان الأفغانية وهذه السلاسل يصيبها بعض الأمطار وتتجمع الثلوج فوقها شتاء وبخاصة على القمم العالية .

وتعتبر هذه الاجزاء الشرقية من هندكوش هى هندكوش الحقيقية

---

(١) يصل ارتفاعه إلى ٣٦٦٠ متراً
Blanchard (R.) Geogr. Univers. T. 8. P. 144.

الوعرة حيث تتمثل فيها كثير من المظاهر الطبيعية وبخاصة فى شرق ممر بأميان . فالسلاسل تشغل حيزاً عريضاً من الاقليم والممرات وعرة وهى تكاد تشبه جبال هيمالايا من حيث شدة الارتفاع . ويزداد الارتفاع فى كتلة تيراك مير Ṭirak Mir (حيث يصل الارتفاع إلى ٧٧٥٠ متراً) وهى تتصل فى أقصى الشرق بهضبة بامير . والأودية هنا شديدة الارتفاع لدرجة أن الناظر منها إلى الجبال يخيل اليه أن الارتفاع بسيط(١) .

وتمتاز كل السلاسل الواقعة جنوب بامير بالمظاهر الجافة وتشارك بامير فى ذلك السلسلة الوسطى من هندكوش ولكن السلسلة الشمالية أكثر تمتعاً بالرطوبة حيث نجد حتى ارتفاع ٣٥٠٠ متر بعض المراعى الألبية وفى السفوح السفلى يزرع بعض الشعير . ولكن السفوح المنحدرة نحو الجنوب نحو حوض كابل أكثر غنى من حيث الرطوبة إذ من الممكن أن يصلها بعض الأمطار الموسمية وقد تهيأت بذلك الفرصة لقيام زراعة المدرجات فى جوانب الأودية .

ويقع اقليم نورستان (٢) فى غرب نهر شترال (٣) وفيه نجد أن الأودية غنية ومهيأة لزراعة الفاكهة كالجوز والتوت والمشمش والتفاح وتغطى سفوحها أشجار الصنوبر والكروم البرية والرمان البرى والبلوط الدائم الخضرة ، ولا يتوقف نمو النبات الا على ارتفاع ٣٩٠٠ متر . وهذا الاقليم أيضاً اقليم وعر شديد الارتفاع (متوسط الارتفاع ٤٥٠٠ متر) .

وقد قطعت الوديان اقليم نورستان إلى مناطق كبيرة منعزلة عن بعضها البعض وهذه الوديان النهرية ضيقة وكثير منها خوانق تمتد من الشمال إلى

---

(١) لايكاد يرى المسافر فرقا فى الارتفاع بين خانق باروجيل (٣٦٦٠ متراً) ووادى واخان عند سرحد سوى ٤٦٠ متراً .

(٢) كان يسمى قديماً اقليم كافرستان وبعد دخول الاسلام هناك سمى اقليم نورستان .

(٣) يسمى هذا الوادى باسم شترال فى باكستان اما جزؤه الواقع فى افغانستان فيسمى نهر كونار وهو ينبع من شمال اقليم شترال ويصب فى نهر كابل شرق جلال أباد .

الجنوب وتنحدر نحو وادى نهر كابل عند جلال اباد . وقد تصنع الوديان ممرات إلى قلب اقليم نورستان ويمكن بها اختراق جزء آخر من هندكوش وأهم هذه الممرات ماندال وكاماه وكولان ورامجال وكلها تؤدى إلى اقليم بدخشان وإلى وادى منجن فى بدخشان ويصل متوسط ارتفاع هذه الممرات فى الغالب إلى حوالى ٤٥٠٠ متر .

وإلى شرق اقليم نورستان نجد اقليم شترال الباكستانى وتصلهما بعضهما ببعض ممرات هامة ورئيسية نظراً لأنها تعتبر أقل ارتفاعاً (يتراوح الارتفاع فيما بين ٣٦٠٠ ، ٤٢٠٠ متر) ومنها مجموعة «درة Durah Pass (١) وهى ترتفع إلى حوالى ٤٥٠٠ متر وتعتبر طريقاً للاتصال بين أحواض امودار يا وشترال . وإلى جنوب غرب ممر درة فى اقليم نورستان نجد ممر خوك ويتراوح ارتفاعه فيما بين ٣٣٠٠ متر ، ٣٦٠٠ متر . وقد يصل الارتفاع إلى ٢٥٠٠ متر فى ممر باتكون وهو يخترق أحد النتوءات الجبلية المنخفضة بالقرب من نهر كونار . كذلك هناك ممر شيبار (٢٧٠٠ متر) وهو يؤدى إلى أعالى غورباند وإلى مجموعة الممرات الواقعة بين باميان وسهل كابل مثل ممر العراق وحاج جاك وأوناى وغيرها .

وفى غرب باميان يبدأ الجزء الغربى من هندكوش على شكل سلاسل متفرقة فى شكل مروحة وتتجه السلاسل الشمالية منها نحو الغرب لتتصل بسلاسل شمال ايران الممتدة فى جنوب شرق بحر قزوين باسم سلاسل كوبت داغ . وتتفرع من هندكوش كذلك سلسلة كوة أى بابا نحو الغرب ومنها تخرج سلاسل رئيسية مثل باروباينساد وبوشت أى كوه وبينالود وينحدر هندكوش نحو الجنوب حتى اقليم سفستان (احدى سلاسل سليمان) كما تنحدر نحو الجنوب الغربى والغرب حتى تتلاشى فى صحراء افغانستان حيث توجد سنجة لوراهامون .

---

(١) توجد هذه الممرات على الحدود بين شترال ونورستان عند نهاية الطرف الجنوبى الغربى لاقليم واخان .

الوديان النهرية : لم تكن الممرات وحدها سبلا للاتصال فى هذا الاقليم الوعر الذى تسير فيه هندكوش ، ولكن الأودية النهرية سهلت الكثير من الاتصال وصنعت طرقاً رئيسية وهامة أدت إلى نشأة كثير من مراكز العمران .

ومن النظرة العامة للخريطة فى تلك المنطقة من آسيا نجد أن الملامح العامة للتضاريس فى اقليم هندكوش تتلخص فى وجود كتلة من الجبال العالية فى الشمال الشرقى ثم سلسلتين من الجبال تكادان تمتدان بموازاة بعضهما البعض وتحصر هذه السلاسل فيما بينها صحراوات واسعة تصعب فيها الحياة خاصة وانها أصبحت والحال هذه محاطة من كل جانب بالجبال مما جعل مناخها شديد القسوة واستغلالها الاقتصادى صعباً .

ولكن الطبيعة السخية دائماً أوجدت مناطق التقاء سميت فى بعض الكتب مناطق عقبة . وهى هنا توجد حيثما يلتقى الجبل بالصحراء أو بوادى نهر أو حيثما يعبر سلسلة الجبال ممر جبلى مرتفع أو منخفض . ففى هذه المناطق بنى الانسان مدنه ، واستفاد الانسان بانحدار السيول على الجبال أو بحفر الآبار لكى يقيم أود حياته فى تلك المناطق. وبذلك اجتمع العامل البشرى والطبيعة لخلق مراكز عمران حول السلاسل الجبلية أو بمعنى أدق حول سلسلة جبال هندكوش وعند مواضع استراتيجية هامة — وأصبحت هذه المراكز نقطاً ترتكز عليها طرق التجارة والمواصلات فى الاقليم .

وإذا تأملنا جبال هندكوش نجد أن بعض الأمطار القليلة قد ساعدت أثناء انحدارها على سفوحها الشمالية لتصل إلى وادى نهر امودريا قد ساعدت على نشأة بعض الوديان التى يجرى الماء فى بعضها لفترة من السنة ولا يستطيع الكثير منها أن يصل ليصب فى ذلك النهر .

وأهم هذه المسيلات (وليس الانهار) مسيل كندوز وهو يسير شمالا ويصب فى نهر امودريا عند مدينة كندوز ثم سيل خلم (١) وهو يصب

(١) يسمى سيل خلم أحياناً باسم قناة خلم لصغره .

فى الأرض الخلاء عند مدينة طاشكورغان الواقعة شرق مزار شريف . ويعتبر هذا الوادى نقطة التقاء كثير من الطرق البرية الآتية من الهند وايران ووسط آسيا .

وفى هذه المنطقة أيضاً نجد بقايا ولاية بكتريا أو بلخ كما نجد مدناً أخرى نشأت أيضاً عند نقط الالتقاء بين الجبل والسهل مثل مزار شريف وشبرغان واندخوى وميمنة .

وينحدر فى هذا الاتجاه أيضاً نحو الشمال نهر مرغ آب وهو أهم النهيرات جميعاً فى هذه المنطقة وهو ينبع من جبال صفيدكوه بالقرب من هرات ثم ينحدر شمالا حتى مرو .

كذلك ينحدر من الجزء الغربى من هندكوش نهر هرى رود وهو ينبع من غرب هندكوش بواسطة رافدين يلتقيان غرب مدينة أوبى ثم يسيران معاً حتى مدينة هرات ويتجه هرى رود شمالا بموازاة نهر مرغ آب فيمر بمدينة بول — اى — خاتون ثم يتجه شمالا ليصب فى الأرض الخلاء غرب مدينة مرو . ويقول هولدتش انه إلى غرب طريق هرى رود هذا لا يعرف أى طريق للصلة حتى نصل إلى مزار شريف . فانه بين مزار شريف وكوشك لا يوجد أى طريق لعبور هذه الكتلة الشاهقة من المرتفعات بينما عند مزار شريف يوجد طريق يسير حتى كابل ولكن هذا الطريق يستخدم فقط للتجارة وليست له قيمة عسكرية (١) .

هذه أهم الروافد المائية التى تنحدر من هندكوش نحو الشمال الا أنه فى الجزء الشرقى من هندكوش نجد أيضاً بعض الروافد النهرية تتجه من الشمال لتصب فى نهر كابل أهمها نهر كونار وهو ينبع من جبال شترال ويسير مخترقاً الحدود بين باكستان وافغانستان ليصب عند جلال أباد على نهر كابل . وهناك أيضاً نهر بانج شير وهو ينبع بالقرب من ممر خوك ويصب فى غرب جلال أباد .

---

(١) Holdich (Sir T.H.) India, London بدون تاريخ P. 62

أما الأنهار التى تنحدر نحو الجنوب والجنوب الغربى وصنعت ممرات هامة فى الاقليم الجبلى من أفغانستان فأهمها : نهر هلمند الذى ينحدر مع روافده نحو الجنوب الغربى حتى اقليم سجستان ونشأت فى واديه مدينة قندهار وقلعة اى غيلزى ونشأت على طريق الاتصال بينه وبين هندكوش مدينة غزنة وجرديز .

وتنحدر نحو الشرق من هندكوش أهم مجموعة نهرية فى أفغانستان وهى مجموعة نهر كابل وروافده . وجاءت أهمية هذا النهر فى أنه يصل إلى أغنى بقاع الهند وأهم مواطن الثروة فيها . ويخترق وادى هذا النهر الحدود السياسية بين باكستان وأفغانستان فى شرق قرية دكا Dakka .

ويبدأ هذا النهر بالقرب من ممر أونای ويسير فوق عدة مدرجات وأهم المراكز العمرانية فى هذا الوادى هى : مدينة كابل وجلال أباد ويبدأ نهر كابل بالقرب من باميان ثم يتجه نحو الشرق حتى مدينة كابل وإلى شرقها يتصل به رافده لوجار الذى يأتى من الجنوب ويسير النهر نحو الشرق فيتصل به من الشمال رافده بانج شير ويسيران معاً حتى جلال أباد وإلى شرق جلال أباد يصبح النهر سريع الجريان ويخترق الجبال على شكل خانق ثم يعبر الحدود السياسية ويصل إلى حوض تشاور ومنه يتصل بنهر السند عند مدينة الأتك Attok .

وبذلك صار هذا النهر مهما لأنه أدى إلى اتصال الأحواض الداخلية من هندكوش وبالأخص حوض كابل بحوض السند . ولم يكن النهر وحده وسيلة الاتصال وانما ساعدته فى هذا الاتجاه كثير من الممرات الجبلية التى كانت كلها تصب وتلتقى عند النهر . ففى شماله نجد ممر أونای ولاتا بند وممر كونار ، ومن الجنوب ممرات جكدلك وخيبر فى باكستان ويساعد هذه الممرات ممرات أبعد شقة ولكنها توصل إلى حوض كابل أيضاً أهمها ممر نيل وآق رباط وشيبار من ناحية الغرب وممرات خوك وما ندال وباروجيل إلى الشرق .

ومن هذه الدراسة يتبين لنا أن هندكوش كتلة جبلية وعرة ومن الممكن أن تصبح مكاناً حصيناً للالتجاء اليه فهى تخفى بين أحضان ثناياها ووديانها مجموعات جنسية مثل جالتشا Galtchas وهى عناصر شقراء سكنت اقليم بنج Pendj وهم من أصل آرى . كذلك سكنت بها عناصر ايرانية وهندية و تركية ومغولية وهى كلها قد انعزلت فى هندكوش . أما «الكفار» فقد انعزلوا فى اقليم نورستان وهم من أصل يونانى (١) . وهم ذوى بشرة بيضاء وشعر أشقر ويدينون بديانة مختلطة وغريبة تختلف عن حولهم .

وبالرغم من ذلك فقد أوجدت الطبيعة سبلا لاختراق هذه الكتلة من السلاسل عن طريق تلك الممرات والأودية النهرية التى ذكرناها . وأصبحت لهندكوش طرقها التى تقذف منها العناصر والجيوش والبضائع فكما كانت هندكوش ملجأ للعناصر فهى أيضاً مركز للطرد نحو شبه القارة الهندية .

مراكز العمران والتقاء الطرق :

مهمنا من تلك الطرق ، الطرق الرئيسية التى كانت سبباً فى خلق مراكز هامة للعمران . ولقد ذكرنا فيما تقدم أن الطرق تدور حول هندكوش وتسير فى شمالها وفى غربها وفى جنوبها بينما يخترقها الطريق الرئيسى وهو طريق حوض كابل نحو الشرق إلى حوض السند . وكانت هذه الطرق تسير لتتفادى السلاسل الجبلية الوعرة وتسير مع سفوحها الجنوبية .

وبذلك خرجنا بنتيجة هى : أن هذه الطرق استدعت قيام مراكز العمران وأن مراكز العمران خلقت لتخدم تلك الطرق وكان معظمها ذو أهمية استراتيجية واقتصادية كبيرة . وكان أهم مواضع المدن التى نشأت على تلك الطرق هو حيث يلتقى مجرى مائى بالطريق فيمهد لتموين المدينة بالمياه اللازمة . ووجدنا حول هندكوش طريقاً يسير فى اقليم بدخشان

(١) من بقايا غزوة الاسكندر ودولة بكتريا .

وتركستان الافغانية موازياً لوادى نهر امودارياوتقع عليه مدن كثيرة مثل كندوز وخلم ومزار شريف وبلخ واكشا وشيبرغان واندخوى . وبعد ذلك يدور الطريق ميمنة إلى وادى مرغ آب ومن هناك يصبح من السهل الاتصال عن طريق هذا الوادى بمدينة مرو فى تركستان الروسية ثم يسير الطريق مع وادى نهرهرى رود ليصل إلى مدينة هرات وعند هرات يدور الطريق حول هندكوش أيضاً إلى سيزوار ثم إلى فره ثم إلى جريشك على نهر هلمند ومنها إلى قندهار . ومن قندهار يسير الطريق نحو الشمال الشرقى إلى قلعة إى غيلزى إلى غزنة إلى كابل . وبذلك يكون قد تفادى هندكوش ودار حولها وبذلك أيضاً يكون قد استدعى قيام مراكز عمران ذات أهمية استراتيجية بالغة .

ووجدنا من هرات طريق يسير نحو الشرق إلى كابل وهو أيضاً طريق رئيسى ويخترق وادى نهر هرى رود ويصل إلى ممر باميان وأوناى حتى كابل .

وبذلك أصبحت هرات مدينة هامة لالتقاء الطرق فى اقليم وعر صعب الاختراق فهى تستطيع الاتصال بحوض كابل فى الشرق وبوسط آسيا عن طريق وادى هرى رود وتركستان إلى الشمال وتستطيع الاتصال بقندهار فى الجنوب بالدوران حول هندكوش (١) .

أما قندهار فقد أصبحت ملتقى أيضاً للطرق الآتية من هرات فى الشمال ومن كابل وغزنه فى الشمال الشرقى (٢) وهى كذلك قريبة الصلة من ناحية أخرى بممر بولان فى الجنوب الشرقى .

أما كابل فقد أصبحت هى الأخرى ملتقى للطرق الآتية من الشرق عن طريق ممر خيبر والآتية من الشمال الشرقى عن طريق ممر باروجيل الواصل

---

(١) طول طريق هرات قندهار ٢٨٠ ميلا (٤٤٨ ك مترا) .

(٢) طول طريق كابل – قندهار ٢٨٠ ميلا (٤٤٨ ك متراً) .

إلى هضاب وسلاسل شترال وواخان وبامير والتبت . وتلك الطرق التي تأتي من الغرب من هرات (١) وما وراءها من سهول وهضاب وسط آسيا .

ولذلك كانت هذه المدن الثلاث كابل — هرات — قندهار مدناً رئيسية في خريطة افغانستان وفي خريطة هندكوش بنوع خاص .

هذا هو العامل الطبيعي الذي أدى إلى نشأة مراكز العمران وإلى ايجاد الضرورة الملحة لوجودها حيث هي . فكيف نجد العامل البشري وكيف قام بدوره هو الآخر في تلك الأقاليم ؟

كثيراً ما يكون العامل البشري نتيجة للعامل الطبيعي وبخاصة حينما تكون الطبيعة قاسية . فحينما يبدأ الانسان في استغلال البيئة الطبيعية نجدها تتحكم فيه تحكماً توجيهياً على الأقل. لذلك ففي حالة مدننا الثلاث هرات — قندهار كابل — ذلك المثلث الشهير من أرض أفغانستان — نجد أن الطبيعة الحت لايجاد هذه المدن في تلك المواضع وأوعزت للانسان بايصال الطرق إليها . وسنرى عند تحليل حياة كل من هذه المدن أن الانسان استطاع عن طريق الاستفادة بهذا الموقع الجغرافي بالموضع الذي هيأته الطبيعة للمدن أن يسير بها سيراً حسناً وأن ترث من الغنى والثروة الشيء الكثير . ولكن الانسان أيضاً عن طريق حروبه وغزواته هدم اجزاء من هذه المدن أو تلاشى وجودها فعلا وأصبحت خرائب واطلالا وهجرها أهلها بسبب غزوة أو هجوم أو حرب طويلة ولكن تأتي عصور أخرى وتتعاقب على حياة تلك المواضع ، ويعود العامل الجغرافي للظهور ثانياً وتعود الحياة بالضرورة إلى تلك المدن وتعود إلى الازدهار من جديد لأن ظروف المكان استدعت قيام المدن في تلك المواضع ولم تحد عن ذلك سبيلا آخر . وقد وجدنا من أمثال تلك المدن مرو ومشهد وهما على أطراف بوابة شمال ايران تعانيان فترة من حياتهما وتزدهران فترة أخرى ووجدنا نفس أسلوب الحياة في هرات — طريق

(١) طول الطريق من كابل إلى هرات ٤٠٠ ميل (٦٤٠ كيلو مترا) .

الغزو والدخول إلى حوض كابل ومن ثم إلى ممر خيبر وإلى سهول الهند الشمالية ووجدنا نفس الظاهرة تتكرر فى قندهار .

لذلك نستطيع أن نصل إلى نتيجة هامة فى هذا الموضوع وهى : أنه فى هذه البيئة القاسية — التى يكون مرور طريق تجارى فيها سبباً فى تدفق الثروة إلى الاقليم والأقاليم المجاورة (١) . فى هذه البيئة القاسية يكون العامل الجغرافى ذا أهمية بالغة فى نشأة مراكز العمران وفى التحكم فى حياتها بالازدهار تارة وبالتدهور تارة أخرى . فحينما يستطيع الانسان الاستفادة من الموقع الجغرافى ويحسن استغلال الطبيعة تزدهر المدينة وحينما يختفى أو يضعف وجود العامل الجغرافى لأسباب بشرية فان المدينة تتدهور .

وسنأخذ بابراز هذه العوامل فى حياة المدن الثلاث الرئيسية هرات — قندهار — كابل .

هرات (٢) Herat

ذكر هرات وأهميتها الجغرافية :

ذكرت هرات على أنها من أشهر المدن فى تاريخ الشرق ومهما فقدت هذه المدينة من مجدها القديم فانها لاتزال ويجب أن تظل دائماً موضعاً مهماً بسبب العامل الجغرافى .

وهرات مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان « لم أر بخراسان

---

(١) ذكر هولدتش انه منذ اواخر القرن التاسع عشر دخلت إلى سوق كابل بعض البضائع الانجليزية والروسية ومنها انتقلت إلى اخواتها هرات وقندهار بسبب اتصالها بتلك الطرق البرية (Holdich, India, P. 90) .

(٢) اختلف الكتاب العرب فى كتابة اسم هرات فقد ذكرت فى معظم المؤلفات بالتاء المقفلة مثل كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ليدن ١٩٣٩ ص ٤٢٧) ومعجم البلدان لياقوت — بيروت ص ٣٩٦ .

والاصطخرى (ليدن ١٩٢٧) ص ٣٤٨ اما ابن بطوطة فقد كتبها بالتاء المفتوحة (هرات) فى الجزء الأول من كتابه الرحلة —المطبعة الخيرية — الطبعة الأولى سنة ١٣٢٢هـ ص ٢٩٣ .

عند كونى بها فى سنة ٦٠٧ مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة محشوة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثراء» (١). ومدينتها بناها الاسكندر حينما دخل إلى الشرق ومر بها إلى الصين (٢) وذكر الأصطخرى (٣) هرات ضمن المدن الكبرى حينما كان يذكر اقليم خراسان «وأما كور خراسان التى تجمع على الأعمال وتفرق فان اعظمها نيسابور ومرو وهراة وبلخ» .

وتقع هرات فى واد خصب يرويه نهر هرى — رود فهى ملتقى الطرق بين اقليم هندكوش فى الشرق وخراسان فى الشمال وسجستان فى الجنوب وايران فى الغرب . وهرات موقع جغرافى ممتاز فتحيط بها من نواحيها الشرقية أطراف سلاسل هندكوش مثل باروبانيساد وكوه — أى — صفيد وتحصران بينهما الوادى الأعلى لنهر هرى رود ولكن أهمية هرات تأتى من كونها تقع عند أول ثنية نهر هرى رود حينما يأخذ فى الاتجاه نحو الشمال فى واد متسع نسبياً أو شبه حوض يقع عند نهاية السلاسل الجبلية . وفى غرب هذا السهل أو نهر هرى رود تبدأ سلاسل أخرى تعتبر امتداداً لسلاسل قزوين وأهمها سلسلة بوشت — أى — كوه ويصنع هرى رود هنا بوابة يصب بعدها شمالا فى سهل مرو مع نهر مرغ آب الواقع إلى شرقه . ويمتد هذا السهل نحو الجنوب حتى كتلة جبلية أخرى تشرف عليه من الجنوب وتمتد بدورها حتى سبخة هامون .

وبذلك وجهت هذه السلاسل والكتل الجبلية منطقة الدخول إلى أفغانستان وأصبحت هرات حارسة على هذا المدخل نحو أرض تركستان الافغانية والروسية من جهة ونحو أفغانستان من جهة أخرى . أما الكتلة الواقعة إلى الجنوب فقد دفعت الطريق إلى السير فى شرقها . فبعد البوابة تضطر

---

(١) ياقوت الحموى (ابن عبد الله الرومى) معجم البلدان مطبعة بيروت ١٩٥٥ م ج ٢٠ ص ٣٩٦ .

(٢) ابن خرداذبة المسالك والممالك طبعة ليدن (بريل ١٣٠٩ هـ) ص ٢٦٥ ويقوله أبو حمد الغرناطى الهروى : هراة ارض خصبها واسع وتنبتها الفاكهة والنرجس .

(٣) الاصطخرى — مسالك الممالك — بريل ١٩٢٧ ص ٢٥٣ .

الطريق إلى الاتجاه نحو هرات ومنها نحو شرق الكتلة الجبلية فيجد مدن سيزوار وفره وجريشك . فكأن المرتفعات هنا تدفع الطريق إلى هذا الاتجاه.

وبذلك أصبحت هرات «فرضة لخراسان وسجستان وفارس» (١) . وكان لها أيضاً صلات مع الجانب الآخر من تلك البوابة الشمالية مع مدن مشهد ونيسابور .

ذكر ابن خرداذبة المسافات بين هرات وسجستان فقال انها تبلغ ٨٠ فرسخاً وبينها وبين نيسابور ٨٠ فرسخاً . وذكر الاصطخرى الطريق من سجستان إلى هرات وعدد به القرى وذكر المسافات بينها (٢) . ونذكر هذه القرى هنا ونعددها لنبين العمران فى تلك المناطق وأهمية الطرق التى تربط بينها . قال : «كركوية على بعد ٣ فراسخ ومنها إلى بشتر فى ٤ فراسخ ويعبر على قنطرة يجرى فيها ما فضل من مياه هندمند ومن بشتر إلى جوين مرحلة ومن جوين إلى بست مرحلة ومن بست إلى كنجر مرحلة ومن كنجر إلى سرشك مرحلة ومن سرشك إلى قنطرة وادى فره مرحلة ومن قنطرة الوادى إلى فره مرحلة ومن فره إلى درة مرحلة ومن دره إلى كوهستان وهى آخر عمل سجستان ومن كوستان إلى خاستان وهى من الاسفزار مرحلة ومن خاستان إلى قناة سرى مرحلة ومن قناة سرى إلى الجبل الأسود مرحلة ومن الجبل الأسود إلى جامان مرحلة ومن جامان إلى هرات مرحلة » . وقد ذكر ابن حوقل نفس الطريق فى كتابه صورة الأرض (٣) .

وبذلك يصل طريق هرات إلى اقليم سجستان ويصبح من السهل اتصاله بقندهار عن طريق جريشك وطوله ٥٧٦ ك متراكما ذكر ذلك هولدتش (٤)

---

(١) الاصطخرى – مسالك الممالك بريل ١٩٢٧ ص ٢٦٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٤٨.

(٣) ابن حوقل – صورة الأرض ليدن بريل ١٩٣٩ ص ٤٢١ .

(٤) Holdich (Sir) India, P. 87.

وهذا الطريق يخترق أراض مفتوحة ورملية وخالية من المياه (داشت) وتمر فيه أكثر بضائع افغانستان التجارية. ومن قندهار إلى كابل وهو طريق رئيسي أيضاً ومهم وقد ذكرت أيضاً مراحله المختلفة إلى غزنة وإلى كابل كما ذكرت القرى ومواضع المياه الموجودة على هذا الطريق (١) . أما اقليم سجستان فقد ذكر فى الكتب العربية وصور على أنه اقليم غنى بالخيرات ويشتمل على قرى كثيرة ومهمة كما قال ابن حوقل : «ناحية خصبة كثيرة الطعام والتمور والأعناب وأهلها ظاهروا اليسار . (٢) أما مدينة غزنة فقد ذكرت على أنها كانت فى يوم من الأيام عاصمة هامة لافغانستان وذات غنى وكان لها شأواً بعيداً فى عهد السلطان محمود الغزنوى كما كانت مركزاً لكثير من الحملات العسكرية التى كانت تغزو الهند . وفى الوقت الحاضر أصبحت غزنة مدينة مهدمة قديمة ذات أهمية بسيطة ولم يبق من عظمتها القديمة سوى مئذنتان .

كذلك تحدثت الكتب العربية عن مراحل الطريق الشمالى الذى يصل هرات باقليم بدخشان (٣) وواخان وخراسان (٤) .

أما اقليم ما وراء النهر الواقع إلى الشمال فيما وراء حوض أمودريا والذى تتصل به هرات أيضاً عن طريق وادى هرى — رود ومرغ آب فهو أيضاً اقليم مهم فى الصلات التجارية مع حوض هراة . وقد ذكره الاصطخرى(٥)على أنه من أخصب أقاليم الاسلام وأنزهها وأكثرها خيراً ... وأما الخصب بها فانه ليس من اقليم ذكرناه الا يقحط أهله مراراً قبل أن يقحط ما وراء النهر » . «وليس مما وراء النهر مكان يخلو من مدن أو قرى أو مياخس أو مراع لسائمة وليس من شيء لابد للناس منه الا وعندهم

(١) الاصطخر — مسالك الممالك ص٢٥٠ ، المقدسى أحسن التقاسيم ليدن ١٩٠٦ ص٣٠٣ .

(٢) ابن حوقل — صورة الأرض ص ٤١٨ .

(٣) ذكرت بدخشان على انها مدخل الناس إلى التبت . مختصر البلدان لابى بكر احمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقيه ليدن (بريل) ١٣٠٢ ص ٣٢٢ .

(٤) ابن حوقل — صورة الأرض ص ٤٢٧ .

(٥) الاصطخرى — مسالك الممالك ص ٢٨٧ .

منه ما يقيم أودهم ويفضل عنهم لغيرهم » . «وأما مياههم فانها أعذب المياه وأخفها قد عمت المياه العذبة جبالها وضواحيها ومدنها وأما الدواب ففيها من النتاج ما فيه الكفاية لهم مع كثرة ارتباطهم لها » .

وهذا القول وان كان يبدو به بعض المبالغة وعدم الدقة فإنه يدل على أن هذه المنطقة كانت ذات انتاج وفير وأن بضائعها ومنتجاتها كانت سلعاً تجارية هامة لها وللأقاليم المجاورة .

تجارة هرات : طرق الحرب والتجارة إلى هرات :

كان للموقع الجغرافى لهرات أهمية بالغة فى الاتصال بوسط آسيا وتجارتها فقد كانت قريبة من بوابة ايران الشمالية الشرقية التى كانت تحرسها مدينتان هامتان أخريان هما مرو ومشهد . فكان موقع هرات فى شرق هذه البوابة موقعاً استراتيجياً وتجارياً هاماً وأصبحت المدن الثلاث مرو — مشهد — هرات مثلث آخر يتحكم فى هذا المدخل الشمالى الشرقى لايران واتخذت هرات أهمية جديدة من حيث صلاتها بهذا المدخل إذ أصبحت كل الطرق الواصلة من وسط آسيا والتى تخترق البوابة تتجمع عند هراة كمرحلة أولى لدخول افغانستان أو شبه القارة الهندية فكان موقع هراة هنا موقعاً حساساً وخطيراً بالنسبة للدخول إلى أرض أفغانستان أو أرض الهند . ولذلك سارت طرق الحرب والفتح والتجارة التى أتت من وسط آسيا ذاهبة إلى الهند عن طريق هذا المدخل وتعرضت هرات لهذه الموجات المتلاحقة عبر تاريخها .

فقد كانت هرات مدينة مزدهرة وبها المبانى والحصون وبلغت شأوا عظيما فى عهد الساسانين ، كذلك فى عهد السامانيين والغزنويين والسلاجقة احتفظت هرات دائماً بأهميتها ولكن قاست المدينة كثيراً فى عهود غزوات المغول لأنها كانت فى طريق دخولهم إلى أرض الهند . ففى عام ١٢٢٢ م استولى عليها تولى Tuli ابن جانكيزخان وقتل الكثير من سكانها وشردهم ثم حكمتها جماعات التاجيك تحت سيطرة المغول حتى عام ١٣٠٧ م حينما استعاد المغول هرات مرة أخرى وجعلوا على عرشها غياث الدين

وازدهرت هرات لفترة من الوقت ثم انهارت مرة أخرى تحت وطأة غزوة تيمورلنك عام ١٣٨٣م وأصبحت هرات بعد موته عاصمة للتيموريين فكان عهداً جديداً لها بنيت فيه المبانى الجميلة وأصبحت مركزاً للفن والعلوم.

واستمرت هرات مدينة مزدهرة ومزدحمة بالسكان حتى انهارت مرة أخرى بسبب غزوة شيبانى الذى استولى عليها عام ١٥٠٧ م وكانت هناك حملات للأمير بابر على هرات باءت كلها بالفشل . ثم انشأ الأمير شاه اسماعيل دولة الصفويين عام ١٥١٠ م .

وقد استمرت هرات تحت النفوذ الفارسى وكانت دائماً موضعاً للكر والفر بين الشيبانيين وبين الفرس . وانهارت قوة الصفويين ووقعت هرات فى قبضة الدرانيين ورئيسهم أحمد شاه فى القرن السادس عشر .

ثم بدأ التدخل الخارجى الروسى والانجليزى والفارسى فى هرات وفى القرن التاسع عشر أعاد الفرس غزوهم للمدينة وانتصروا وبقيت المدينة تحت امرتهم حتى عام ١٨٦٣ م حينما استولى عليها دوست محمد وتوالى عليها ملوك الفرس وأخيراً حكمها شير على الذى جمع جيشاً وقهر به جيوش الانجليز . وفى عام ١٨٨٥ وضعت حدود مقاطعة هرات . وقام الأمير عبد الرحمن بتحصينها .

هذا الكر والفر إن دل على شيء فانما يدل على أهمية موقع مدينة الحدود التى تقع عند مدخل الاقليم ومايترتب على هذا العامل الجغرافى من فترات من الازدهار واخرى من التدهور ثم هنا فى هرات بالذات يدلنا على مدى اتصالها بأرض الفرس فى الغرب وأرض طوران فى الشمال ثم أرض افغانستان فى الشرق .

ولم تقنع هرات بهذة الأهمية العسكرية وانما مارست التجارة أيضاً على طريق الحرب والغزو . فكانت صلاتها مع البلاد المجاورة صلاة وثيقة بعضها ثقافى وبعضها مادى .

فكان يخرج من هرات على طرق التجارة إلى البلاد المجاورة « البز

الكثير(١) وديباج دون وخلدى والزبيب الطائفى والعنجد الأخضر والأحمر ودوشابه وناطفة والبولاذ والفستق وأكثر حلاوات خراسان» .

ويأتى اليها من مرو «الملاحم ومقانع القز والابريم والقطن والبقر والجبن والبزر والشيرج والنحاس » . ومن سرخس الحبوب والجمال .

ومن سجستان يأتى إلى هراة التمور والزنابيل والحبال من الليف والخضر . ويرتفع من قوهستان ثياب .. وبسط ومصليات حسنة . من بلخ الصابون والسمسم والأرز والجوز واللوز والزبيب والعنجد والسمن وعسل الشمس من العنب والتين ولب الرمان والزاج والكبريت والرصاص واسرك الزرنيخ والانجرة .. والادهان والجلود .. واللبود والبسط الحسان والحقائب والنخيل الجيدة والبغال» .

ومن ترمذ الصابون .. ويرتفع من بخارى الثياب الرخوة والمصليات والبسط وثياب الفرش» .

وقد أشاد المقدسى فى كلامه بالخبز فى مرو واللحم فى بخارى والأعناب فى هرات والمعادن فى نيسابور .

كذلك كانت تنقل عن طريق هرات الملابس المصنوعة من القطن ويقول الاصطخرى ان هذه الصناعة قامت فى هرات وكان الفائض منها يرسل إلى الآفاق البعيدة كما ذكر أنه كانت تقوم فى هرات تجارة الفراء والصوف والأدبار (٢) والمعادن مثل الحديد الذى تصنع منه الأسلحة والأدوات المختلفة . كذلك كانت بها معادن الفضة والذهب والزئبق . ويذكر الاصطخرى (٣) أن هذه المعادن كانت كثيرة فى هرات ولا يزيد عليها فى هذه الكثرة سوى بنجهير التى اشتهرت بالفضة . وكانت هذه المعادن وبخاصة الزئبق والذهب تأتى من اقليم ما وراء النهر .

---

(١) المقدسى . احسن التقاسيم طبعة بريل – ليدن ١٩٠٦ ص ٣٢٤ .

(٢) كانت الأدبار تصنع من حيوانات السمور والسنجاب والثعالب وغيرها .

(٣) الاصطخرى – مسالك الممالك ص ٢٨٧ .

أما الفاكهة فهى متعددة الأنواع ومتوفرة فى هرات (١) وكذلك الزعفران ثم المسك الذى كان من السلع الهامة فى تلك الأزمنة ، وكان يجلب من اقليم التبت وخرخيز .

تخطيط هرات :

بنيت هرات لتكون مدينة مربعة الشكل يحيط بها سور له أبواب . وقد بقيت أجزاء من تلك الأسوار حتى الوقت الحاضر . ولقد قامت بعثة (٢) بتفويض من اليونسكو من أجل دراسة الآثار القديمة فى هرات واستنتج علماؤها أن هرات بنيت أصلا على مساحة عرضها حوالى ١٣٠٠ متر من الشرق إلى الغرب ، طولها ١٤٠٠ متر من الشمال إلى الجنوب . ذكر ابن حوقل (٣) أن مساحة المدينة كانت تبلغ نصف فرسخ فى مثله وهى مبنية من طين (٤) . كذلك كان يخط المدينة القديمة شارعان رئيسيان يتقاطعان بزاوية قائمة ويكادان يقسمان المدينة إلى أربعة أقسام متساوية ويوجد المسجد الكبير فى الربع الشمالى الشرقى من المدينة . ونحن نعلم أهمية المسجد فى قيام المدن العربية والاسلامية . ويلتقى عند المسجد ثلاثة شوارع رئيسية من الشمال والغرب والجنوب .

ويقول M. Wilber ان المسجد يرجع فى تاريخه إلى القرن الرابع عشر وأقدم جزء فيه يعود إلى عام ١٣٠٠ وهو يرجعه إلى أحد خلفاء جانكيزخان وان كان ليزين يرجعه إلى عهد أقدم من ذلك .

---

(١) يقول الاصطخرى انه لكثرة الفاكهة كانت الدواب ترعاها .

(٢) Alexandre Lézine "Herat" notes de voyage. B. d'Etude Orientales, T. XVIII, 1963 — 1964. Damas 1964 P. 127.

(٣) ابن حوقل – صورة الأرض – بريل ١٩٣٩ ص ٤٣٧ .

(٤) الاصطخرى – مسالك الممالك (بريل ليدن ١٩٢٧) ص ٢٦٣ .

وفى شرق المدينة توجد حديقة يحيط بها شارعان هامان يخرجان من الشارعين الرئيسيين الشمالى والجنوبى . وتمتد الحديقة فى الوقت الحاضر إلى ناحية الشرق فتخرج عن الأسوار القديمة .

أما القلعة (١) . فقد بلغ ارتفاعها ٢٥٠ متراً وهى تقع فى الزاوية الشمالية الغربية من المدينة القديمة على مرتفع من الأرض . وكان يخرج من القلعة طريق رئيسى إلى الشمال الذى كان يعتبر مدخلا مهماً لأنه المدخل نحو وسط آسيا ونعتقد بأن وجود القلعة فى هذا الركن كان لكى تحرس الجبهة الشمالية للمدينة . أما جنوب المدينة فليس به سوى حصن فى جانب السور الشرقى . وكان بجوار القلعة بئر وفى داخل الجزء الشرقى من القلعة بئر آخر . وكان يحيط بالقلعة عدد من الأبراج (يبلغ ٢٢ برجاً) وكلها مبنية بالطوب الأحمر .

وفى عهد أحدث شيد حمام عام فى الحائط الشمالى للقلعة مكان أحد الأبراج . وكان وجود هذا المرتفع الطبيعى بالقرب من المدينة سبباً فى بناء القلعة التى أصبحت مركزاً للدفاع عن المدينة كلها . ويقال ان هذا المرتفع من الأرض كان مرتفعاً صناعياً من عمل الانسان .

ويقول ابن حوقل والاصطخرى (٢) ان للحصن أربعة أبواب كل منها بحذاء كل باب من أبواب المدينة ويسمى باسم ذلك الباب . كما أن خارج الحصن جدار يطوف بالحصن كله أطول من قامة وكان بينه وبين الحصن أكثر من ثلاثين خطوة . ويوجد بالمدينة سجن ويقع على الظهر قبلة مسجد الجامع بالمدينة عدة آبار جاء بالخريطة الألمانية أن عدد هذه الآبار ٢٥ بئراً (٣) كما أن هناك بئر مياه القلعة .

---

(١) شيدها أو جددها اختيار الدين عام ١٢٩٩ وفى عصور سابقة كانت القلعة تقوم فى وسط المدينة وتدل أسوارها على ان تيمور لنك قد أعاد تشييدها فى ذلك المكان لأنه رأى ان الدفاع عن وسط المدينة المتسع لم يكن كافياً .

(٢) ابن حوقل صورة الأرض ص ٤٣٧ والاصطخرى مسالك الممالك ص ٢٦٣ .

(٣) Op. cit, Lézine, Herat ... P. 129

وتعتبر المزارات من الآثار الهامة فى المدينة وقد سماها الأجانب زيارات Ziarat وأهمها ما وجد بجوار القلعة كذلك هناك آثار فارسية ومعظم مبانيها من الطوب الأحمر . ومن دراسة آثار المدينة يمكننا أن نتفهم تطور تاريخها . وإذا كانت أول المدن التى انشئت باسم الاسكندر أنشئت هنا فى هرات فاننا نجد بالحفر فى فناء القلعة آثار مبان يونانية . وإذا حاولنا دراسة هذه الآثار وجمع المعلومات منها فاننا من الممكن أن نعتبر أن القرن الرابع عشر هو عهد نشأة أقدم الآثار فى المدينة (حوالى ١٣٠٠) ويعود ذلك التاريخ إلى أحد خلفاء الامبراطور جانكيزخان (M. Wilber) وان كان ليزين يعود بذلك التاريخ قرناً آخر إلى الوراء (١) .

هذا وكغيرها من المدن القديمة كانت هرات محاطة بسور له أربعة أبواب (٢) . فالباب الذى يخرج منه إلى بلخ (شمالا) يعرف بباب سراى. والباب الغربى الذى يخرج منه إلى نيسابور يسمى باب زياد . والباب الذى يخرج منه إلى سجستان فى الجنوب يسمى باب فيروز أباد — والباب الذى يخرج منه شرقاً إلى الغور يسمى باب خشك . وقد كانت هذه الأبواب مصنوعة من الخشب باستثناء باب سراى فانه كان مصنوعاً من الحديد . وكان عند كل باب سوق . وكانت أبواب السور هذه مقابلة لأبواب الحصن الأربعة التى تسمى بنفس اسمائها . وكانت هذه الأبواب عامرة بالبساتين والمياه الجارية . وكان أكثرها بساتيناً هو الباب الجنوبى المسمى « فيروز أباد» (٣) أما النهر فكان يسير بجوار باب المدينة ويعبر بالقنطرة «ومخرج الماء من قرب قرية رباط قروان» . فاذا خرج من الغور إلى هرات انشعب إلى عدة أنهار أحدها نهر آنجير الذى يسقى مدينة هرات والبساتين المتصلة الواقعة على طريق سجستان (٤).

---

(١) Op. cit, Lezine, Herat P. 133.

(٢) المقدسى — أحسن التقاسيم — (بريل — ليدن ١٩٠٦) ص ٣٠٤ .

(٣) الاصطخرى — مسالك الممالك ص ٢٦٥ .

(٤) ابن حوقل — صورة الأرض ص ٤٣٨ .

وقد انتصر اشعث بن محمد على هرات وأمر صاحب خراسان أن يهدم سور تلك المدينة . واستولى على حصنها وطمس معالم السور . « فكأنه لم ير لها قط سور ولا كان عليها حصن » (١) .

ويظهر من تلك الأوصاف أن مدينة هرات كانت دائماً ذات أهمية استراتيجية واقتصادية . وكانت صلاتها كبيرة بالاقليم الذى يقع فى جنوبها بدليل ازدهار السوق الجنوبى وكثرة موارد المياه الموجودة هناك . وفعلا كان هذا الباب يؤدى إلى طريق مهم يصل إلى مدن مثل سبزوار وفرة وقندهار التى تتصل بمرو بولان من جهة وكابل من جهة أخرى . وكان هذا الطريق هو الطريق الرئيسى الذى يصل إلى كابل . كذلك كان الباب الغربى — باب زياد — الذى يصل إلى نيسابور مهما هو الآخر لأنه يصل إلى الطريق الرئيسى المار فى جنوب بحر قزوين إلى بلاد الشرق الأوسط . وأستطيع أن استشهد بوجود تلك الصلات التجارية لأننا وجدنا بالعراق قمحاً يسمى قندهارى يعمل منه العيش الأبيض» .(٢) أما الباب الشمالى المسمى باب سراى فكان مصنوعاً من الحديد ليكون متيناً ولان الغزوات كانت تأتى فى معظمها من وسط آسيا . فهناك مرو وبخارى وغيرها وهناك بوابة مشهد التى كانت تعتبر باب الدخول إلى هرات بل إلى الهند نفسها وعن طريقه دخلت غزوات المغول وغيرها من جحافل وسط آسيا إلى الهند . ولذلك كان هذا الباب مهماً عسكرياً لدفع هذه الغزوات ومقاومتها .

ولذلك كله يتبين لنا أهمية نشأة مدينة هرات فى هذا الموقع الجغرافى . ومهما يكن من شىء فان هرات مهما فقدت من مجدها القديم فانها لا تزال ويجب أن تظل دائماً موضعاً هاماً ولا شك أن الأمن وتحسين المواصلات سيساعدان كثيراً على اتساعها وكبرها وهذا يؤيد أهمية العامل الجغرافى فى نشأة مدينة فى هذا الموقع الجغرافى الممتاز .

---

(١) المرجع السابق ص ٤٣٧ .

(٢) Burot et Dresch, La Mditerranée et le Moyen Orient, Paris 1964, T.II, P. 436.

قندهار

ذكر قندهار وأهميتها الجغرافية :

لم تكن قندهار بأقل أهمية من هرات فهى على طريق الصلة إلى كابل والمحطة الرئيسية فى اقليم صحراوى متسع .

ذكر المقدسى قندهار على أنها قَنْدَهار أو قَنْدُهار(١) كماذكرها ياقوت على أنها قَنْدُهار (٢) وخصها «فى الاقليم الثالث طولها ١١٠° وعرضها ٣٠ ° . وهى من بلاد السند أو الهند . مشهورة فى الفتوح » (٣) . والذى يهمنا هنا هو أن قندهار ذكرت أحياناً على أنها من بلاد السند أو الهند وأحياناً أخرى من بلاد الهند فحسب (٤) . وليس هذا خلطاً ولكن الحقيقة أن افغانستان لم تتخذ اسمها الا فى أواسط القرن الثامن عشر . وقبل ذلك العهد لم تكن افغانستان تكون وحدة سياسية قائمة بذاتها وانما كان كل قسم منها يستقل بنفسه ويحمل اسمه ، ولم يكن يربط بين تلك الأقسام أية لغة أو عنصر وإنما كان الاقليم يسمى بلادَ الافغان . وظلوا خاضعين اسماً للحكام الأقوياء من المغول وبنى تيمور وملوك المغول فى الهند والملوك الصفويين فى فارس حتى وصول الغلزائيين إلى الحكم والدرانيين فى عهد أحمد شاه . وحينذاك أصبح الافغان عنصراً حاكماً لجزء كبير من سكان تلك المنطقة وامتد اسم افغانستان حتى شمل جميع البلاد ومنها جزء كبير عرف فى ذلك الوقت باسم خراسان وهو اسم شائع يطلق فى الوقت الحاضر على هضبة تقع شمال جبال سليمان .

وقد ورثت قندهار مقاطعة قديمة كانت تقع مكانها وكان اسمها زمين

---

(١) المقدسى – أحسن التقاسيم (ليدن المحروسة بريل ١٩٠٦) ص ٦٠ .
(٢) ياقوت الحموى . معجم البلدان (مطبعة بيروت ١٩٥٥) ص ١٦ .
(٣) المرجع السابق – ص ٤٠٢ .
(٤) ابن خرداذبه – المسالك والممالك ص ٦٨ .

دوار Zamindawar, وتشمل الوادى الأدنى لنهر هلمند وترنك وارغند آب وارغشان ، وأصبحت مركزاً لأسرة درانى (١) .

وتعتبر مدينة قندهار الحديثة الواقعة على نهر ارغند آب عاصمة المقاطعة المسماة باسمها منذ القرن الخامس عشر . وهى قد أخذت الأهمية من المدن الأقدم منها مثل جريشك وبست Bust . وقد جعلها أحمد شاه حاضرة ملكه وسماها «أحمد شاهى» وهو نفس الأسم الذى نقشه هو وخلفاؤه على مساكنهم واتخذ لنفسه لقب «دردران» وأصبحت قبيلته وهى قبيلة أبدالى تعرف منذ ذلك اليوم باسم «درانى» (٢) .

واكتسبت هذه الأسرة سيطاً بعيداً ومكانة عظيمة بين القبائل ولما كان هذا الملك قد اتصف باللباقة وحسن معاملة القبائل فقد استطاع أن يوطد سلطانه واعتمد فى تدبير الأحوال الاقتصادية فى مملكته على ما يجلبه من مغانم الحروب الخارجية أكثر من اعتماده على فرض الضرائب . وقد نشطت التجارة فى عهده بين افغانستان والهند وبخاصة وقت السلم (٣).

وتعتبر قندهار ذات موقع جغرافى هام وممتاز إذ أنها تقع عند نقطة التقاء الجبل بالهضبة إذ عندها تنتهى حافة عالية من جبال هندكوش وغربها ينفتح السهل حيث تتجمع مجموعة روافد نهر ارغند آب لذلك كانت قندهار ولازالت حارسة لكل الطرق الذاهبة إلى السهول القريبة — إذا استطعنا تسميتها سهولا — وكل الطرق الجبلية النازلة اليها من جبال هندكوش وممراتها . وقد ذكر هولدتش « ان الطريق الواصل بين كابل من ناحية وقندهار من ناحية أخرى هو طريق لا يندثر مطلقاً بسبب أهمية موقعه

---

(١) قال يزيد بن مفزع :

كم بالجروم وارض الهند من قدم ... ومن سرابيل قتل ليتهم قبروا
بقندهار ومن تكتب منيته ... بقندهار يرجم دونه الخبر

(٢) تعيش بعض بقايا هذه الأسرة فى مدينة بشاور ويعتبرون من عليه القوم هناك .

(٣) Holdich (Sir T.H.), India, P. 90.

الجغرافى وهو يتبع الخطوط الرئيسية للمجارى المائية الوسطى كما يخترق التلال الرئيسية التى تقع فى شمالها » (١) .

وخلال القرن التاسع عشر كانت مطامع بريطانيا فى اقليم بلوخستان تتركز فى رغبتها السيطرة على طرق هرات وقندهار والتى كانت تعتبرها المفاتيح إلى غرب افغانستان وجنوبها (٢) .

ولقد خلقت الممرات الجبلية والطرق كثيراً من المدن فى المنطقة فلقد اشتهرت مدينة كويتا لوجودها قرب ممر بولان واشتهرت بشاور لقربها من ممر خيبر واشتهرت نيوشامان لقربها من ممر خوجاك أو تشامان . وأصبحت قندهار مركزاً لالتقاء كل الطرق الآتية من الشمال أو الجنوب فى أفغانستان . فالطريق من قندهار إلى كويتا يسير مسافة ١١٢ كيلو متراً حتى تشامان ومنها حوالى ١٩٠ كيلو متراً حتى كويتا ومن قندهار إلى هرات ٤٨٠ كيلو متراً .

وتتجمع الطرق عند قندهار أحدها يسير إلى كابل ومن ثم إلى حوض بشاور والآخر إلى كويتا وحوض السند الأدنى وقد كانت بريطانيا دائماً تقف بعين الحذر لتراقب تلك المنطقة بكل حرص لأنها تنفتح نحو الهند أو تركستان الروسية . ولذلك فقد اقتنع الأفغان أنفسهم أنه على طول هذا الطريق الكبير العظيم يتوقف مستقبل الهند كلها . فالمنطقة الممتدة من جريشك إلى فره عند مداخل قندهار الغربية عبارة عن أرض مغطاه بالاستبس وهى أرض مفتوحة ليس بها شجرة ولا جبل وقد قامت فى هذه المنطقة أشد المعارك الحربية قسوة بين افغانستان وبريطانيا (٣) . وهذا ان دل على شىء فهو يدل على الأهمية الاستراتيجية للطرق . والمدن المشرفة على تلك المنطقة الحساسة من أرض أفغانستان . ومن فحص الخريطة نلاحظ

---

(١) Ibid, P. 89.

(٢) Spate (O.H.K.), India & Pakistan, London 1960 P. 431.

(٣) Blanchard (R.) Asie Occidentale, P. 157.

أن قندهار توجد فى منطقة طبيعية تتعدد ظواهرها ؛ فالى الشرق منها منطقة جبلية تسير فيها وديان تخترقها طرق رئيسية وهامة وإلى غربها منطقة مفتوحة تنفتح إلى منطقة هضبة منبسطة تكاد تشبه السهول وإلى جنوبها منطقة صحراوية قاحلة كانت تعتبر فى كل العصور منطقة حماية بالنسبة لقندهار ذات الموقع الحصين . ولذلك كانت قندهار فى طريق السائر إلى الشرق أو إلى الغرب . ولم تكتسب أهميتها فقط لهذا الموقع الاستراتيجى وإنما زاد أهميتها انها تقع فى وسط واحة فأصبحت مركزاً لزراعة الفاكهة ومحطة للترانسيت بين شرق أفغانستان وغربها على تلك الطرق الرئيسية الهامة .

تجارة قندهار : تعتبر قندهار واحة خصبة مستوية السطح ترتفع إلى ١٠٦٠ متراً فوق سطح البحر وهى مركز لانتاج الفاكهة الجيدة الأنواع كالكروم والشمام والتفاح والكمثرى وغيرها . وتكاد تتركز ثروات جنوب أفغانستان فى قندهار فان وديان ارغنداب وارغشان ومنطقة زمين دوار تغطيها أصلح تربات غرب أفغانستان الزراعية كما استخرج الذهب قديماً بالقرب من قندهار ولم تكن الطرق التى تلتقى عند قندهار طرق حرب فقط وانما كانت طرقاً تسير عليها تجارة افغانستان الداخلية ، وفى بعض الأحيان التجارة الخارجية . وان كان يفضل نقل البضائع إلى الخارج عن طريق كويتا قديماً وعن طريق ممر خيبر وبشاور وحوض السند حديثاً .

وأهم واردات قندهار الأقمشة الحريرية والصوفية والاابر والورق والعقاقير الطبية وكذلك بضائع هندية مثل التوابل أما قندهار فهى تصدر الأصواف الخام والفاكهة المجففة والطباق والحرير الخام والسجاجيد الايرانية والأوانى النحاسية والسيوف . وأهم الصناعات بها الحرير والجوخ الذى تعمل منه بعض ملابس فصل الشتاء .

تخطيط قندهار :

ولا تختلف قندهار كثيراً عن مدن الشرق إذ أن تخطيطها يشبه تخطيط

المدن العربية والاسلامية القديمة فهى تكاد تشغل مربعاً من الأرض يحيط به سور به قلعة تشرف على المكان وتحقق الأهمية الاستراتيجية للمدينة . وأهم الأجزاء فى المدينة هو السوق والمسجد . ويعتبر السوق المكان الذى تتلاقى فيه الشوراع الأربعة الرئيسية المتقاطعة فى المدينة وتتفرع منه الشوراع الثانوية .

إلا أن هذا السور قد تهدم فى أجزاء منه لكى تكبر المدينة وتتسع الا أن بقاياه وبقايا القلعة القديمة لا تزال موجودة تنبىء عن ذلك التاريخ القديم الزاهر وتبين أهمية العامل الجغرافى الذى كتب أسطر هذا التاريخ .

كابل

ذكر كابل وأهميتها الجغرافية :

تشرف كابل على الأحواض العليا لنهر كابل ولوجار وتاجاو وغزنة «وكابل بضم الباء مدينة معروفة فى بلاد الترك» . (١) وقد ذكرت كابل باسم كابلان شاه (٢) . كما ذكرت على أنها من ثغور اقليم طخارستان . وقد ظلت كابل دائماً مدينة مستقلة أكثر من غيرها من مدن أفغانستان (٣)

وقد ذكر الكتاب العرب أن كابل هى فرضة الهند (٤) ولها عند الهنود شان (٥) . وذكر ياقوت (٦) أن كابل ولاية ذات مروج كبيرة

---

(١) البكرى الأندلسى (معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع ص ٤ طبعة السقا القاهرة ١٩٥١ م ص ١١٠٨ .

(٢) ابن خرداذبة المسالك والممالك (ليدن بريل ١٣٠٩ هـ) ص ١٧ .

(٣) يزعم بعض الكتاب العرب ان الشاه لا يستحق الملك إلا بأن يعقد له الملك بكابل وان كان منها على بعد ولا يستحقه حتى يصل اليه فيعقد الشاهية له هناك .

(٤) الاصطخرى – مسالك الممالك (بريل ليدن ١٩٢٧) ص ٢٨٠ .

(٥) المقدسى – أحسن التقاسيم (ليدن – بريل ١٩٠٦) ص ٣٠٤ .

(٦) ياقوت – معجم البلدان حـ ١٦ ص ٤٢٦ .

بن هند وغزنة .. ونسبتها إلى الهند أولى» . وقال ابن الفقيه : «كابل من ثغور طخارستان ولها من المدن واذان وخواش .. ولكابل عود وتارجيل وزعفران وأهليلج لأنها متاخمة للهند» (١) .

«وكابل لها قلعة حصينة واليها طريق واحد وفيها المسلمون ولها ربض به الكفار من الهنود» (٢) . كما ذكر بروكلمان : «اقليم كابل الهام الواقع على الحدود والذى يسيطر على الممالك المؤدية إلى السهل الهندى الخصيب» (٣) .

ويهمنا من هذه النصوص المختلفة عدة نقاط تتلخص فيما يأتى : أولا أن كابل تذكر دائماً على أنها متاخمة للهند أو متعلقة بالهند أو فرضة الهند فى تعبير صريح وثانياً أن كابل فرضة أى عاصمة أو مدينة رئيسية .

وتتبين لنا الناحية الأولى فى أن حوض كابل يقع فى الناحية الغربية لممر خيبر مقابلا لحوض بشاور الذى يقع مقابلا له فى الناحية الشرقية وبينهما طريق طوله ٢٧٢ ك متراً يخترق سلاسل الجبال . و قد كان للحوضين آثار عظيمة ليس فى توجيه التاريخ فى المنطقة كلها فحسب بل فى توجيه تاريخ كل من الهند وأفغانستان . ولقد كانت كابل مقر ملوك المغول واتخذها الدرانيون عاصمة لهم بدلا من قندهار وأصبحت منافستها بشاور مركزاً للقبائل التى تعيش فى السهول القريبة من نهر السند حتى استولى عليها السيخ فى عام ١٨٣٤ م ، وصارت بشاور جزءاً من الهند البريطانية منذ عام ١٨٤٩ م وبذلك انفصلت نهائياً عن افغانستان ولم تصبح كابل فرضة للهند .

وأما الناحية الثانية فتظهر لنا فى الأهمية الجغرافية لمدينة كابل .

أهمية كابل الجغرافية : إذا تأملنا الخريطة نجد أن كابل ملتقى لطرق

---

(١) المرجع السابق ج ١٦ ص ٤٢٦ .

(٢) الاصطخرى – مسالك الممالك ص ٢٨٠ .

(٣) كارل بروكلمان – تاريخ الشعوب الاسلامية – بيروت ١٩٤٩ ص ١١٩ .

أفغانستان الآتية من الغرب . وهى مفتاح للطرق الذاهبة إلى الهند وهى تشرف تماماً على تلك الطرق بدليل قول الاصطخرى « ولها طريق واحد» . كما أيد ذلك كثير من كتاب الغرب حينما ذكروا ان كابل تشرف على كل الطرق الذاهبة إلى شبه القارة الهندية كما تشرف على الطرق التى تتجمع عند قندهار . وكان هذا ولا يزال هو السبب الذى جعل كابل أكثر أهمية من قندهار أو هرات لكى تمسك مفتاح الهند . وتؤيد الخريطة هذا الكلام كله ، إذ اننا نجد أن كابل تقع فى حوض نهر كابل الأعلى وتحيط بها الكتل الجبلية العالية من كل جانب ولكنها مع ذلك من الممكن أن تتصل بالعالم فيما وراء تلك الكتل الجبلية عن طريق وديان نهرية أو ممرات هيأتها الطبيعة لكى تعطى ذلك الحوض موضعاً استراتيجياً هاماً .

فالى الجنوب نجد نهر لوجار وأعالى هلمند والطرق المنفتحة اليهما تصل كابل بمدينة قندهار عن طريق غزنة . وهى فى الوقت الحاضر محله صغيرة مهدمة وان كانت فى القديم مدينة مزدهرة ، وقصبة رحبة منعمة طيبة الفواكه وكان لها أربعة أبواب أشهرها : باب باميان . ويبلغ طول هذا الطريق ٥٠٠ ك متر .

وإلى الشمال نجد ممرات لاتاباند وأوناى وشيبار وهى تصلها باقليم خراسان فى الشمال حيث «مدن الواحات»-الغنية وطول هذا الطريق حوالى ٦٠٠ ك متراً .

وإلى الشمال الشرقى نجد ممر خوك وما ندال الذى يصلها باقليم واخان الشهير ورافد أمودريا الأعلى وإلى الشمال الغربى نجد ممرات آق رباط ونيل وطريق مدينة باميان الشهيرة . وهى تصلها بحوض هرى رود الأعلى الذى يصل بالتالى حتى هرات . ومن المعروف أن هذا الطريق كان فى أغلب الأحيان طريق الدخول إلى أفغانستان . وإلى الشرق نجد طريق جلال اباد الذى يمر بممر جكدلك ومنه إلى خيبر — المدخل الرئيسى لشبه القارة الهندية .

ولذلك كله أصبحت كابل مدينة هامة ومركزاً للطرق الافغانية الذاهبة إلى شمال الهند أو الآتية منه فتلتقي عندها عدة طرق من تركستان وهرات وغزنة وقندهار ووادى كرم والبنجاب عن طريق جلال أباد. ولذلك أيضاً أصبحت كابل مركزاً تجارياً بالنسبة لوسط آسيا . وهى تعتبر مركزاً لتجمع المتاجر من شبه القارة الهندية . : تأتيها الأقمشة القطنية والأصباغ والتوابل والعقاقير الطبية . ومن تركستان تأتيها الأقمشة القطنية والحرير والمخمل والورق . وتشتهر كابل نفسها بالفاكهة والقمح وأنواع الفاكهة بها جيدة وهى تصدر معظمها إلى حوض بشاور فى باكستان . وأهم أنواع الفاكهة : الكرم الجيدة والتفاح والكمثرى والبرقوق والفاكهة المجففة .

ويقول هولدتش ان العين ترامى لعدة مئات من الأميال المزروعة بالقمح تقطعها فى أجزاء منها أشجار التوت والمشمش والجوز . وتشتهر منطقة كوه دامان شمال كابل بانتاجها الوفير من الفاكهة . وكذلك سهل تشرده الواقع فى غرب كابل وكذلك حوض لوجار فى الجنوب الذى يشتهر بالقمح .

ولكابل قلعة حصينة قديمة وكان لها سور كغيرها من المدن القديمة : وأهم مركز عمرانى فى المدينة هو السوق وتخرج منه أربع شوارع متقاطعة. والسوق مغطى مثل أسواق المدن العربية والشرقية . وتجتمع فيه الصناعة والتجارة .

ويميز الأسواق الافغانية ازدحام الشوارع ووفرة السلع مثل الشمام والتفاح والعنب والرمان والكمثرى والبرقوق والجوز وبجوارها نجد حوانيت طرق النحاس والنحاس الأصفر بنوع خاص وكذلك الحديد ثم صناع الفخار والمطاعم والمقاهى ومحلات بيع الأقمشة كحرير بخارى وسجاجيد وسط آسيا وتركستان ثم المصنوعات الصوفية المحلية والجلود والفراء. وفى جزء من السوق نجد حوانيت الجزارة والأفران وصانعى الأحذية الافغانية المزركشة . والتجارة مزدهرة دائما بين افغانستان وشبه القارة

الهندية فى عهود السلم كما حدث فى عهد أحمد شاه وكانت هذه التجارة تسير على الطرق والدروب وتتجمع فى المراكز العمرانية التى تعتبر أماكن للاستراحة . ولذلك اتخذت كل تلك المدن أهميتها ليس بسبب الثروة الزراعية وانما لكونها مراكز تجارية واستراتيجية هامة . وهذا بسبب العامل الجغرافى الذى أكسبها تلك الأهمية .

وهكذا وجدنا ان مدن هرات – قندهار – كابل أصبحت بموقعها الجغرافى أهم مراكز فى اقاليمها ويزيد من تلك الأهمية أن كلا منها نشأت فى واد خصب وتكفى نفسها بنفسها . كما أصبحت تتحكم فى مجموعة من الطرق تؤدى إلى مدن أخرى فى شبه القارة الهندية أو ايران أو تركستان وآسيا الوسطى .

هذا ونجد أن هذه المدن الثلاث وان كانت شاهداً على أهمية العامل الجغرافى فى هذه المناطق وكانت تعتبر دائماً الخط الأول لارتباط الصلات وانعقادها فى تلك الأقاليم الجبلية الا أنه كانت هناك طرق أخرى تمتد مع تلك السلاسل وتؤدى إلى نشأة المراكز العمرانية الزاهرة . ومن أمثلة ذلك غزنة وجلال اباد وجريشك وسبزوار ومدن خراسان .

وعلى ذلك فمن الممكن أن نقول ان اقتراب الجبل من السهل أو الجبل من الوادى قد أدى إلى خلق تلك الواحات التى تجمعت عندها بعض المياه القليلة المنحدرة من السفوح فكونتها . ففى هذه الأقاليم القاحلة القليلة السكان نشأت المراكز العمرانية وازدهرت وسط السلاسل الجبلية المقفرة وكان عامل اقتراب الجبل من الوادى عاملا جغرافياً أساسياً نشأت بسببه تلك المدن ثم اتصلت بعضها ببعض عبر الجبال تارة إذا توفرت الممرات الجبلية، ومع اتجاه السلاسل نفسها تارة أخرى إذا لم تتوفر . وهكذا كانت هذه المدن هى مدن التجارة والحرب .

وفى ختام البحث أصل إلى نقطة هامة ورئيسية وهى أن العامل الجغرافى

الذى يتلخص فى التقاء الجبل بالسهل أو الوادى قد أدى إلى نشأة المدن . وقد سبق أن تكلمت عن عامل جغرافى آخر فى نشأة المدن وهو اتصال اليابس بالماء عند نشأة مدينة السويس . وبذلك نجد أن مسألة العامل الجغرافى تتحكم إلى مدى بعيد فى نشأة المدن فوجود الممرات الجبلية أو الأنهار التى تخترق المرتفعات تؤدى إلى نشأة المدن عند المنافذ فى مناطق الوعورة ونجد كثيراً من أمثال هذه المدن فى قارات أخرى من العالم تفتح أمام الباحثين مجالات أخرى للبحث والاستقصاء .

المراجع

المراجع العربية :

ـ ابن بطوطة : (١٣٠٤ ـ ١٣٧٧م) أبو عبد الله محمد بن عبد الله «تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار» .
طبعة بيروت ١٩٦٠م . وطبعة المطبعة الخيرية ١٣٢٢ هـ (الطبعة الأولى) .

ـ ابن حوقل : أبو القاسم (كتب عام ٩٧٧م) صورة الأرض ـ ليدن بمطبعة بريل ١٩٣٩ م .

ـ ابن خرداذبة : أبوالقاسم عبيد الله بن عبد الله ـ المسالك والممالك ـ ليدن ـ بريل ١٣٠٩ هـ .

ـ الاصطخرى : أبو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسى ـ المعروف بالكرخى ـ مسالك الممالك ـ ليدن مطبعة بريل ١٩٢٧ م .

ـ البكرى الأندلسى ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ج ٤ طبعة السقا ـ القاهرة ١٩٥١ م .

ـ المقدسى : أبو عبد الله محمد بن أحمد . أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم . ليدن مطبعة بريل ١٩٠٦ م .

ـ كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الاسلامية (ترجمة) بيروت سنة ١٩٤٩ م .

ـ ياقوت : بن عبد الله الرومى ـ معجم البلدان ـ بيروت ١٩٥٥م.

المراجع الأجنبية :

— Blanchard (R.) :
Asie Occidentale, Geogr. Universelle (1ière partie) T. VIII, Paris, 1929.

— Burot (P.) et Dresch (J.), :
La Mediterranée et le Moyen Orient, (T. II), Paris 1964.

— Holdich (Sir J. H.) :
India, London بدون تاريخ

— Lezine (A.) :
"Herat" Notes de Voyage, Bulletin d'Etudes Orientales, T. XVIII, Damas 1964.

— Spate (O.H.K.) :
India and Pakistan, London, 1960.

شكل (٤)

قلعة هرات ويبدو إلى اليسار جزء من سور هرات

شكل (٥) القوافل فى أحد الممرات الجبلية

طرق من كابل عبر هندكوش

شكل (٢)

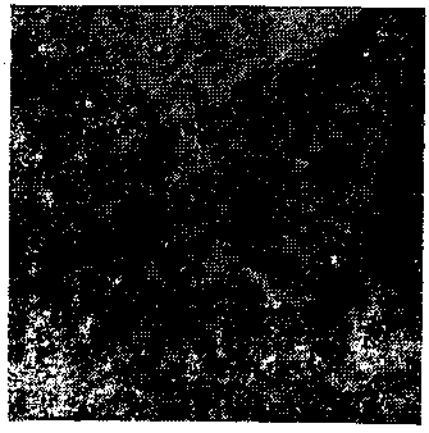

شكل (٦)
وادى شديد الارتفاع يكاد يقترب من قمم الجبال

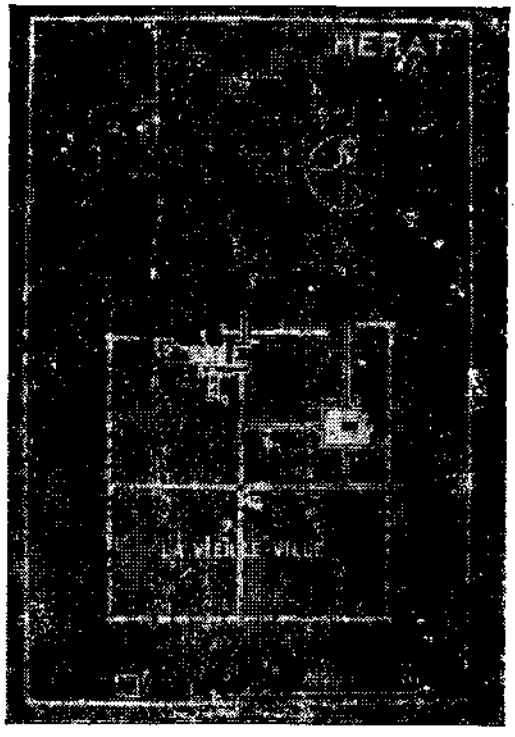

شكل (٧) شكل تخطيطى لمدينة هرات

شکل (۸) وادی بامیان

شكل(٩) أحد سكان المناطق الجبلية فى أفغانستان

الأنموذج فى بحث الاستعارة

تأليف : **محى الدين الكافيجى**

(٧٨٨هـ - ٨٧٩هـ)

دراسة وتحقيق :

الدكتور عثمان موافى

مقدمة

الكافيجى وآثاره العلمية

مؤلف هذا الأنموذج ، هو أبو عبد الله محى الدين ، محمد بن سليمان ابن سعيد ، بن مسعود المحيوى ، والملقب بالكافيجى ، نسبة إلى كافية ابن الحاجب فى النحو (١) ، الذى اشتهر بكثرة قراءته وتدريسه لها .

وهو تركى الأصل ، فقد ولد ونشأ فى كوك جاكى (٢) ، من أعمال صروخان ، فى بلاد الأناضول ، سنة ثمان وثمانين وسبعمائة (٣) (٧٨٨هـ)

وقد دفعه الشغف العلمى ، إلى أن يجوب البلدان الإسلامية ، المجاورة لمسقط رأسه فى الأناضول ، وفارس ، وبلاد الترّ ، باحثاً عن العلم والعلماء وتحقق له ما أراد ، واستطاع أن يلتقى بكثير من علماء عصره الأجلاء ، فى المشرق الإسلامى ، ويغترف العلم من مناهلهم العذبة ، كالشمس الفنرى

---

(١) بزيادة جيم على طريقة اللغة التركية فى النسب ، وهى تعادل ياء النسب فى العربية . انظر الضوء اللامع للسخاوى جـ ٢ ص ٢٥٩ ط : القدسى .

(٢) روزنتال علم التاريخ عند المسلمين ص ٣١٨ الترجمة العربية . ط المثنى ببغداد .

(٣) السيوطى – بغية الوعاة ص ٤٨ ط : الحلبى ، وانظر كذلك : شذرات الذهب لابن العماد جـ٧ ص ٣٢٦ – ٣٢٨ .

والبرهان حيدرة أحد تلامذة التفتازانى ، والشيخ واجد ، وابن فرشته شارح المجمع ، وعبد الواحد الكوتانى ، (١) وغيرهم من جلة علماء عصره الأفذاذ .

ولا شك أن اتصاله بهؤلاء العلماء الكبار فى عصره ، وتلمذته عليهم ، قد أمده بزاد علمى وفير ، أعده فيما بعد ، لأن يكون حجة ، فى كثير من فروع العلم والمعرفة بعامة ، والثقافة الإسلامية والعربية بوجه خاص .

وقد لاحظ ذلك ، بعض تلامذته ومعاصريه ، فهذا السيوطى أحد تلامذته ، يقول عنه (وكان الشيخ ، إماما فى المعقولات كلها ، والكلام وأصول الفقه ، والجدل والمنطق ، والفلسفة والهيئة ، بحيث لا يشق أحد غباره ، فى شىء من هذه العلوم . وله اليد الحسنة ، فى التفسير وعلوم الحديث) . (٢)

وإذا كان السيوطى أحد تلامذته المعجبين به ، ورأيه فيه ، قد يكون أقرب إلى الذاتية منه إلى الموضوعية ، فهاك رأى معاصر آخر ، وهو السخاوى الذى لم يكن ينظر إليه هذه النظرة ، وكان كما تشير كتب تراجم أعيان هذا العصر ، نداً للسيوطى ، وخصما عنيداً له ، وقلما اتفق معه فى رأى .

ولكنه يكاد يتفق معه هنا ووجهة نظره فى الكافيجى . ويوضح ذلك ، قوله عنه :(وبالجملة فقد صار علامة الدهر ، ونادرة الزمن ، وفخر هذا الوقت والأوان ، والأستاذ فى الأصلين ، والتفسير والنحو والصرف ، والمعانى والبيان ، والمنطق والهيئة ، والهندسة ، والحكمة والجدل ، مع مشاركة حسنة فى الفقه والطب ، ومحفوظ كثير من الأدب ، واستعمال للنثر فى كتاباته ، بل ربما اخترع بعض العلوم) (٣) .

وعلى كل حال ، فبعد أن حصل صاحبنا هذا ، قدراً كبيراً من العلم

---

(١) الضوء اللامع جـ٨ ص ٢٥٩ ،

(٢) بغية الوعاة ص ٤٨ .

(٣) الضوء اللامع جـ٧ ص ٢٦١

الإسلامى والمعرفة ، ترك المشرق الإسلامى البعيد ، ويمم وجهه شطر المشرق القريب ، حيث الشام ومصر . وقد بدأ رحلته العلمية الجديدة ، بزيارة الشام والتعرف على أساتذة العلم به ، وطالبيه ، وقد أفاد كثيراً منهم بعلمه وفكره

ويبدو أن الشام ، لم يستطع أن يغريه بالبقاء فيه مدة طويلة ، ولذا نراه يرحل عنه سريعاً إلى مصر ، التى كانت فى هذه الفترة من الزمن — القرن الثالث الهجرى — ، أكثر إغراء من الشام . فقد كانت حاضرة الخلافة الإسلامية آنذاك ، وكعبة العلم والفكر ، التى يحج إليها كثير من العلماء والفقهاء ، والمفكرين المسلمين فى هذا العصر .

فقد استطاعت منذ انتصارها على الصليبيين ، وصدها لغارات المغول على العالم الإسلامى ، أن تتبوأ هذا المكانة بين أمصار هذا العالم المختلفة .

وتتنازل لها بغداد ، طائعة مختارة ، عن زعامة هذا العالم(١) ، الفكرية والروحية .

يضاف إلى ذلك ، أن كثيراً من العلماء والفقهاء المسلمين ، الذين فروا من بغداد ، إثر الغزو المغولى لها ، لاذوا بحمى مصر .

فالمناخ العلمى فى مصر ، كان أكثر ملائمة له من الشام ، وذهابه إليها قد يكون نهاية المطاف ، وبداية لسطوع نجمه العلمى ، وسط مجامعها الثقافية والعلمية .

ومن ثم فلا نعجب أن نراه ، بعد نزوله مصر ، ومقامه بالبرقوقية سنين ، يجتمع ببعض علمائها ، وفقهائها ، ويناقشهم فى مسائل علمية كثيرة

ثم يظهر نبوغه ، ويشهد له بالعلم والذكاء ، ويتقاطر عليه ، وجهاء مصر ، وفضلاؤها آنذاك ، طالبين العلم والفقه .

---

(١) عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية فى مصر ص ٢٣ ط : الأولى .

يقول السخاوى عنه (وظهرت كفاءته ، وكمل لأته ، فأقبل عليه الفضلاء كابن أسند ، والبدر أبى السعادات البلقينى .. ، وتصدى للتدريس ، والافتاء وذلت له الأعناق ، وشاع ذكره ، وانتشرت تلامذته وفتاواه ، وأخذ الناس عنه طبقة بعد أخرى((١)

ويبدو أن شهرته العلمية ، قد طبقت آفاق مصر كلها آنذاك ، حتى وصلت إلى أسماع أمرائها وسلاطينها .

فابن اياس أحد مؤرخى هذه الفترة ، يذكر ضمن أحداث شهر المحرم سنة ثمان وخمسين وثمانمائة (٨٥٨هـ) ، أن السلطان برقوق خلع على صاحبنا هذا وقلده منصباً علمياً كبيراً فى عصره ، وهو مشيخة الشيخونية ، بدلا من العلامة كمال الدين بن الهمام ، الذى رحل إلى مكة المشرفة ، وكان ذلك بناء على رغبته . (٢)

وقد كان كذلك ، موضع تقدير وإعجاب ، من بعض سلاطين المسلمين خارج مصر وبخاصة فى الأناضول ، موطنه الأصلى . فبعض المؤرخين ، يشير إلى أن سلطان الأتراك العثمانيين فى عصره (٣) ، كان معجباً بعلمه وأدبه غاية الاعجاب ، وكانت بينهما مراسلات علمية كثيرة(٤). ويبدو أن إعجاب هؤلاء السلاطين ، والفضلاء بهذا الرجل ، لم يكن مرده ، علمه وفقه وحسب ، وإنما كان مرد أيضاً ، ما كان يتحلى به من صفات ، خلقية حميدة . فلقد كان يقول السيوطى (حسن الاعتقاد فى الصوفية ، محباً لأهل الحديث ، كارها لأهل البدع ، كثير التعبد على كبر سنه ، كثير الصدقة والبذل ، لا يبقى على شىء ، سليم الفطرة ، صافى القلب ، كثير الاحتمال لاعدائه ، صبوراً على الأذى» . (٥)

---

(١) الضوء اللامع جـ ٧ ص ٢٥٩ – ٢٦٠

(٢) تاريخ ابن اياس « بدائع الدهور» جـ٣ ص ١٨ ط : دار المعارف بمصر

(٣) يبدو أنه محمد الثانى بن مراد ، الذى خلفه سليم الأول فاتح مصر .

(٤) الضوء اللامع جـ٧ ص ٢٦٠ .

(٥) بغية الوعاة ص ٤٨

فالرجل لم يكن عالماً وحسب ، ولكنه كان كذلك ، تقياً ورعاً ، ذا خلق نبيل .

وهذا ما حدا ببعض شعراء هذا العصر إلى مدحه ؛ ومن أحسن ما قيل فيه ، قول البدر حسن ابراهيم الخالدى :

لك الله محى الدين بحـــــر مكارم ... وبحر علوم لا يحاط عميقه
فيامجمع البحرين قد فقت حـــاتماً ... وفى الفضل للنعمان أنت شقيقه

ولما وافته المنية سنة ، تسع وسبعين وثمانمائة (٨٧٩هـ) ، رثاه بعض شعراء مصر ، بدموع حراق ، معبرين عن مدى إحساسهم ، بالخسارة الفادحة ، التى خسرها العلم بفقده . ومما يصور ذلك ، أدق تصوير وأصدقه ، قول الشهاب المنصورى فى رثائه :

بكت على الشيخ محى الدين كافيجى ... عيوننا بدموع من دم المهج
كانت أساريرهذا الدهر من درر ... تزهى فبدل ذاك الدر بالسبج
فكم نفى بسماع من مكارمه ... فقراً وقوم بالاعطاء من عوج
يانور علم أراه اليوم منطفئاً ... وكانت الناس تمشى به فى سرج
فلما رأيت الفتاوى وهى باكية ... رأيتها فى بحيع الدمع فى لجج
ولو سرت بثناه عنه ريح صبا ... لاستنشقوا من ثناها أطيب الأرج
ياوحشة العلم من فيه إذا اعتركت ... أبطاله فتوارت فى دجى الربج
لم يلحقوا علم شىء من خصائصه ... عنا ورتبته فى أرفع الدرج
قد طالما كان يقرينا ويقرئنا ... فى حالتيه بوجه منه مبتهج
سقيا له وكساه الله نور سنا ... من سندس بيد الغفران منتسج

ويظهر أن تقدير وجهاء مصر ، وفضلائها ، لهذا الرجل ، وتقاطرهم عليه ، وما تبع ذلك ، من إجلاله ، المكان العلمى اللائق به ، قد أثار حفيظة

---

(١) المرجع السابق والصحيفة .
(٢) المرجع السابق ص ٤٨ — ٤٩ .

كثير من العلماء المصريين عليه . فالسيوطى يذكر أثناء ترجمته له ، أن أباه كان منصفاً له ، على العكس من كثير من العلماء المصريين فى عصره .

وهذا شيء طبيعى يحدث فى كل عصر وزمان ، وقد يحذر أصحاب النقد التاريخى من العلماء المسلمين ، من نقد العلماء بعضهم لبعض ، ورفضوا قول القرين فى القرين ، والمعاصر فى المعاصر . وقالوا قولتهم المشهورة ، يؤخذ بقول العلماء فى كل شيء ، إلا قول بعضهم ، فى بعض (١)

والخصومات بين العلماء ، لم تنقطع على مدى التاريخ ، ولازالت .. ، وستظل .. ما بقى العلم حياً .

ومهما يكن من أمر هذا الغبن ، الذى أنزله كثير من علماء مصر بصاحبنا ، فإن شهادة المنصفين له منهم تزكيه ، وحسبه انصافاً وتزكية ، هذه الكثرة الكثيرة من المصنفات العلمية ، التى تركها لنا ، وهى تزيد على المائة . (٢).

ولكن أغلبها ، رسائل ومختصرات ، ولم يذكر ، من ترجموا له منها إلا أحسنها كما يقولون ، (٣) مثل :

١ ــ المختصر المفيد فى علم التاريخ
٢ ــ أنوار السعادة فى شرح كلمتى الشهادة .
٣ ــ نزهة المعرب فى النحو
٤ ــ التيسير فى قواعد التفسير .
٥ ــ شرح القواعد الكبرى لابن هشام
٦ ــ المختصر فى علم الأثر .

---

(١) انظر كتابنا : منهج النقد التاريخى عند المسلمين والمنهج الأوربى ص ١٠٣ ط : مؤسسة الثقافة الجامعية .
(٢) الضوء اللامع جـ ٧ ص ٢٦٠ .
(٣) السيوطى ــ بغية الوعاة ص ٤٨ .

٧ ــ الاحكام فى معرفة الايمان والأحكام
٨ ــ حل الأشكال فى الهندسة
٩ ــ الالماع بافادة لو للامتناع
١٠ ــ جواب فى تفسير والنجم إذا هوى
١١ ــ مختصر فى علم الارشاد . (١)

ومعظم هذه المختصرات ، لايزال مخطوطاً ، ولم ينشر منها فيما أعلم إلا كتاب المختصر فى علم التاريخ ، وقد نشره المستشرق الأوربى روزنتال معتمداً فى ذلك ، على النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية . (٢)

أما البحث الذى بين أيدينا ، وهو «الأنموذج فى بحث الاستعارة» ، فلم يرد له ذكر ضمن قائمة المصنفات العلمية ، التى ذكرها القدماء له ، مثل : السيوطى ، والسخاوى ، وابن العماد . ولكن عدم ذكر هؤلاء ، لهذا البحث ضمن قائمة مصنفات المؤلف ، لايدعونا إلى الشك فى صحة نسبته إليه ، فهناك أدلة كثيرة ترجح صحة نسبة البحث اليه ، أهمها ،

(أولا) أنه كتب فى صدر الصحيفة الأولى ، تحت عنوانه ، إنه من تأليف أبى عبد الله محى الدين الكافيجى ، وليس هذا وحسب ، بل إن ختم المؤلف وامضاءه ، مطبوعان على آخر صحيفة من هذا البحث (٣) .

(ثانياً) إن طريقة المؤلف فى التعبير ، يغلب عليها النزعة العقلية المنطقية ، وهو فى مناقشات موضوعات بحثه ، ومسائله ، يشبه المتكلمين وأصحاب الجدل والمناظرة لدرجة أنه ، يستعمل بعض مصطلحاتهم ، مثل : أشكال القياس الأربعة ، والهيولى والصورة ، .. ولا غرابة فى هذا

---

(١) أنظر الضوء اللامع جـ٧ ص ٢٦٠ ، وكذا بغية الوعاة ص ٤٨ ، والاعلام للزركلى جـ٧ ص ٢٢ ط : الثانية .

(٢) نشر هذا البحث ، ضمن كتابه علم التاريخ عند المسلمين . انظر الترجمة العربية له .

(٣) انظر الشكل الأول والثالث ، ص ١٤٦ ، ص ١٧٨ .

فقد قال عنه ، بعض من ترجم له من معاصريه ، إنه كان إماماً في المعقولات والكلام وأصول الفقه . (١)

(ثالثاً) أننا لو قارنا أسلوب المؤلف ومنهجه في هذا البحث ، بأسلوبه ومنهجه في بعض أبحاثه الأخرى ، التي صح نسبتها إليه ، لاتضح لنا ، أنه يشبهها كثيراً .

ولنأخذ على سبيل المثال ، كتاب المختصر في علم التاريخ ، الذى نشره روزنتال ، فمن ناحية المنهج ، نجد المؤلف يبوب موضوعات هذا الكتاب في ثلاثة أبواب .

الباب الأول : في مبادىء علم التاريخ .

الباب الثاني : في أصول علم التاريخ

الباب الثالث : في شرف هذا العلم .

وهذا تقريباً ، ما صنعه في الأنموذج ، فقد حصر مسائله كما سنرى في بابين : ثم إننا نجده في المختصر ، يتكلم عن المقدمات أولا ، ويقرر القواعد والأصول ، ثم يشرع بعد ذلك في الشرح والتفصيل .

يقول مثلا (فإذا تقررت هذه المقدمات ، فلنشرع في تمهيد أصول علم التاريخ وقواعده ص٣٤٣) ويقول كذلك (فإذا فرغنا من تقرير القواعد والأصول ، فلنشرع في ايضاحها ص٣٤٤) .

وتجده في الأنموذج ، يبدأ بعرض آراء العلماء البلاغيين ، قدماء ومتأخرين ، في تعريف الاستعارة ، ووجهة نظر كل فريق منهم في ذلك مجملا في عرضه ، ثم مفصلا بعد ذلك ، ومناقشاً كل فريق على حدة . فمنهجه في الأنموذج ، وطريقته في معالجة قضاياه ، تشبه طريقته في المختصر .

---

(١) بغية الوعاة ص ٤٨ .

وليس هذا وحسب ، بل نجده ، يتمثل فى الأنموذج ببعض أبيات ذكرها كذلك فى المختصر (١) . مثل قول بعضهم :

ألا إن الأشعرى أبى الحسن ومتبعيه فى القبيح وفى الحسن
وإن كان منسوباً إلى الجهل عن قلى لرأى حقيق بالقبول فأعلمن

وقول آخر :

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى
ونار لو نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ فى الرماد

ناهيك بالمسحة العقلية المنطقية ، التى يتسم بها أسلوبه التعبيرى فى المختصر وهذا بلا شك يشبه أسلوب الأنموذج .

فنهج الكافيجى فى المختصر ، وأسلوبه التعبيرى ، وأمثلته التى يستشهد بها ، كل ذلك يشبه ، صنيعه فى الأنموذج .

(رابعاً) أن بعض الذين ترجموا له من معاصريه ، (٢) ذكروا أن له كتباً لا تحصى فى العلوم العقلية ، وله مؤلفات أخرى ، فى فروع مختلفة من العلم الإسلامى ، والثقافة العربية نسى المؤلف بعضها ، فلم يستطع أن يذكرها لهم .

فلم لا يكون هذا البحث واحداً من هذه الكتب والمصنفات ..

أظننا على ضوء ذلك ، نستطيع أن نطمئن إلى صحة نسبة هذا البحث إلى مؤلفه ، أبى عبد الله الكافيجى .

وفى مقدورنا الآن ، أن نمضى على هدى من هذه الطمأنينة ، فى تحليل مضمون هذا البحث ، وإلقاء مزيد من الضوء على أهم موضوعاته ومسائله

---

(١) علم التاريخ عند المسلمين ص٣٢٧ ، ص٣٤٨ . وانظر الأنموذج ص١٦٧ ، ص١٥٧
(٢) السيوطى – بغية الوعاة ص ٤٨

وقد حصرها المؤلف فى بابين . خصص الباب الأول ، لعرض آراء البلاغيين ، المختلفة حول تعريف الاستعارة بعامة ، والاستعارة بالكناية على وجه الخصوص وجعل الباب الثانى ، بحثاً مستقلا فى تعريف الاستعارة التخييلية .

أما عن الباب الأول ، فقد حاول المؤلف أن يبين لنا منذ البداية ، أن سبب اختلاف العلماء فى تعريف الاستعارة بعامة ، والاستعارة بالكناية على وجه الخصوص ، يرجع إلى عدم فهم كثير منهم المقصود منها . فمثلا قال بعضهم إنها مجاز لغوى ، وقال آخرون إنها مجاز عقلى . ويظهر أن الذين قالوا : إنها مجاز لغوى ، هم جمهور علماء البيان ، كأبى الحسن الجرجانى — ٣٦٦ هـ — ، الذى عرفها بقوله (وإنما الاستعارة ، ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت فى مكان غيرها . وملاكها تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى ، حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين فى أحدهما إعراض عن الآخر) (١) .

وكأبى الحسن الرمانى ٣٨٦ هـ ، الذى عرفها أيضاً بقوله (الاستعارة تعليق العبارة على غير ماوضعت فى أصل اللغة ، على جهة النقل للابانة) (٢)

وتبعه فى هذا أبو هلال العسكرى ٣٩٥ هـ ، فقال ناقلا التعريف السابق ومفسراً له : «الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها فى أصل اللغة إلى غيره ، لغرض . وذلك الغرض ، إما أن يكون شرح المعنى وفضل الابانة عنه ، أو بتأكيده ، والمبالغة فيه ، أو الاشارة اليه بالقليل من اللفظ أو بحسن العرض الذى يبرز فيه) (٣) .

---

(١) ابو الحسن عبد العزيز الجرجانى — الوساطة بين المتنبى وخصومه ص ٤١ ط : الثانية

(٢) ابو الحسن الرمانى : النكت فى إعجاز القرآن ص ٧٩ (المنشور ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن تحقيق محمد خلف الله ، وزغلول سلام ط : دار المعارف بمصر .

(٣) ابوهلال العسكرى : كتاب الصناعتين ص ٢٥٨ ط : الثانية صبيح

كما تبع الرمانى فى هذا أيضاً ، بعض النقاد والبلاغيين ، الذى أتوا من بعده ، كابن رشيق القيروانى ٤٦٣ هـ ، وابن سنان الخفاجى ٤٦٦ هـ ، اللذين نقلا تعريف الرمانى لها بنصه (١) ، ولم يضيفا إليه شيئاً .

أما الذين قالوا : إنها مجاز عقلى لا لغوى ، بمعنى أن المتصرف فيها أمر عقلى لا لغوى ، فمنهم الفخر الرازى ، ٥٤٤ هـ ، الذى لم يرق له ، تعريف الرمانى لها . فقال معترضاً عليه ، ومفنداً تعريفه لها ، ثم معرفها تعريفاً جديداً ، مغايراً للتعريف السابق . (قال على بن عيسى — الرمانى — الاستعارة استعمال العبارة لغير ما وضعت له فى أصل اللغة . وهذا باطل من وجوه أربعة .

(أولا) أنه يلزم أن يكون كل مجاز لغوى استعارة وقد أبطلناه .

والثانى : يلزم أن يكون الاعلام المنقولة من باب المجاز ، استعارة والثالث : استعمال اللفظ فى غير معناه للجهل بذلك ، يجب أن يكون مجازاً . والرابع أنه لا يتناول الاستعارة التخييلية .

والأقرب أن يقال : الاستعارة ذكر الشىء باسم غيره ، واثبات مالغيره له ، لأجل المبالغة فى التشبيه (٢))

فالرازى ، يعترض على كون الاستعارة مجازاً لغوياً ، للأسباب التى أشار إليها فى النص ، ويرى أنها على العكس من ذلك ، تعد مجازاً عقلياً .

ويحذو حذوه فى هذا ، زكى الدين بن أبى الإصبع العدوانى ٦٥٤ هـ فيورد اعتراضات الرازى السابقة على تعريف الرمانى ، ثم يؤيد الرازى فيما يذهب اليه ، ويرى أن الاستعارة مجاز عقلى ، وبناء على هذا يعرفها بأنها «تسمية المرجوح الخفى باسم الراجح الجلى ، فقد جعلت للراجح الجلى

---

(١) انظر العمدة لابن رشيق ط ص ٢٧١ ط : التجارية ، وكذا سر الفصاحة لابن سنان ص ١١١ ط : الخانجى .

(٢) ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ص ١٦٥ نقلا عن نهاية الايجاز للرازى ص ٨١ .

ما للموجوح الخفى من الرجحان والظهور ، فتكون قد بالغت فى تشبيه المستعار له بالمستعار منه» (١) .

ويؤيد يحى بن حمزة العلوى ، كذلك الرازى فى تعريفه (٢) وفهمه لها .

ويبدو أن هذه المسألة كانت محيرة لبعض النقاد القدماء مثل عبد القاهر الجرجانى ٤٧٧ هـ ، الذى اعتبرها فى بعض مؤلفاته مجازاً عقلياً ، واعتبرها فى بعض آخر مجازاً لغوياً .

يقول فى كتابه دلائل الاعجاز (فالاستعارة أن تريد تشبيه الشىء بالشىء ، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره ، وتجىء إلى اسم المشبه به ، فتعيره المشبه وتجريه عليه .

تريد أن تقول : رأيت رجلا ، هو كالأسد فى شجاعته ، وقوة بطشه ، فتدع ذلك وتقول رأيت أسداً) (٣) ، ويرى أن هذا هو النوع الأول من الاستعارة . أما النوع الثانى فمن أمثلته إذ أصبحت بيد الشمال زمامها . ثم ينفى نفياً قاطعاً ، كون الاستعارة ، على النحو الذى ذكره ، مجازاً لغوياً يقول (واعلم أنك ترى الناس ، وكأنهم يرون أنك إذا قلت : رأيت أسداً وأنت تريد التشبيه ، كنت نقلت لفظ أسد ، عما وضع له ، فى اللغة ، واستعملته فى غير معناه ، حتى كأن ليس الاستعارة إلا أن تعمد إلى اسم الشىء فتجعله اسماً لشبيهه ، وحتى كأن لا فضل بين الاستعارة ، وبين تسمية المطر سماء ، والنبت غيثاً ، والمزادة رواية ، وأشباه ذلك مما يوقع فيه اسم الشىء على ما هو منه بسبب . ويذهبون عما هو مركوز فى الطباع من أن المعنى فيها المبالغة ، وأن يدعى فى رجل أنه ليس برجل ، ولكنه أسد بالحقيقة .

---

(١) زكى الدين بن أبى الاصبع العدوانى بدائع القرآن ص ١٥ ط : دار الكتب

(٢)– كتاب الطراز ليحى بن حمزة العلوى ط ص ١٩٩ .

(٣) عبد القاهر الجرجانى دلائل الاعجاز ص ٥٢ ط :

وإنما يعار اللفظ من بعد أن يعار المعنى ، وأنه لا يشرك فى اسم الأسد ، إلا من بعد أن يدخل فى جنس الأسد) (١) .

ثم يؤكد هذه الحقيقة ، التى يذهب إليها فى مفهوم الاستعارة بقوله «ليست الاستعارة ، نقل اسم عن شىء إلى شىء ، ولكنها ادعاء معنى الاسم للشىء» (٢) .

فهو يرى أى عملية ، نقل الاسم عن معناه ، إلى معنى آخر ، فى الاستعارة ، عملية عقلية ، قائمة على الادعاء ، والتصور العقلى المحض . وعلى هذا فالاستعارة ليست من قبيل المجاز اللغوى ، وإنما هى من قبيل المجاز العقلى . ومن ثم نراه ، يعترض على الجرجانى ، والرمانى ، فى تعريفهما للاستعارة ، وفهمهما لها .

وعلى العكس من ذلك ، نراه يعدل عن هذا التعريف ، فى بعض مؤلفاته الأخرى ، التى ألفها بعد «الدلائل» ، كأسرار البلاغة ، ويعرف الاستعارة تعريفاً مغايراً للتعريف السابق ، ويفهمها فهما ، مناقضاً لفهمه السابق لها ، إذ يرى أنها مجاز لغوى .

(اعلم أن الاستعارة فى الجملة ، أن يكون لفظ الأصل فى الوضع معروفاً ، وتدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر فى غير ذلك الأصل ، وينقله إليه نقلا غير لازم ، فيكون هناك كالعارية (٣) .

وبهذا يتفق عبد القاهر ، وجمهور علماء البيان فى فهم الاستعارة بعامة ، وتعريفها كما يتفق معهم كذلك ، فى فهم الاستعارة بالكناية .

---

(١) المرجع السابق ص ٣١٠ – ٣١١
(٢) المرجع السابق ص ٣١٢
(٣) أسرار البلاغة ص ٣٥ – ٣٦

فهي في نظره : نقل اسم عن مسماه الأصلي ، إلى شيء ثابت معلوم ، ثم حذفه ، والرمز إليه بشيء من لوازمه (١).

ومن ثم فهي تعد طبقاً لهذا المفهوم مجازاً لغوياً .

ولما كان هذا هو رأي علماء البيان القدماء في معنى الاستعارة بعامة ، والاستعارة بالكناية بخاصة ، رأينا المؤلف ، يبدأ به أولا وبذكر تعريفهم لها ، الذي مؤداه ، أن الاستعارة بالكناية ، « هي الاسم المتروك ، المرموز إليه بذكر لازم ، من لوازمه المشهورة شبه ماأريد » . ثم يأخذ في شرح هذا التعريف ، وتفسيره ، محاولا أن يكشف لنا عما اكتنفه من غموض ، وماأثاره بعض المتأخرين حوله من اعتراضات مثل قولهم :

أ) أن الاسم المتروك هنا ، ليس من قبيل المحذوف اللغوي ، فهو متروك لا محذوف . لأنه مسكوت عنه . والاستعارة على هذا النحو ، لا تعد مجازاً لغوياً ، لأن الاسم المتروك مسكوت عنه ، باعتباره العقل ، لا باعتبار قوانين اللغة .

ب) إن الدلالة على المعنى المراد ، هي بالاسم اللازم ، لا بالاسم المتروك . لأنه لو كانت بالاسم المتروك ، لترتب على ذلك اجتماع دلالتين في كل استعارة بالكناية ، والواقع وفحوى الكلام ، ينقضان ذلك .

ويرد على هذين الاعتراضين بقوله :

أولا) إن القدماء لا يقصدون من قولهم ، إن الأستعارة تجاز لغوي ، أن الاسم اللازم يتغير معناه لغوياً ، ولكنهم تصوروا ، عملية النقل في الاستعارة تصوراً عقلياً لا لغوياً . فالمنية مثلا في بيت أبي ذؤيب الهذلي : وإذا المنية أنشبت أظفارها (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٥١ – ٥٢

(٢) هذا صدر البيت وعجزه «ألفيت كل تميمة لا تنفع» . =

لايصبح معناها أسداً، من ناحية المدلول اللغوى ، وإنما يتصور الانسان ذلك تصوراً عقلياً ، لأن الاستعارة قائمة أصلا على الادعاء .

ثانياً) أن الدلالة على المعنى المراد ، إنما هى واحدة ليست إلا ، ولكنها للاسم المتروك ، دلالة أصلية ، وللازم ضمناً وتبعاً ، لكنهم أقاموا التابع ، مقام المتبوع ، رغبة فى الايجاز والاختصار .

ومن هذه الاعتراضات كذلك ، قولهم :

ج) لو كانت الاستعارة بالكناية أمراً لغوياً ، لفهمه أهل اللغة ، ولكنهم بمنأى عن ذلك .

ويرد على هذا قائلا ، إن اللغويين ، لايعنون إلا بالبحث عن المعانى اللغوية للألفاظ دون الاهتمام بتحديد المصطلحات اللفظية ، وبيانها ، والأساس فى بحث الاستعارة بالكناية فى رأيه ، هو تحديد معنى هذا المصطلح ، وبيان صفة هذا اللفظ ، لا الكشف عن معناه اللغوى .

د) أن اثبات الاستعارة على الوجه السابق ، يعد اثباتاً لها بطريق غير طريق اللغة .

وهذا الاعتراض ، فى رأيه ، لا أساس له من الصحة . لأن الهدف من إثبات الاستعارة ، بهذه الطريقة ، هو تصوير اللغة بصورة المعقول .

وبعد أن ينتهى من ذكر ماأثاره بعض المتأخرين من اعتراضات ، حول تعريف القدماء للاستعارة ورده عليها ، مفنداً اياها ، ينقل لنا : رأى السكاكى فيها ، الذى يختلف بعض الاختلاف ، عن رأى القدماء .

فالسكاكى يعرف الاستعارة مطلقاً بقوله (هى أن تذكر أحد طرفى

= وهو من مرثية أبى ذؤيب ، التى مطلعها .

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

أنظر تعليق صاحب معاهد التنصيص على هذا البيت ص ١٩٢ – ١٩٣ جـ ١ -

التشبيه ، وتريد به الطرف الآخر ، مدعياً دخول المشبه فى جنس المشبه به . دالا على ذلك ، باثباتك للمشبه ، ما يخص المشبه به((١) .

وهو يرى بناء على هذا التعريف ، أن الاستعارة تقوم على إدخال المستعار له ، فى جنس المستعار منه . فالمنية مثلا ، فى بيت الهذلى ، تصبح أسداً ، وتدخل فى جنس الأسود ، لاكتسابها بعض صفاتها . ومن ثم يصبح اسم المشبه به فى الاستعارة التصريحية اسما بحسب قانون اللغة ، أما فى الاستعارة المكنية ، فهو موضوع للمشبه به بالتأويل .

ويترتب على ذلك ، أن يصبح للحيوان المفترس اسمان ، أحدهما : أسد ثانيهما منية . ويرى أن اسم المنية موضوع للأسد ادعاء ، وبناء على هذا ، فهذا الاسم ليس مستعملا فى معناه الحقيقى ، بل فى معنى مجازى، فالاستعارة مجاز لغوى .

ولا خلاف فى هذا بينه وبين القدماء ، ولكن الخلاف بينهما ينصب على تحديد موضع الاستعارة بالكناية فى مثل قولنا : أنشبت المنية أظفارها بفلان ، فهو يرى أن موضع الاستعارة، هو المنية ، بينما هم يرون أنها فى الحيوان المفترس الذى شبهت به المنية فى الاغتيال .

ويرى المؤلف ، أن السكاكى ليس على صواب فى هذا ، لأننا لو اعتبرنا المنية استعارة بالكناية ، لأصبحت الاستعارة تبعاً لهذا صفة المتكلم لا فعله .

ثم إنه قال : إنها اسم المشبه به المتروك ، وهذا لا يصح انطباقه على المنية .

وعلى كل حال ، فالمؤلف يرى ، أنه من الممكن أن نوفق بين كلام السكاكى ، وكلام القدماء فى هذا لو أخذنا قوله عن المنية ، إنها استعارة

---

(١) المفتاح ص ١٥٦ ط : التقدم بمصر .

بالكناية على سبيل المسامحة ، وعلى إقامة الاسم الظاهر مقام الاسم الخفى المتروك .

ومهما يكن من أمر ، فيبدو أن تعريف السكاكى للاستعارة بالكناية ، على النحو الذى رأينا ، لم يرق لبعض البلاغيين المتأخرين ، الذين أتوا من بعده ، كالخطيب القزوينى ، فأعرض عنه ، وعرفها تعريفاً مغايراً ، لتعريف السكاكى ، ومغايراً كذلك لتعريف القدماء .

وقد عرض المؤلف هذا التعريف مناقشاً إياه . ونصه ، أن الاستعارة بالكناية ، هى :

«تشبيه مضمر فى النفس ، لايصرح بشىء من أركانه ، سوى لفظ المشبه به ، ويدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به ، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلا ، أجرى عليه اسم ذلك الأمر ، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنيا عنه ، واثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية .(١) .

مثل تشبيه المنية فى النفس بالأسد ، فهذا استعارة بالكناية ، أما اثبات الأظفار المختصة بالأسد للمنية ، فاستعارة تخيلية . والاستعارة على النحو الذى رأينا ، هى فى الاثبات نفسه ، أى فى الفعل لا فى الاسم ، وعلى هذا فهى مجاز عقلى لا لغوى .

ويرى المؤلف ، أن الخطيب ليس على حق فى هذا ، لأن الاستعارة سواء أكانت تصريحية أم مكنية ، مجاز لغوى لا عقلى . ولا خلاف بين قولنا رأيت أسداً فى الحمام» ، وبين قولنا» أنشبت المنية أظفارها بفلان » فكل واحد منهما مبنى على المبالغة فى التشبيه ، ثم إن كلمة الأسد فى المثال الأول ، مستعمله فى غير معناها اللغوى ، إذ يقصد بها الرجل الشجاع ،

---

(١) الايضاح للخطيب القزوينى ص ١٧٦ .

وهذا هو رأى الجمهور ، وهو يتفق معهم فى ذلك ، ولكنه يختلف معهم ، فى معنى كلمة المنية فى المثال الثانى ، إذ يرى أنها مستعملة فى معناها الحقيقى ، وهذا غير صحيح ، لأنه يترتب على ذلك ، أن تصبح الاستعارة فى الاسناد لا فى اللفظ ، أى مجازاً عقلياً لا لغوياً .

ثم إن الأصل فى الاستعارة ، أنها تشبيه حذف أحد طرفيه ، وهذا لا يفهم من سياق الكلام وتتابعه ، ولكن يفهم من بنائه على حالة مخصوصة .

وواضح من مناقشة المؤلف ، لرأى السكاكى ، ورأى الخطيب القزوينى فى الاستعارة ، أنه لم يؤيد أيا منهما فى رأيه . ويبدو أن الرأى الذى حظى عنده بالقبول ، ولقى منه كل تأييد ، هو رأى القدماء فيها . يقول (وأما طريقة الأقدمين فى الاستعارة فهى خالية مما ذكر ، ومبنية على أساس الحق والصواب ، وواضحة لا غبار عليها فى التحقيق ، وإن خفيت على بعض الأذهان ، لعدم التفكر فيها حق التفكر) . (١)

هذا عن مضمون الباب الأول ، من البحث . أما عن الباب الثانى الذى الذى جعله مبحثاً مستقلا فى الاستعارة التخيلية كما أشرنا ، فقد بدأه بذكر تعريف القدماء ، لهذا المصطلح .

ومؤداه ، أن الاستعارة التخيلية ، هى جعل الشىء للشىء ، أو إثبات الشىء للشىء ، كاثبات اليد للشمال ، فى مثل قول لبيد : « إذ أصبحت بيد الشمال زمامها » .

وكاثبات الأظفار للمنية ، فى مثل قول الهذلى :

«وإذا المنية أنشبت أظفارها»

هذا هو رأى القدماء فيها ، وتعريفهم لها . أما رأى السكاكى ، فخلاصته

---

(١) انظر ص١٦٧ من هذا البحث .

أن الاستعارة التخيلية ، هى صورة وهمية محضة ، لا يشوبها شيء من التحقق الحسى أو العقلى (١).

كلفظ الأظفار فى قول الهذلى ، « وإذا المنية أنشبت أظفارها » ، أى أنه لما شبه المنية بالأسد ، توهم أن المنية دخلت فى جنس الأسود ، فأخذ يتصورها فى مخيلته كما لو كانت أسداً ، ويخترع لها صورة وهمية مثل صورة أظفار الأسد ، ثم يطلق لفظ الأظفار على هذه الصورة الوهمية«٢». ويعترض المؤلف ، على هذا التعريف للاستعارة التخيلية ، ويرفضه لما فيه من تعسف شديد ، ولأنه غير جار على قوانين اللغة ، وأساليبها فى التعبير ، بل أسرارها الجمالية ، التى لم يشعر بها السكاكى ، وكيف يشعر بهذا (٢) ، وهو الذى حول البلاغة ، كما يقول شوقى ضيف « إلى قوانين وقواعد تخلو من كل من ما يمتع النفس» . (٣)

وعلى كل حال ، فهذا هو رأى السكاكى فى الاستعارة التخيلية ، أما رأى الخطيب القزوينى فيها ، فيتفق ورأى القدماء ، إذ يرى أن الاستعارة التخيلية ، هى أثبات لازم المشبه به ، إلى المشبه(٤) كاثبات الاظفار للمنية فى المثال السابق .

ويؤيد المؤلف الخطيب القزوينى فى هذا ، كما يؤيد القدماء كذلك ، ويرى أن الاستعارة التخيلية على هذا النحو ، قرينة الاستعارة بالكناية ، وهما متلازمتان ، تلازم مادة الوجود وصورته ، وهذا هو رأى جمهور علماء البيان كذلك .

هذه إلمامة سريعة ، بما اشتمل عليه هذا البحث من موضوعات ومسائل ، تتعلق بموضوعه ، وهو تعريف الاستعارة . ونلحظ أن المؤلف ، قصر

---

(١) المفتاح ص ١٠٨ وكذلك الايضاح ص ١٧٩ .

(٢) المفتاح ص ١٥٦ – ١٥٧ .

(٣) شوقى ضيف – البلاغة تطور وتاريخ ص ٢٨٨ .

(٤) الايضاح ص ١٧٩ .

موضوع بحثه على هذه الناحية فقط من دراسة هذه الظاهرة البيانية ولم يتعرض مثلا للحديث عن أنواعها وأقسامها المختلفة ، ولم يقارن كذلك بينها وبين غيرها من أنواع المجاز اللغوى ، كالتشبيه مثلا ، أو الكناية ، معتقداً أن تعريفها هو الأساس فى فهمها ودراستها بعد ذلك . وقد أدى به هذا ، إلى أن يقصر بحثه على ذكر بعض التعريفات المختلفة ، ومناقشتها مناقشة عقلية ، دون أن يحاول الكشف عن هذه الظاهرة البيانية ، فى النصوص الأدبية ، التى تكسبها جمالا فى التعبير ، وروعة فى التخيل والتصور.

ومهما يكن من أمر فهذا البحث ، بالرغم من اقتصاره على جانب واحد من جوانب دراسة الاستعارة ، فواضح أنه لايقل أهمية وجودة ، عن تلك الأبحاث والمصنفات العلمية الأخرى ، التى ذكر هاله بعض معاصريه ، على أنها أحسن مؤلفاته ، بينما هو فى الحقيقة يفوق كثيراً منها . وإذا كان الأمر كذلك : فلم أغفل المترجمون لصاحبنا من معاصريه ذكر هذا البحث؟؟

أعتقد أن هذا غير مقبول ، ولا معقول ...

فأغلب الظن أن صاحبه لم ينساه ، ولم ينساه كذلك مؤرخو عصره ، ولكنهم تجاهلوه . ويبدو أن السبب فى هذا ، يرجع إلى أن هؤلاء المؤرخين ، لم تعجبهم غلبة النزعة العقلية المنطقية ، على هذا اللون من الدراسة الأدبية ، الذى هو أكثر التصاقاً بالذوق والوجدان . وقد كانوا يصدرون فى ذلك ، عن الذوق العام ، الذى يسود البيئة المصرية ، التى كانوا يتفيئون ظلالها ، والذى كان يسيطر على الدراسات البيانية بها ، تلك التى كانت تقوم أساساً على الوجدان الفنى والحس الأدبى.

وربما يرجع هذا لأسباب كثيرة ، تتعلق بالبيئة وأهلها من المصريين.

يقول أستاذنا الخولى (فلأسباب عنصرية ، من صلتهم بالعروبة نسبا منذ القدم ، ولأسباب مادية من مسامتة بلادهم للجزيرة العربية ، وتيسير الاتصال بها ، وبأهلها من جوانب مختلفة ، ثم لأسباب أخرى سياسية وعملية

وبتأثير البيئة بمعنييها المادى والمعنوى ، جنح المصريون إلى المنهج الأدبى فى درس البلاغة (١) ، أو مايسميه مؤرخو البلاغة ، فى وقتنا الحاضر ، بالمدرسة الأدبية ، تلك التى تجعل محور دراستها ، النص الأدبى ، مفسرة له ، وكاشفة عن أسراره الجمالية ، وقيمته الفنية ، معتمدة فى ذلك كله ، على الذوق والوجدان . بعكس المدرسة الأخرى ، التى اصطلحوا على تسميتها بالمدرسة الكلامية ، وهى التى تنظر إلى البلاغة ، على أنها قواعد وأحكام عقلية ، وأقيسة منطقية (٢) ، ومما يؤسف له أن هذه القواعد تحولت بمرور الزمن ، إلى قوالب جامدة جافة ، لاماء فيها ولا رواء .

وأكثر أصحاب هذه المدرسة ، لم يكونو عرباً ، لا بالمربى ولا بالمنشأ ، ولم يكونوا كذلك قريبين من البيئة العربية ، وإنما كانوا بعدين عنها ، فى الشرق القصى ، فى فارس وإيران ، وسمرقند والأناضول وغيرها من بلاد العجم (٣) وبعدهم عن بيئة العرب ، وعن العرب أنفسهم ، جعلهم بمنأى عن ذوقهم ومن ثم فلاغرابة أن رأيناهم يقدمون العقل على الذوق فى الدراسات البلاغية.

ويبدو أن صاحبنا ، قد تأثر بهذه المدرسة ، فقد كان من بين أساتذته كما ذكرنا فى ترجمته البرهان حيدرة ، أحد تلامذته التفتازانى ، الذى يعد من شيوخ هذه المدرسة . يضاف إلى ذلك ، أن صاحبنا ، كان عجمياً ، فى مرباه ومنشأه ولا شك أن هذا كله ، قد أثر على اتجاهه البلاغى ، فطغى عقله ، وفكره على روحه وأحاسيسه .

وبالرغم من أن السيوطى ، كان أحد تلامذته المعجبين به ، وأحد الذين ترجموا له ، فانه لم يتأثر بمنحى أستاذه البلاغى ، وإنما كان العكس منه ، يفضل اتجاه المدرسة الأدبية ، شأنه فى هذا ، شأن كثير من علماء

---

(١) أمين الخولى – فن القول – ص ١٠٢ – ١٠٣ .

(٢) انظر الفرق بين المدرستين فى المرجع السابق ص ٨١ – ٩٣ .

(٣) انظر تعليق أمين الخولى – على مادة بلاغة – بدائرة المعارف الإسلامية – الترجمة العربية المجلد السابع .

مصر في عصره . وقد قال تلك القولة المشهورة عنه، التي يفصح فيها عن اتجاهه الأدبي في درس البلاغة (ورزقت التبحر في سبعة علوم ، التفسير والحديث ، والفقه والنحو ، والمعاني والبيان ، والبديع على طريقة العرب والبلغاء ، لا على طريقة العجم ، وأهل الفلسفة) (١) ولايزال هذا الاتجاه الأدبي ، القائم على الذوق والوجدان ، هو الاتجاه الغالب على الدراسات البلاغية والنقدية ، في مصر عصرنا الحاضر .

ويتمسك به ، كثير من علماء البلاغة المعاصرين والمجددون خاصة ، ويعتبرونه ، أحد الدعائم التي يقوم عليها ، التجديد البلاغي (٢)

تحقيق النص

اعتمدت في تحقيق هذا المخطوط الأنموذج في بحث الاستعارة « على النسخة الوحيدة ، الموجودة بدار الكتب المصرية ، تحت رقم ٣٦٦ بلاغة . وقد اكتشفت أنها نسخة نادرة وأصيلة ، إذ يرجع تاريخ نسخها إلى سنة احدى وستين وثمانمائة (٨٦١ هـ) ، لا إلى احدى وستين وتسعمائة ٩٦١هـ ، كما جاء خطأ في فهرست دار الكتب المصرية (٣) . ويبدو أن الذي أوقع المفهرس في هذا الخطأ ، هو أنه لم يستطع قراءة آخر فقرة ، من هذا المخطوط وهي التي تحدد تاريخ النسخ ، وهو معذور في هذا ، لأنها مكتوبة بخط رديء جداً ، غير واضح الحروف والقسمات.

أضف إلى ذلك ، ركاكة أسلوبها التعبيري ، وتشابك جملها . وتلاصق حروفها في الرسم ، ضاربة بقواعد الخط العربي عرض الحائط ، مما اتعبني كثيراً في قراءتها ، وتفسير معمياتها . وقد جاء فيها (قال المؤلف أبقاه الله

---

(١) السيوطي – حسن المحاضرة ط : ص ١٥٥ ط : الموسوعات .

(٢) من هؤلاء : ا – أمين الخولي – في فن القول ص ٦٤ .

ب– شوقي ضيف في البلاغة تطور وتاريخ ص ٢٧٧ –٣٧٨ .

ج – محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي والبلاغة ص ٣٥٥ – ٣٥٧ .

(٣) انظر فهرست دار الكتب المصرية (الكتب الواردة إلى الدار في الفترة من ١٩٢٩ م – ١٩٣٥ م) . تصنيف فؤاد سيد ، ج ٢ بلاغة .

تعالى ونفع به المسلمين ، حصل الفراغ «من تأليفه فى حادى عشر من ربيع أول ، سنة احدى وستين ، وثمانمائة (١) ، لعاشر (ليلة) (٥) عاقبها ، (ليلة)(٢) مولد محمد صلى الله عليه وسلم . وكان الفراغ من نسخة فى يوم الثلاثاء المبارك ، سابع عشرين من رجب الفرد ، سنة انتهاء املائه

على يد كاتبه محى الدين محمد الكافيجى

وعلى هذا يكون تاريخ النسخ هو ٢٧ رجب سنة احدى وستين وثمانمائة أى بعد الفراغ من تأليفه بحوالى ثلاثة أشهر ونصف تقريباً .

وقد نسخ أمام مؤلفه ، وعلى يده ، وقد وقع على هذا بامضائه وختمه بخاتمة ، وعلى هذا نستطيع القول ، بأن هذه النسخة ، هى أقدم ماكتب عن الأصل ، إن كان هناك ثمة أصل ..، ومن ثم نستطيع الاعتماد عليها وحدها ، فى تحقيق هذا المخطوط .

أما عن وصفها : فهى تحتوى على ثلاثين لوحة ، مقاس ١٨×٢٤سم . وتتكون كل لوحة من صحيفتين ، وعدد أسطر كل صحيفة أحد عشر سطراً

وهذه النسخة ، مكتوبة بخط نسخى واضح ، ومشكول ، ولكن هناك أخطاء كثيرة فى الشكل . وعلى بعض هوامشها ، حواشى مكتوبة بخط ردىء ، لايقرأ إلا بصعوبة ويبدو أن كاتب هذه الحواشى ، هو ناسخ المخطوط نفسه ، فخطها يشبه فى رسم حروفه خط المخطوط . ولكن يبدو أن الناسخ ، لم يعنى بكتابة هذه الحواشى ، عنايته بكتابة نص المخطوط . ويظهر أن السبب فى هذا ، يرجع إلى أن المؤلف ، هو الذى كان يملها عليه أثناء النسخ(٣) لأنها تتفق كثيراً ، ومنهجه فى التفكير ، وطريقته فى التعبير

---

(١) لم يكتبها الناسخ كاملة الحروف ، ولكنه ذكر مثالثة أحرف اختصاراً وهى ثمن. انظر الشكل رقم (٣)

(٢) ما بين الأقواس إضافة من عندنا لتستقيم العبارة .

(٣) من الأدلة على هذا ، أنه يقول فى حاشية ٤ ، بعد مناقشته لراى السكاكى فى الاستعارة (فإذا تأملت هذا حق التأمل ، يظهر لك الحق ها هنا ، ظهوراً تاماً ، بحيث لا يبقى للريب ، سبيل إليه). وواضح أن هذا كلام المؤلف .

ويبدو أن الناسخ كان يسرع تبعاً لهذا فى الكتابة ، ويظهر أنه لم يكن يرفع القلم أثناء كتابة هذه الحواشى إلا فى نهاية كل سطر ، ومن ثم جاءت عباراتها متشابكة فى كثير من الأحيان ، ومبتورة الكلمات وناقصة الحروف

وهى تشبه فى خطها ورسم حروفها ، ومافيها من سقط ومعميات الفقرة الأخيرة من هذا المخطوط ، التى أشرنا إليها آنفاً .

وثالثة الأثافى ، ركاكة أسلوب نص هذا المخطوط ، التى لاتنم عن إحساس فنى بجمال اللغة ، ومناحى العرب فى التعبير ، ولكنها تنم عن أن صاحبها يجيد التفكير أكثر من التعبير ، وقد يكون حجة فى فهم اللغة ، ولكنه عاجز عن تذوقها ، والاحساس بأسرارها البيانية . ولقد آثرت أن أحافظ على صدق النقل وأمانة الأداء ، لا على صحته ، فلم أحاول إصلاح الأسلوب ، خوفاً من أن يؤدى هذا إلى تغيير النص الأصلى ، تغييراً تاما ، واكتفيت فى بعض الأحيان ، بالاشارة ، إلى مافى النص من ركاكة تعبيرية ، أو سقم فى الأسلوب ، أو استعمال لبعض ألفاظ اللغة ، استعمالا غير صحيح .

وقد عثرت بهذه النسخة على كثير من الأخطاء اللغوية والنحوية ، التى يبدو أنها من فعل الناسخ . ولذا فقد كان ، أول عمل لى فى تحقيق هذا النص هو تصحيح هذه الأخطاء ، وتصويبها ، ثم تقديم النص للقارىء صحيحاً ، خالياً من الأخطاء اللغوية والنحوية . وقد كانت الخطوة الثانية ، قراءة النص قراءة مستأنية ، ومحاولة فهم عباراته الملتوية ، وتفسير ما قد يغمض منها على القارىء ، ووضعه أسفل بعض الصفحات حتى يتسنى للقارىء فهم النص والمضى فى قراءته .

كما قمت بشرح بعض المصطلحات البلاغية والأصولية ، التى وردت فى النص ، شرحاً وافياً ، فى أسفل بعض الصفحات كذلك .

وقد بذلت أقصى ما فى جهدى ، لعزو كل شاهد أدبى ، سواء أكان

من الشعر ، أم من النثر إلى قائله ، وبيان مايتضمنه من معانى ؛ إن كانت هناك ثمة ضرورة لذلك .

كما بينت ، مواضع الشواهد القرآنية من سورها .

وقد فضلت أن أقدم النص للقارىء بدون حواشيه ، حتى لاتختلط هذه الحواشى ، بتعليقاتى ، وتحقيقاتى لبعض النصوص ، التى أفردتها أسفل بعض الصفحات .

وآثرت أن أجمع الحواشى ، فى آخر البحث ، بمعزل عن النص الأصلى وقد رقمتها حسب ورودها فى النص ، واضعاً أسفل الرقم حرف «ج» تمييزاً له عن أرقام حواشى التحقيق.

وبعد : فأرجو أن تكون هذه المقدمة ، بمثابة ضوء ساطع ، يكشف للقارىء ، عن ظلمات هذا النص ومعمياته ، ويعينه على المضى فى قراءته وفهمه .

وختاماً : أشكر الأستاذ المحقق الدكتور محمد زغلول سلام ، على تفضله باعارتى هذا الأثر النفيس ، وحثه لى على المضى فى هذا الطريق .

وعلى الله توكلت وإليه أنيب

الاسكندرية فى أكتوبر ١٩٧٣م .

تحقيـــق النص

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه العون : الحمد لله الذى هدانا إلى سبيل الحق والرشاد ، وأرسل رسوله بالهدى ، لصلاح البلاد والعباد ، صلى الله عليه ، وعلى آله وأصحابه الأمجاد .

أما بعد : فأقول ، لما كثرت الأقوال والشبه ، والشكوك فى شأن الاستعارة بالكناية ، وفى بحث الاستعارة التخييلية ، وفى بيان تلازمهما كثرة ، تكاد أن تلحق الكلام فى حق المرام ، باللغز والأحجية ، لمدافعة بعضها بعضاً ، ولظلمات حيلولتها بين الألفاظ والمعانى ، ولقد كانت العقول متحيرة حتى صح أن يقال فى شأنها ، المثل السائر : إنى أراك تقدم رجلا وتأخر الأخرى(١) ، ألفت هذا الأنموذج ، لحل عقد تلك الشبه ، ولترجيح تلك الأقوال بعضها على بعض ، مع الحاقها بأبحاث سنحت للغرض القاصر ، والفكر الفاتر ، وجعلته مشتملا على بابين :—

أما الأول : ففى منشأ تلك الأقوال ، وفى ترجيح بعضها على بعض ، بقدر الوسع والامكان.

أقول لا شك ، بأن كل واحد من الاستعارة بالكناية ، والاستعارة التخيلية مزال عن أصله (٢) ، وليس مجرى على ظاهره ، والعلم ضرورى ، بأن المنية فى نحو قولك ، : أنشبت المنية أظفارها بفلان ، ليست كالمنية فى نحو قولك دنت منية فلان ، فى ظهور الدلالة معلى معناها ، وفى تفهيم المراد منها للسامع(٣) وأن الأظفار فيه ، ليست كالأظفار فى مثل قولك ، :

---

(١) تعزى العبارة التى أصبحت مثلا ، إلى يزيد بن الوليد ، من كتابة إلى مروان بن محمد حين بلغه عنه تلكؤه فى بيعته فقال له « أما بعد : فإنى أراك تقدم رجلا وتأخر أخرى ، فاعتمد على أيهما شئت والسلام » . أنظر مقدمة أدب الكتاب لا بن قتيبه ص ٢٠ ط : ليدن .

(٢) أى أصل معناه اللغوى .

(٣) يرد بهذا على بعض البلاغيين المتأخرين ، كالخطيب القزوينى ، الذى يرى أن لفظ المنية مستخدم فى الحالتين فى معناه الحقيقى . يقول فى كتابه الايضاح (فالمراد بالمنية فى البيت — أى بيت الهذلى — هو الموت لا الحيوان المفترس ، فهو مستعمل فيما وضع له على التحقيق ص ١٨٠ الايضاح) .

أنشب السبع أظفاره بفريسته في الدلالة على المرام ، وفي تقريب المعنى إلى الأذهان . فمن هنا نشأت الشبه والاشتباه ، والالتباس والحيرة ، في فهم المقصود منها .

فمنهم من قال : إنها مجاز لغوى (١) ، ومنهم من قال بخلاف ذلك (٢) فإن قلت ، هذا الاختلاف ليس واقعاً في محله ، فإن ذلك أمر لغوى ، فليرجع إلى اللغة ، أو إلى العرب العرباء أو ، إلى النقل عن أئمة اللغة ، قلت : أولا : إن محل النزاع ها هنا ، هو الخالى عما ذكر ، إما للتعذر ، أو لانقطاع النقل عنهم (٣).

وثانياً أن النقل والسماع ، والتتبع ليست بشرط فى آحاد المجازات (٤) ، وإن كانت شرطا فى أنواعها على المذهب المختار .

وكذلك لم يدونوا المجازات تدوينهم الحقائق ، لكونها مبنية على تفاوت المناسبات ، بحسب تفاوت اعتبارات الأذهان ، فكم بينها من تفاوت غير داخل تحت ضبط وحصر وقريب من ذلك قول أهل المعقول ، الدلالة الالتزامية مهجورة فى العلوم (٥) جـ١

وقد ساق الخطيب القزوينى هذا الرأى ، معترضاً على السكاكى ، الذى يرى أن لفظ المنية فى بيت أبى ذويب الهذلى : وإذا المنية أنشبت أظفارها : ألفيت كل تميمة لا تنفع مجاز لا حقيقة والكافيجى يؤيد السكاكى فيما يذهب إليه .

(١) وهذا هو رأى جمهور علماء البيان ، مثل أبى الحسن الرمانى ، وأبى الحسن الجرجانى وابن رشيق ، وأبى هلال العسكرى ، وابن سنان الخفاجى ، والحاتمى شيخ السكاكى والسكاكى أنظر مقدمة تحقيق هذا البحث ص ١٣١ .

(٢) أى أنها مجاز عقلى لا لغوى ، ومن الذين قالوا بذلك : الفخر الرازى ، وابن أبى الأصبع ويحى بن حمزة العلوى . أنظر مقدمة التحقيق ص ١٣١ — ١٣٢ : .

(٣) أى عن العرب العرباء

(٤) لأن بعض الأصوليين ، يرون أن المجاز بجميع أنواعه ، موضوع لا مسموع .
أنظر : عروس الأفراح للسبكى ص ١٧٩ .

(٥) لأن العلم أخبار آحاد ، وخبر الواحد لا يفيد اليقين إنما الظن .
أنظر الاحكام فى أصول الأحكام : لابن حزم ص ط ط الخانجى .

وثالثاً لو وجدها هنا شيء مما ذكر ، فهو لا يمنع اختلاف الناس فيها لكونه ظنيا ، فلا يقطع الاحتمال . ونظير هذا ، قول أهل الأصول ، يجوز إحداث قول مخالف لما سبق من الأقوال إذا لم يخالف الاجماع .

فإذا لم يوجد دستور معتمد يرجع إليه ، فيكون حال الناس فيها ، كحال قوم انكسرت سفينتهم وسط عباب البحر ، يعوم فيه(١) بنفسه طلباً للخلاص والنجدة . فاذا انتقش ماذكر في صحيفة صفاء ذهنك .

أقول : هاهنا بحثان : أحدهما : بحث الاستعارة بالكناية ، فالاستعارة بالكناية عند الأقدمين من علماء البيان (٢) ، : هي الاسم المتروك المرموز إليه بذكر لازم من لوازمه ، المشهورة شبه ما أريد . وفهم منه عند الاستعمال بالقرينة بمعناه الأصلي (٣) فخرج عنه الاستعاره التصريحية ، والتجريدية ، والمجاز المرسل ، فيكون اسم المشبه بلا تمحل فيه ، جارياً في الاستعارة بالكناية بهذا المعنى ، أقرب إلى مباحث الألفاظ واللغة ، واضبط ، وأما الترك فهو كثير كالحذف جـ٢

فإن قلت : الاستعارة بالكناية كثيرة الدوران ، وهي بهذا المعنى ألغاز فتنافي حسن الاستعارة (٤) ، قلت : لا ثم ذلك ، وإنما يكون ألغازاً لو لم يذكر ، لازم بين من لوازمه ، والمفروض ذكره . ثم إن الاستعارة بالكناية أبلغ من الاستعارة التصريحية ، فإن الانتقال فيها دائم ، كدعوة الشيء ببينه.

---

(١) العبارة ناقصة ، وركيكة ولكي يستقيم معناها : فينبغي إضافة كلمة كل واحد ، قبل فيه .

(٢) يبدو أنه يقصد بذلك علماء البيان ، الذين عاشوا في الفترة ، من منتصف القرن الثالث الهجري حتى منتصف القرن الخامس ، كأبي الحسن الجرجاني . وعبد القاهر ، والزمخشري .....

(٣) أي وفهم من هذا التعريف ، أن الأسم المتروك مستعمل في معناه الأصلي .

(٤) هذه العبارة لغتها ركيكة ، وغير واضحة الدلالة ، ويبدو أنه يريد أن يقول: إن الاستعارة لو كانت ألغازاً وتعمية ، لضاعت قيمتها الجمالية .

فإن قلت فإذا كان الأمر كذلك ، فلم لاتجعل كناية (١) ، وهى أقرب وتغنى عن ارتكاب خلاف الظاهر .

قلت لأجل رعاية وتوجيه كلامهم . ولرعاية الأصل فإن الملزوم أصل ، ومتبوع ، واللازم فرع وتابع(٢) ، والاعتبار بالأصل أصل (٣) .

والتحقيق أنه لا معنى لاعتبار الكناية المصطلحة هاهنا (٤) ، إلا بامعان النظر ، وزيادة التفكر ، على ماسيجىء من بعد ، إن شاء الله .

فإن قلت ، إنما تتم الاستعارة بالكناية هاهنا ، لوأريد بالاسم المتروك ، الملزوم الحقيقى(٥) ، إذ لا علاقة بين اللازم ، وبين ملزومة الادعائى .

قلت يتم أيضاً ، لو أريد ، بذكر اللازم ملزومة الادعائى ، لقيام قرينة دالة على ذلك . وبمثل هذا الجواب ، يجاب عن الاعتراض ، الذى يورد

---

(١) هذا إذا اعتبرنا المشبه به ، مستعملا فى معناه الحقيقى ، على رأى الخطيب القزوينى فهى فى هذه الحالة تشبه الكناية ، التى يعرفها البلاغيون : بأنها لفظ أطلق وأريد به غير لازم معناه مع عدم وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلى .

وكان المفروض ، أن تسمى تبعاً لهذا كناية (لكنه لما كان هذ اللازم دل عليه لفظ المنية ، من السبعية لازماً بطريق الادعاء ، لا بطريق الحقيقة ، فإن اغتيال السبع لا يوجد فى المنية ، فسميت استعارة ، فاشير إلى المعنيين بقولنا استعارة بالكناية ، عروس الأفراح ص ١٥٢). وهذا التعليل على رأى الخطيب القزوينى ، أما على رأى السكاكى ، فهناك تعليل آخر ، يذكره لنا صاحب عروس الأفراح ، ومؤداه ، أنها « إنما سميت بذلك مراعاة للكناية والاستعارة المصطلح عليها ، على العكس فيما سبق ، فإن المنية استعملت فى السبع ، فكانت تسميتها استعارة ، حقيقية اصطلاحية ، ولما كان كونها استعارة ، غير مقصودة بالافادة ، بل المقصود إفادة أن لها اغتيال السبع ، ذكر فيها لفظ الكناية ، لأن اللفظ استعمل فى شىء والمراد إفادة لازمه ومرد هذا فى رأيه ، هو أن السكاكى يرى ، أن الأصل هو استعارة السبع للمنية لا المنية للسبع فلما عكس فى الصورة ، كانت استعارة مكنيا عنها .

(٢) الملزوم : أى المشبه به ، اما اللازم فهو المشبه .

(٣) يريد ان يقول ، إن الاستعارة بالكناية ، سميت بهذا الاسم ، لأن المشبه به وهو الأصل غير مذكور فى الكلام ، ولكن كنى عنه ، بذكر لازم من لوازمه .

(٤) أى لا معنى من تسميتها كناية ، بالمعنى الاصطلاحى المتعارف عليه ، بين البلاغيين

(٥) أى لو اريد بالمشبه به ، معناه الحقيقى .

على الأسم المتروك ، المسمى بالاستعارة بالكناية . ثم إن مباحث الاستعارة بالكناية إنما هى من مداحض الأفهام ، ومن مزال أقدام أذهان الأنام ، ومن مطارح أفكار الأقوام ، وفيها غموض واعتراضات لابد من ايرادها ، وحلها هأ هنا ، حتى يظهر لك ، حسن وجه المرام عن النقاب ، ظهور الشمس بعد بعد تكشف السحاب .

أحدها : أن الاسم المتروك ليس من باب المحذوف اللغوى ، إذ لو كان منه لجاز ذكره ، كالمحذوف لكنه لا يجوز ، إذ لا يحصل معنى معتد به عند ذكره . ولهذا يقال إنه اسم متروك ، ولا يقال : إنه اسم محذوف ، وأن المتروك ، إنما هو بمحض اعتبار العقل ، فلايكون اثبات الاستعارة بالكناية بهذه الطريقة ، جاريا على قانون اللغة (١) فيكون مردوداً .

والجواب عنه (٢) : أن المتروك يستعمل كثيراً بمعنى المحذوف ، وكتب الفن(٣) مشحونة به يشهد بذلك من يطالعها . ثم إن المعلوم هاهنا ، عدم ذكر المحذوف ، لا متناع جواز ذكره . ومن المعلوم ، أن الأول لايستلزم الثانى(٤) لكونه أعم منه . ألا ترى أن المحذوف ، الذى وجب حذفه ، لم يذكر مع جواز ذكره.(٥).

قال الزمخشرى : إن من المصادر ، مايضمر أفعاله ويجعل استعمالها كالشريعة المنسوخة ، كقولهم : شكراً ، وكفراً ، وعجباً ، وسبحان الله ، ومعاذ الله وقال أكثر النحاه : من العوامل اللفظية ، أسماء الأفعال ، وبعضهم (٦) هى فى التحقيق أسماء المصادر ، النائبة مناب الأفعال ، والتقريب ظاهر .

---

(١) يريد المعترض أن ينفى ، كون الاستعارة بالكناية ، حسب التعريف السابق لها ، مجازاً لغوياً . لأن الاسم المتروك ، الذى لم يذكر فى الكلام ، مسكوت عنه باعتبار العقل لا باعتبار قوانين اللغة وأن تصور عدم ذكره ، تصور عقلى محض .

(٢) أى اعتراض هذا المعترض .

(٣) يقصد بذلك كتب الفن البيانى .

(٤) أى وجود الملزوم ، لا يستوجب ، وجود اللازم .

(٥) فمن باب أولى ، أن لايذكر ، المحذوف الذى يمتنع جواز ذكره .

(٦) أى وبعضهم يقول .

وأما اعتبار معونة العقل فيها (١) فلا بد منه ، فلا ينافيها (٢) ، فإن كل لفظ ، محتاج فى الدلالة على معناه إلى معونة العقل (٣) ، ولولا هى لما تم دلالته عليه .

ثانيهما : أن اعتبار الاسم المتروك ، هو اعتبار كل اعتبار ، فإن الدلالة على المعنى المراد ، إنما هى بالاسم اللازم ، لا بالاسم المتروك ، فيكون لغواً .

ثالثها : أن الدلالة عليه ، لو كانت حاصلة بالاسم المتروك ، لزم اجتماع دلالتين فى حالة واحدة ، فى كل استعارة بالكناية ، لكن الواقع خلاف ذلك ، بشهادة الفحوى والاستعمال ، فيكون اعتبار الاسم المتروك فيها مردوداً .

رابعها : أن لا اعتبار لدلالته عليه (٤) ، عند تحقيق دلالة اسم اللازم عليه لاضمحلالها عنده ، اضمحلال الكوكب عند سطوع الشمس .

خامسها : أنها لو اعتبرت ، لزم من ذلك الاعتبار أحد المحذورين ، إما ترجيح التأكيد على التأسيس ، وإما تأكيد إحدى الدلالتين لأخراها ، وكل منهما لم يقل به أحد ، هاهنا . والجواب عن الشبه الأربع (٥) ، : أن الدلالة على المعنى المراد هاهنا ، إنما هى دلالة واحدة ليست إلا ، لكنها إنما هى للاسم المتروك ، قصداً وأصالة ، وللاسم اللازم ضمناً وتبعاً ، فأقاموا التابع مقام المتبوع (٦) ، طلباً للايجاز ولقصد السلوك ، فى أقوى الطريقتين ،

---

(١) الضمير هنا عائد على الاستعارة بالكناية .

(٢) أى لايتناقض هذا مع كونها مجازاً لغوياً .

(٣) لأن العقل ، هو الذى ، يعقل معانى الألفاظ ، ويتخذ من اللغة وسيلة لابراز ذلك فى أوعيتها اللفظية .

(٤) الضمير هنا عائد على الاسم المتروك .

(٥) هذه الشبه الأربع ، يمكن حصرها فى شبهتين فقط . هما الأولى والثانية ، وأما الباقية فهى تفريع عليهما ، وتفصيل لهما .

(٦) يريد أن يقول إن الدلالة على المعنى المراد فى مثل قولنا «أنشبت المنية أظفارها» ، إنما هى أصلا للاسم المتروك ، أى الأسد الذى شبهت المنية به ، وفرعاً للاسم اللازم أى المنية وهذا يعنى ، أن الاسم المتروك فى الاستعارة بالكناية مستعمل فى معناه الحقيقى ، وأن اللازم تابع له فى المعنى ، ولكنهم أحلوا التابع محل المتبوع طلباً للايجاز .

فتأمله حق التأمل، حتى يظهر لك أن شيئاً منها لم يتوجه على طريقتهم (١)، فى الاستعارة بالكناية .

والحاصل أن منشأ الاعتراض ، هو عدم الفرق بين موجب المحاورة ، بحسب دلالة اللفظ وبين مقتضى العقل بحسب نفسه ، بدون تلك الطريقة ، كما أن حاصل الجواب عنه ، هو الفرق بينهما ، ولو كان ماذكره المعترض صحيحاً ، لما احتيج إلى اعتبار اسم اللازم أيضاً ، فإن الانتقال العقلى، إنما هومن نفس اللازم،(٢) لا من اسمه بشهادة الوجدان . وهذا الذى ذكرته من الفرق بينهما ، هو أمر دقيق ومعنى لطيف واعتبار غريب ، اعتبروه لرعاية مقتضى المحاورة ، وقد غفل عنه المتأخرون(٣)، من علماء علم البلاغة فوقعوا فى حيص بيص ، وتاهو فى كيت وكيت، فليكن هذا على ذكر منك فإنه ينفع فى مواضع كثيرة مشكلة .

سادسها : أن الايجاز هاهنا ، ايجاز قصر، لاايجاز حذف(٤) ، فعاد

---

(١) أى طريقة علماء البيان القدماء . الذين قالوا : إن الاستعارة مجاز لغوى .

(٢) يقصد بذلك أن الاسم اللازم ، فى الاستعارة بالكناية ، لايتغير معناه ،لغوياً ، فهو ثابت على حاله ، لأن نقل الاسم فى الاستعارة، من معناه الحقيقى ، إلى معنى مجازى ، عملية عقلية ، فهى على حد تعبير عبد القاهر فى الدلائل « ليست نقل اسم عن شىء إلى شىء ، ولكن ادعاء معنى الاسم للشىء ص ٣١٢ دلائل الاعجاز » .

وهذا الادعاء ، تصور عقلى ، لا لغوى ، ويؤيد المؤلف عبد القاهر فى هذا الرأى .

(٣) يبدو أن يقصد بالمتأخرين هنا ، الخطيب القزوينى ومن أتوا بعده من شراح التخليص

(٤) الايجاز نوعان : قصر وحذف . والمقصود بالقصر ، تقليل الألفاظ وتكثير المعانى مثل قوله تعالى :

«ولكم فى القصاص حياة ياأولى الألباب» .

أما ايجاز الحذف ، فقد يأتى على أوجه منها مثلا ، حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، كقوله تعالى « واسأل القرية» أى أهلها . أو حذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب به ، كقوله تعالى :

«ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، وأن الله رءوف رحيم» ، أى لولا ذلك لعذبكم .

أو اسقاط حرف من الكلام ، كاسقاط لا من قوله تعالى « يبين الله لكم أن تضلوا» والمقصود أن لا تضلوا . أنظر كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ص ١٦٩ — ١٨٣ ط : صبيح .

الاشكال. والجواب عنه ، أن الإيجاز هاهنا ، هو: ايجاز الحذف على مامر تحقيقه فى مطلع الجواب الأول.

السابع : أن الايجاز ها هنا ، إذا كان ايجاز الحذف على ماذكرته ، كان المناسب للتنبيه على المرام ، أن يقال : الاستعارة بالكناية ، هي الاسم المحذوف ، لا الاسم المتروك . فلم إختاروا العبارة المحتملة (١) ، وتركوا العبارة الظاهرة ، فى تفهيم مرادهم ، مع أنهم فى مقام الإرشاد والتعليم ، لا فى الألغاز والتعمية . والجواب عنه : أن أرباب البلاغة ، لما قصدوا توسعه طرق إدراك المعانى ، للتيسير (٢) ، مع أن فى بعض تلك الطرق نكتا غريبة ، وأسراراً عجيبة ، ودقائق لطيفة ، مختصة به ، تفوت تلك النكت المطلوبة لو لم يكن لها طريق مختص بها ، وقصدوا أيضاً ، الأغتنام ، بغنائم تلك الأسرار ، والفوز بلذائذ تلك الدقائق .

ولمثل هذا ، رتب أرباب المعقول الأشكال الأربعة (٣) المختلفة بالجلاء والخفاء ، فى الانتقال إلى المطالب والنتائج . اختاروها تنبيهاً على تلك الأسرار وكلامهم إنما هو مع من ، يفهم مرادهم منه ، قال تعالى : وأعرض عن الجاهلين (٤)

الثامن : أن الاستعارة بالكناية على الوجه المذكور لو كانت أمراً لغويا ، لكان يفهمه أهل اللغة ، حين العرض عليهم ، كسائر اللغويات ، لكنهم عن فهمها بمراحل ، بلا شبهة ، بل كانو يعدون التكلم بها بمنزلة الهذيان ، والتكلم بالعجمية .

---

(١) أى التى تحتمل أكثر من معنى .

(٢) أى قصدوا ذلك للتيسير .

(٣) وهى صور الاستدلال ، ومعنى الاستدلال ، اكتساب اثبات الخبر للمبتدأ أو نفيه عنه بواسطة تركيب جمل ولهذا صور أربع ، هى الاثبات الكلى ، أو الاثبات البعضى ، أو النفى الكلى ، أو النفى البعضى ، أنظر مفتاح العلوم للسكاكى ص ١٨٤ — ٢١٦ .

وبتعبير أصحاب منطق أرسطو ، الكلية الموجبة ، أو الجزئية الموجبة . والكلية السالبة ، أو الجزئية السالبة .

(٤) سورة الاعراف آية ١٩٩ وتمامها «خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين»

والجواب عنه ، أن اللغوى قد يستعمل (١) ، بمعنى المأخوذ من موارد الاستعمالات ، لا بمعنى المسموع منهم ، ولا بمعنى (٢) المنقول عنهم .

ألا ترى أن العلماء يقولون : الحمد فى اللغة هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم والتبجيل ، وهو بمعنى (٣) المأخوذ من موارد الاستعمال. والسر فى عدم الفهم ، أن دأبهم (٤) ، هو فهم المعانى من الألفاظ ، لا الاشتغال ، بتعريف المفهومات ، ولا بتحديد الأمور (٥). والتحقيق ، أن بحث الاستعارة بالكناية ، هو بيان الاصطلاح ، وبيان صفة اللفظ ، لا بيان المعنى اللغوى(٦).

ومثل هذا كثير جداً فى العلوم العربية .

التاسع : أن الأمر لو كان كما ذكرته ، لما أنكره كثير من العلماء العارفين باللغات والاصطلاحات ، والجواب عنه ، أن سبب الانكار هاهنا ، هو الذهول عن سر كلامهم ، وعدم التأمل فيما قصدوه من النكت والدقائق . على مامر .

---

(١) أى اللفظ .

(٢) هذه العبارة ، غير صحيحة لغوياً ، ولا مستساغة كذلك ، لأن الصفة ينبغى أن تتبع الموصوف ، فى كل شىء ، حتى فى التعريف والتنكير ، ولم يحافظ المؤلف على صحة هذه القاعدة هنا ولكى تصبح هذه العبارة صحيحة لغوياً ينبغى أن يقول إن اللغوى قد يستعمل اللفظ ، بالمعنى المأخوذ من موارد الاستعمالات ، لا بالمعنى المسموع منهم ، ولا بالمعنى المنقول عنهم) .

(٣) هذا التعبير غير صحيح لغوياً . وينبغى أن يصحح على النحو الذى أشرنا اليه فى التعليق السابق .

(٤) الضمير هنا عائد على اللغويين .

(٥) يؤخذ على العلماء اللغويين أنهم لا يشغلون أنفسهم إلا بتحديد المعانى اللغوية للالفاظ وأن فهمهم لمعانى الألفاظ يقف عندهذا الحد وهذا يعد قصوراً منهم ، لأن للألفاظ معانى أخرى غير المعانى اللغوية ، وهى المعانى الاصطلاحية ، التى يصطلح عليها أصحاب كل علم من العلوم ، أو فن من الفنون وقد يختلف مفهومها من علم إلى علم ومن فن إلى فن .

(٦) يريد أن يقول ، إن هدفه من البحث فى الاستعارة بالكناية هنا ، هو تحديد هذا المصطلح وبيانه ، لا الكشف عن معناه اللغوى .

ولذلك أنكر بعض الناس ، حقائق الأشياء ، كما أنكر بعض الحكماء ، المحسوسات ، والبديهيات بأسرها. على أنك قد عرفت أيضاً أن المقصود ، هاهنا ، هو بيان الاصطلاح ، وكشف صفة اللفظ ، لا بيان المعنى اللغوى ولا مشاحة فى الاصطلاح إذا صدر عن غرض صحيح .

وها هنا الأمر كذلك .

العاشر : أن إثبات الاستعارة بالكناية على الوجه المذكور ، اثبات لها بغير طريق اللغة ، فهل هذا إلا قعقعة وتقول ، وتكلم بما وراء المقصود ، فيكون مردوداً. والجواب عنه ، أنه بيان الاصطلاح . لا اختراع اللغة ، والتكلم فى معناها بالعقل ، على مافسر تحقيقه مراراً .

الحادى عشر منها : أن العدول فى اثباتها إلى الطريق المذكور ، هو العدول بلا فائدة ، مع ترك الأصل المعين له . والجواب عنه ، أن فائدته ، هى تصوير طريق اللغة بصورة المعقول (١)، لكى يكون أقرب إلى القبول، فيكون هو فى التحقيق ، اثباتاها ، باللغة معنى .

والاعتبار للمعانى ، لا للصور والمبانى . ونظير ذلك ، قول العلماء ، الأصل فى النصوص هو التعليل . وقد عرفت أن التحقيق ، أنه بيان الاصطلاح ، وليس فى شىء من اثبات اللغة بالاستدلال .

الثانى عشر : أن هذا الاثبات ، اثبات الشىء بمثله ، بل بأخفى منه ، وهو غير جائز . والجواب عنه ، أنه ليس من باب الاثبات فى التحقيق ، وإنما هو تنبيه على المرام. فمن لم ينتبه عليه(٢) ، فهم معرضون عنه .

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى .
ونار لو نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنفخ فى الرماد.(٣)

---

(١) وهذا هو رأى عبد القاهر الجرجانى ، فى إدراك معنى الاستعارة والكناية يقول «إن الاستعارة كالكناية ، فى أنك تعرف المعنى فيها من طريق المعقول ، دون طريق اللفظ ص ٢٨٦ دلائل الاعجاز).

(٢) والصحيح لغوياً ، إليه لا عليه .

(٣) أشار المؤلف إلى هذين البيتين فى كتابة المختصر فى علم التاريخ – ص ٣٤٨ تحقيق

ونعم قول من قال (١) :

ومن البلية عذل من لا يرعوى عن جهله وخطاب من لايفهم .

الثالث عشر : أن كثرة الشبه المتعارضة هاهنا ، موجبة للتوقف فى المطلوب ، فضلا عن اليقين والجزم به ، فمن أين يحصل لك الوثوق به ، حتى تختار قولهم (٢) فيها ، على قول غيرهم .

والجواب عنه : أنه يحصل لنا من جهة الوجدان ، ومن العثور على مرادهم ها هنا ، بتتبع أقوالهم فيها ، وبالتأمل فيها على سبيل التوجيه والانصاف بدون التعصب والاعتساف ، ومثل هذا جائز فى مثل ذلك .

وأما كثرة تلك الشبه ، فلاينافى ماذكرنا ، فانها نشأت من الذهول عن أغراضهم ، ومن التكاسل فى التأمل فى أقوالهم .

وكم من عائب قولا صحيحاً وآفته من الفهم السقيم(٣).

فلو كانت كثرة الشبه ، موجبة للتوقف فى المطلوب ، لأوجبته فى أكثر مسائل العلوم ، إذ لا يخلو عنها (٤) .

روزنتال — ، ولم ينسبهما إلى قائل معين. ويبدو أنهما لبعض المتأخرين ، إذ لم يرد لهما ذكر فى كتب البلاغيين القدماء ، ولم نعثر لهما على أثر فى نصوص الشعر العربى حتى القرن الخامس الهجرى.

(١) هذا البيت للمتنبى ، من قصيدته ، التى قالها فى هجاء « ابن كيغلغ » ، ، ومطلعها :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم عرضاً نظرت وخلت أنى أسلم .

ويروى فى الديوان عن «غيه» بدلا من عن «جهله» .

أنظر الديوان جـ ٤ ص ٣١٣ تحقيق البرقوقى .

(٢) الضمير هنا عائد على علماء البيان القدماء .

(٣) يعزى هذا البيت للمتنبى ، من قصيدته التى قالها فى انطاكية ، بسبب قتل مهره وفرسه ، والتى مطلعها : إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم .

ويقال إن أخذ معنى هذا البيت ، من قول بى تمام لأبى سعيد الضرير ، حين سأله ، لم لا تقول مالا يفهم فاجابه : ولم لا تفهم مايقال الديوان جـ ٤ ص ٣١٢ ط : البرقوقى .

(٤) لأن أكثر هذه المسائل ، موضع خلاف بين العلماء .

الرابع عشر : ماذكرت هاهنا ، هو أصل من الأصول ، لا يكفى فيه الظواهر والظنون، وماذكرتم فى بيانه كله ظواهر وظنون ، فلايكفى فيه

والجواب ؟ أن الأصل نوعان : أحدهما قطعى لايكفيه الظاهر والظن ، فإنه لا يفيد اليقين لقوله تعالى: « وإن الظن لايغنى من الحق شيئا(١)».

ثانيهما : ظنى استقرائى ، يكفيه الظاهر ، كما فى العلوم الاستقرائية ، والأصل المذكور ها هنا ، من قبيل النوع الثانى ، فحصل التقريب بلا شبهه (٢).

الخامس عشر : أن الاشتغال بأمثال هذه العلوم ، بدعة وعبث . والجواب عنه ، سلمنا أنها بدعة لكنها واجبة ، إذ لايطلع على أسرار نظم القرآن ، وغرائبه، إلا بمعرفة أمثال هذه العلوم والاصطلاحات .

وأما فائدة الاشتغال ، بأمثال هذه الاصطلاحات ، فهى نظم القرآن ، على ماينبغى ، كما ينبغى ، بحيث يحصل به الاطلاع على معناه المفضى إلى تصديق الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، فى جميع ما أجابه ، وهو وسيلة الفوز بسعادة الدارين ، وهو غايته .

قا الله تعالى : لمثل هذا فليعمل العاملون (٣).

وأن الألفاظ واللغات ، والاصطلاحات كلها ألطاف الله تعالى ، وأن التفكر فى ألطاف الله ، نظير شكره .

---

(١) سورة النجم آية ٢٨ .

(٢) تنقسم العلوم حسب افادتها للمعرفة إلى قسمين ، قسم صادق بالضرورة ، كالبديهيات وقسم غير صادق بالضرورة . إذ يحتمل الصدق والكذب ، ونتائجه ظنية ترجيحية ، كالعلوم التى تعتمد على الملاحظة والتجربة ، والبحوث الاستقرائية ، وعلوم اللغة والبيان من هذا القبيل ، أى هى علوم ظنية استقرائية كما يرى المؤلف .

أنظر مقدمة ابن خلدون ص ٤٠ ط : الشعب ، ومقدمة كشف الظنون لحاجى خليفة. ص ١٠ — ١٣ .

(٣) الصافات آية ٦١ .

ولهذا قيل : إن العلماء فى محاوراتهم ، ومناظراتهم ، ومطالعاتهم ، يشكرون الله تعالى .

هذا بعض ما سنح لي فى توجيه كلامهم (١) ، وتقرير مرامهم ، وإيضاح مقاصدهم . ولقد اقتصرت دائرة توسعه الكلام على هذا القدر ، فإن فيه كفاية وتذكيراً لأولى الألباب ، الذين هم جبلوا على قول الحق والصواب ، وعصم طبعهم عن التعصب ، بفضل الله ، يؤتيه من يشاء ، من الخير وفهم الخطاب .

«ربنا لاتزغ قلوبنا ، بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب (٢)».

فمن أطلع على شيء فيه طغيان القلم ، أو زلة القدم ، فليسعف عنه ، فان الجواد قد يكبو ، وإن الصارم قد ينبو ، وإن الانسان محل التغير والنسيان ، وأن الحسنات يذهبن السيئات .جـ٣. ثم إن طريقتهم(٣) ، لما كانت غير مرضية عند السكاكى أعرض عنها ، وأختار غيرها وفسر مطلق (٤) الاستعارة ، فقال : هى أن تذكر أحد طرفى التشبيه ، وتريد به الطرف الآخر مدعياً دخول المشبه ، فى جنس المشبه به ، بنصب قرينة دالة على ذلك .

فتقول : رأيت فى الحمام أسداً ، وأنت تريد به الشجاع ، مدعياً أنه من جنس الأسد ، فتثبت للشجاع ، مايخص المشبه به ، وهو اسم جنس ، مع سد طريق بإفراده بالذكر.

وتقول أيضاً : أنشبت المنية أظفارها بفلان ، وأنت تريد بالمنية السبع ، بادعاء السبعية ، لها وانكار أن تكون شيئاً غير سبع . فتثبت لها ، مايخص

---

(١) الضمير عائد هنا على علماء البيان القدماء .

(٢) سورة آل عمران آية ٣ .

(٣) أى طريقة علماء البيان القدماء فى تعريف الاستعارة .

(٤) أى الاستعارة بعامة .

المشبه به ، وهو الأظفار . ثم فسر الاستعارة بالكناية ، فقال : الاستعارة بالكناية ، هى أن تذكر المشبه ، وتريد المشبه به ، بواسطة قرينة دالة على ذلك ، وهى أن تنسب إليه شيئاً من لوازم المشبه به . فتقول مخالب المنية نشبت بفلان ، طاوياً لذكر المشبه به ، وهو السبع جـ٤ . ولايخفى عليك ، أن الاستعارة بمعنى ، الذكر المخصوص ، سواء أكانت مطلق الاستعارة ، أو الاستعارة بالكناية ، هى فعل المتكلم لا صفة اللفظ (١)

ومنه (٢) قولهم ، الاستعارة هى استعمال اسم المشبه فى المشبه به ، بواسطة قرينة دالة على ذلك . وكذلك قولهم ، المشبه به مستعار منه ، والمشبه مستعار له ، واللفظ مستعار . فتكون لفظة الاستعارة ، مستعملة عندهم فى المعنيين.

فالاستعارة التى نحن بصددها ، هى : اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلى ، بواسطة قرينة دالة عليه .

وهذا ظاهر فى الاستعارة التصريحية ، ولايظهر فى الاستعارة بالكناية ، إلا بأن يجعل اسم المنية مرادفاً للاسم السبع ، فيكون اسما له بهذا التأويل .

فتكون الاستعارة بالكناية ، على هذا التأويل : هى اللفظ الموضوع لمعنى إدعائى ، مستعملا فيما شبه به ، بواسطة قرينة دالة عليه .

نحو المنية فى قولك ، : أنشبت المنية أظفارها بفلان ، فإنها اسم للسبع بالتأويل ، قد استعملت فى المنية ، الشبيهة بالسبع .

وهذا توجيه كلامه(٣) ، بحسب مايفهم منه ظاهراً ، فتكون الاستعارة مطلقاً ، اسم المشبه به مذكوراً تحقيقاً ، مستعملا فى المشبه ، لكن ذلك

---

(١) أى أن المتصرف فيها هو المتكلم ، فهى عملية عقلية لا لغوية .

(٢) أى ومن هذه التعريفات .

(٣) الضمير عائد هنا على السكاكى .

الاسم فى الاستعارة التصريحية ، اسم بحسب قانون اللغة ، بخلافه فى الاستعارة بالكناية ، فإنه موضوغ للمشبه به بالتأويل (١) ، فيكون للحيوان المفترس اسمان عنده ، أحدهما : سبع . وثانيهما : المنية ، فيكون هذا التقرير ضابطاً ظاهراً ، بخلاف تقرير كلامهم فى الاستعارة بالكناية (٢).

لكن فهم ذات المنية ، لا يقتضى فى التحقيق استعمال ذلك الاسم ، فى غير ماوضع له ، وأما القول ، بأنه موضوع للسبع إدعاء فانه لايقتضى الخروج عما وضع له(٣) ، فضلا أن يقتضى الاستعمال فى غيره .

فإذا قوله(٤) ، ليس بمعتبر ، وجار على مقتضى المحاورة والاستعمال فلا يلتفت إليه أصلا . وأما الفهم من الاسم المتروك ، فهو شائع فى الاستعمال وجار على قانون اللغة ، وله نظائر لاتعد ، ولا تحصى .

فإذا القول ها هنا ، قولهم (٥) بشهادة المقام ، وفحوى الخطاب .

---

(١) أى بالادعاء .

(٢) يشرح المؤلف هنا ، تعريف السكاكى للاستعارة ، مبيناً وجه الخلاف بينه ، وبين جمهور علماء البلاغة ، فهو يعرف الاستعارة بعامة ، بانها اسم المشبه به مذكوراً تحقيقاً مستعملا فى المشبه . المفتاح ص ١٥٦ .

وهذا الاسم ، فى الاستعارة التصريحية مستعمل فى معناه الحقيقى ، الذى يحدده له المعجم اللغوى ، بينما هو فى الاستعارة المكنية اسم للمشبه به بالتأويل . ويترتب على هذا ، أن يكون للمشبه به اسمان ، اسم بحسب قانون اللغة . واسم مجازى ، وضع للمشبه به ادعاء . وبناء على هذا ، فكلمة المنية فى قول الهذلى وإذا المنية أنشبت أظفارها » ليست مستعملة فى معناها الحقيقى فهى مزالة عن أصل معناها اللغوى . ولكن بعض البلاغيين القدماء يرون أنها مستعملة فى معناها الحقيقى ، وليست مزالة عن أصل معناها اللغوى .

لأن عملية ، نقل المعنى فى الاستعارة ، من الحقيقة إلى المجاز ، قائمة على الادعاء فهى مجرد تصور عقلى محض . يقول عبد القاهر الجرجانى (لأنه إذا كانت الاستعارة ، ادعاء معنى الاسم ، لم يكن الاسم مزالا عما وضع له ، بل مقراً عليه ص ٣٤١ ولائل الاعجاز (. . وقد تبعه فى هذا الرأى ، بعض المتأخرين كالخطيب القزوينى .

(٣) أى فى أصل اللغة .

(٤) الضمير عائد هنا على السكاكى .

(٥) الضمير عائد على علماء البيان القدماء .

والتحقيق أن فهم ذات المنية ، ومسماها من أسمها ، هو فهم المعنى الحقيقى الموضوع له بشهادة اللغة والاستعمال ، بحيث لا سبيل إلى جعله مجازاً أصلا ، فضلا أن يكون على سبيل الاستعارة بالكناية ، كما أن فهمها من الاسم المتروك ، هو فهم المعنى المجازى على سبيل الاستعارة بالكناية ، على طريقتهم(١)

فإن قلت كيف يتم هذا الرد عليه ، فلعل مراده غير مافهمت من ظاهر كلامه. قلت يتم ، فإن الكلام معه ، إنما هو بحسب دلالة كلامه على مراده ، إذ لا سبيل لنا إلى الاطلاع على مراده منه ، بدون دلالة كلامه عليه .

فإن قلت : قد صرح السكاكى فى كتابه (٢) ، بأن الاستعارة بالكناية ، هى اسم المشبه به المتروك ، فعلى هذا الإشكال فى كلامه ، لاخلاف بينه وبين القوم .

قلت يتوجه الإشكال عليه ، حيث قال فى كتابه أيضاً ، المنية فى نحو قولك : أنشبت المنية أظفارها ، هى استعارة بالكناية ، فعادت المخالفة بينهما من هذا الوجه (٣) .

وأما القول بأن المراد ها هنا ، ذكر المنية ، فتكون الاستعارة بالكناية ، ها هنا ، صفة المتكلم (٤) ، بخلاف ماسبق ، حيث قال هناك ، : الاستعارة

---

(١) يريد أن يقول إن علماء البيان القدماء ، يفهمون ذات المنية ومسماها ، حسب ما يحدده المعجم اللغوى لها من معنى ، لكن عندما تصبح اسما متروكا فى الاستعارة بالكناية لا يفهمون منها إلا المعنى المجازى. وهذا الكلام إذا على أخذ ظاهره ، وضح منه أنه لاخلاف ، بين هؤلاء العلماء ، وبين السكاكى فى هذا الشأن .

(٢) أى المفتاح فى علوم البلاغة .

(٣) بالرغم من اتفاق السكاكى ، مع جمهور علماء البيان القدماء ، فى فهم مدلول المنية فى الاستعارة بالكناية ، فإنه يختلف معهم فى تحديد موضع الاستعارة بالكناية ، فى مثل قولنا : أنشبت المنية أظفارها بفلان ، إذ يرى أن موضعها هو المنية ، بينما يرى الجمهور ، أنه الحيوان المفترس ، الذى شبهت به المنية فى اغتيال البشر ، ورمز إليه بشىء من صفاته ، وهو الأظفار .

(٤) أى أننا لو سلمنا جدلا ، بأن المنية فى المثال السابق هى الاستعارة بالكناية ، ووافقنا السكاكى ، على رأيه هذا ، لأصبحت الاستعارة تبعاً لهذا ، صفة المتكلم لا فعله . =

بالكناية ، هى اسم المشبه به المتروك ، فليس بتوجيه يقبله الطبع والذوق .

فإن قلت ، فهل عندك وجه فى دفع تلك المخالفة والاشكال ، قلت : نعم ، بأحد وجهين ، الأول : أن يحمل قوله المنية استعارة بالكناية على المسامحة ، وعلى إقامة الاسم الظاهر الجلى ، مقام ذلك المتروك الخفى ، تيسيراً وتسهيلا ، بحيث يكون هو مطمح النظر ، والاعتبار ، وأن يحمل قوله الاستعارة بالكناية ، هى أنها اسم المشبه به المتروك ، على التحقيق وبيان حقيقة الحال ، دفعاً للتناقض المتوهم بين كلاميه ، وللمخالفة بينه ، وبين القوم .

والوجه الثانى : أن يكون قوله الاستعارة بالكناية ، هى اسم المشبه به المتروك ، محمولا على مذهب القوم فيها .

كما يجوز أن يكون قوله المنية ، هى استعارة بالكناية محمولا على مذهبه فيها ، لكن لا يخفى عليك أن هذا الوجه ، لا يدفع المخالفة ، ولا الاعتراض المشهور الوارد على مذهبه فيها (١) ، وإن كان يدفع التناقض بين كلاميه ، فيكون هو الأول (٢).

ثم لما كان ، كل واحد من مذهب القوم (٣) ، ومذهب السكاكى فى الاستعارة بالكناية ، غير مرضى عند الخطيب صاحب التخليص أعرض عنه ، فقال : الاستعارة بالكناية هى التشبيه المضمر فى النفس يدل عليه اثبات مايختص بالمشبه به للمشبه ، نحو تشبيه المنية فى النفس بالسبع ، استعارة بالكناية ، ونحو اثبات الاظفار المختصة للسبع بالمنية ، استعارة تخيلية (٤) . فلايكون هنا مجاز لغوى أصلا ، فاذا لاتغيير ولاتحويل على

= وهذا يخالف ماقاله سابقاً ، من أن الاستعارة بالكناية ، هى اسم المشبه به المتروك .

(١) أنظر التعليق رقم (٣) فى الصحيفة السابقة .

(٢) أى يؤخذ قوله فيها على المسامحة .

(٣) أى جمهور علماء البيان .

(٤) ونص عبارة الخطيب فى ذلك ، هو «قد يضمر التشبيه فى النفس فلا يصرح بشىء من أركانه ، سوى لفظ المشبه به ، من غير أن يكون هناك ، أمر ثابت حساً أوعقلا ، أجرى =

ماقصده ، إلا فى ذلك الاثبات(١) ، الذى يكاد أن يكون من قبيل المجاز العقلى(٢) ، بل هو منه ، عند التحقيق ، وإمعان النظر .

وا لحاصل أن منشأ ، التغير والتبدل(٣) ، هو الاثبات لا مفردات الكلام والألفاظ ، فلما حول التعلق عما هو له إلى غيره ، سمى ذلك التعلق الاثبات المدلول عليه بالهيئة التركيبيةاستعارة تخيلية ، كما سمى ذلك التشبيه المضمر فى النفس ، الذى يدل عليه الاثبات المذكور ، بفحوى الكلام ، وبشهادة المقام استعارة بالكناية جـ٦ . وهذا أيضاً توجيه كلامه (٤) بحسب ما فهم منه ، لكنه فى التحقيق هو سراب مطمع ابتداء ، ومؤيس انتهاء . فإن الغرض من نحو قولنا ، أنشبت المنية أظفارها بفلان ، مثل الغرض من نحو قولنا رأيت أسداً فى الحمام ، فى كون كل واحد منهما مبنيا على المبالغة فى التشبيه ، وعلى دعوى الاتحاد وتناسى التشبيه .

فكما أن ذلك الغرض لايتم فى نحو قولنا ، رأيت أسداً فى ا لحمام ، إلا إذا كان الأسد ، مستعملا فى الرجل الشجاع ، على سبيل الاستعارة ، وكذلك لا يتم ذلك الغرض فى نحو قولنا : أنشبت المنية أظفارها بفلان ، إلا إذا اكن اسم السبع المتروك ، المرموز إليه ، مستعملا فى المنية على سبيل الاستعارة بالكناية .

ولا شك أن ذلك الغرض ، يفوت على طريقة الخطيب (٥) ، بل هى

= عليه اسم ذلك الأمر ، فيسمى التشبيه استعارة بالكناية،أو مكنيا عنها ،واثبات ذلك الأمر المشبه استعارة تخيلية الايضاح ص ١٧٦ .

(١) أى اثبات الأظفار للمنية .

(٢) لأن اثبات الأظفار للمنية تصور عقل محض ، قائم على الادعاء ، أى ادعاء أن المشبه قد ا كتسب شيئاً من صفات المشبه به ، فكانه بذلك قد دخل فى جنسه ، وبذلك تصبح الاستعارة عند الخطيب مجازاً عقلياً ، لا لغوياً كما يرى الجمهور .

(٣) أى فى المعنى .

(٤) الضمير هنا ، عائد على الخطيب القزوينى .

(٥) لأن الخطيب القزوينى ، يرى أن الغرض فى المثالين ، ليس غرضاً واحداً . إذ يرى أن كلمة الأسد فى المثال الأول = الاستعارة التصريحية مستعملة فى غير معناها اللغوى ، وهو لا يختلف مع الجمهور فى هذا ، بينما يرى أن كلمة المنية فى المثال الثانى=الاستعارة المكنية= مستعملة فى معناها الحقيقى .

ـتقر(١) عليه بالنقض والابطال .

وأما طريقة السكاكى فيها ، فهى بمراحل من ذلك الغرض كما ترى .

ثم إن التشبيه فى باب الاستعارة ليس مفاداً من الكلام ، وإلا تكون الاستعارة ، كلا استعارة بل هو من قبيل الحالة ، التى بنى الكلام عليها (٢) فيكون التشبيه فيه ، مثل التشبيه فى نحو قول النحاة ، ما ولا المشبهتين بليس .

فالظاهر أن الحال ، اشتبهت بالمفهوم عند الخطيب ، كما اشتبه عند السكاكى المفهوم من اسم المنية ، بالمفهوم من اسم السبع المتروك ، المرموز اليه(٣)

فإن قلت ، فليكن التشبيه المضمر المذكور ، من قبيل غرض الكلام ، فيكون مفهوما بهذا الاعتبار ، فاستقام كلام الخطيب بلا اشتباه .

قلت الغرض المصوغ له الكلام علة الصوغ ، وسوق الكلام ، لامفهوم الكلام ، كالتأديب فى نحو قولك ، : ضربت زيداً للتأديب ، فانه علة الضرب لا مدلول الكلام ، ألا ترى أن رد الانكار فى نحو قولك ، : إن زيداً قائم ، هو أمر باعث على اتيان الكلام ، على كيفية مخصوصه مرتب عليه فى الوجود كالعلة الغائية ، لا مدلول منه ، وإن سمى هذا معنى ، عند أرباب علم المعانى لكن مرادهم منه ، هو الذى نبهتك عليه (٤).

---

(١) فى نص المخطوط بالكاف ، وهذا خطأ واضح ، ويبدو وأن المؤلف ، لم يستطع أن يتخلص من العجمة ، فى نطق مثل هذه الحروف الحلقية .

(٢) الأصل فى الاستعارة أنها تشبيه حذف أحد طرفية ، وهى على هذا النحو ، لاتفهم من سياق الكلام ، وتتابعة . ولكن من بنائه على حالة مخصوصة .

(٣) يرى المؤلف ، أن الذى أوقع الخطيب القزوينى ، فى الخطأ السابق ، هو خلطه بين مفهوم الكلام ، وبين ايراده على حالة مخصوصة ، فقد فهم الاستعارة ، على أنها تحديد مدلولات بعض الألفاظ ، لابناء الكلام على حالة مخصوصة ، كما خلط السكاكى ، المفهوم من اسم المنية فى المثال المشهور ، «أنشبت المنية أظفارها » .. ، بالمفهوم من اسم الأسد ، لأنها دخلت جنسه فأصبح للأسد ، معنيان ، معنى متعارف عليه ، هو الذى يتصف بالجرأة والبطش ، وشكل الحيوان المعروف ، ومعنى غير متعارف عليه ، وهوالذى يتصف بهذه الصفات ، لامع تلك الصورة الحيوانية ، بل مع صورة أخرى الا يضاح ص ١٦٣ . وبذلك تصبح المنية أسدا .

(٤) أى الغرض المصوغ له الكلام لا المفهوم منه .

فليكن هذا على ذكر منك ، فإنه ينفعك فى مباحث علم المعانى ، وفى غيرها أيضاً .

وأما طريقة الأقدمين فى الاستعارة ، فهى خالية كما ذكر ، ومبنية على أساس الحق والصواب ، وواضحة لاغبار عليها فى التحقيق وإن خفيت ج٧ على بعض الأذهان لعدم التفكر فيها ، حق التفكر .

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلاغرو أن يرتاب والصبح مسفر (١)

فإذا القول قولهم والرأى رأيهم (٢) —

ألا إن رأى الأشعرى أبى الحسن ومتبعية فى القبيح وفى الحسن.
وإن كان منسوباً إلى الجهل عن قلى لرأى حقيق بالقبول فأعلمن(٣)

---

(١) أشار السكاكى إلى هذا البيت ، فى المفتاح ص ١٣١ — كتاب المعانى — ، ولم ينسبه إلى قائل معين .

(٢) هذا شطر بيت من الشعر ، لم أعثر على بقيته .

(٣) هذان البيتان ، فى مدح مذهب أبى الحسن على بن اسماعيل الأشعرى (٣٠٣ هـ) ، أحد مؤسسى علم الكلام الإسلامى ، وصاحب الفرقة الإسلامية ، التى تسمى بالأشعرية نسبة اليه .

وقد كان فى بداية حياته معتزلى التفكير ، ثم اختلف مع أستاذه الجبائى ، فى مسألة الصلاح والأصلح . وأصبح من أهل السنة ، المدافعين عن الحديث ، والمتمسكين بأصول العقيدة .

واختلف الأشعرى وأصحابه مع المعتزلة فى مسائل كثيرة ، منها : خلق القرآن ، ووصف الله ببعض الصفات ، والقضاء والقدر ، أو الجبر والاختيار .

وهذان البيتان ، يشيران إلى مسألة من المسائل ، التى اختلف فيها الأشعرى مع المعتزلة . وهى التقبيح والتحسين العقليين ، فالمعتزلة يرون أن العقل الانسانى ، هوالذى يقود الانسان إلى الفعل الحسن أو القبيح ، أما الأشعرى ، فيرى أن الواجبات كلها سمعية ، وأن العقل الانسانى لا يقتضى تقبيحاً ولا تحسيناً ، وأن الانسان يفعل الخير ، لأنه أمر بذلك ، ويتجنب الشر لأنه نهى عنه . وقد ذكر السكاكى ، هذين البيتين فى المفتاح ص ٢١٨ ، ولم ينسبها إلى قائل معين ، وذكرهما المؤلف فى كتابة المختصر فى علم التاريخ ص ٣٢٧ دون عزوهما إلى قائل معين كذلك .

ويبدو أنها لبعض المتأخرين ، إذ لم يرد لهما ذكر ، ضمن الأشعار الكثيرة التى قيلت فى مدحه ، وأوردها ابن عساكر (٥٧١ هـ) فى كتابة («تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الأشعرى» . وهو من أوفى كتب التراجم التى كتبها المتقدمون عنه أنظر .

١ — تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الأمام أبى الحسن الأشعرى تأليف ابن عساكر ط : القدسى بدمشق .

فإن قلت فأنى يكون هذا ، وقد لزم فى الاستعارة بالكناية على طريقتهم(١) ، اجتماع دلالتين ، قصداً على معنى واحد فى حالة واحدة . ومثل هذا المقام غير مقصود فى مثل هذا المقام فيكون مردوداً ، بحسب رعاية حق المقام. قلت لا ثم لزوم ذلك ، لاختلاف جهتى الدلالتين ، ولاختلاف حاليهما أيضاً ، على أن فى أحديهما ، فائدة ليست فى أخريهما . والتحيق أن المقام ، مقام التقوية ، يناسبه اجتماعهما فيه . ويجاب بهذا الجواب ، لو أورد مثل هذا الاعتراض ، على الاستعارة بالكناية ، على طريقتى السكاكى والخطيب(٢) . فإن قلت فهل يكون لنحو قولنا : أنشبت المنية أظفارها بفلان ، وجه عندك ، غير ماذكر من الوجوه والأقوال . قلت نعم ، بناء على جواز تقدير مثل هذا الكلام . كناية باعتبار اللازم والملزوم فيه. كما أومأنا إليه فيما سبق(٣). لكن تلك الأسرار واللطائف ، الكائنة على طريقة القوم ، يفوت بعضها على هذا الوجه . فإن قلت ، فهل يجوز أن يكون ، نحو قولنا : « أنشبت المنية أظفارها بفلان » ، من قبيل المجاز العقلى (٤) ، كقولنا : « أنبت الربيع البقل» (٥) ، قلت نعم ، لكن يفوت الفائدة المطلوبة من الاستعارة ، فواتها

= ٢ – دائرة المعارف الاسلامية – مادة الأشاعرة .

٣ – مقدمة مقالات الاسلاميين ، تحقيق محى الدين عبد الحميد .

(١) الضمير هنا ، عائد على القدماء من علماء البيان .

(٢) يرد المؤلف ، على المعترض الذى يأخذ عليه تأييده لطريقة القدماء فى تعريف الاستعارة بالكناية وفهمها ، بالرغم مما فيها من قصور ، إذ يترتب عليها ، أن يكون للفظ معنيان فى حالة واحدة ، لكنه يرى أن الأمر ، ليس كما فهم المعترض ، لا ختلاف نوع الدلالتين ، وحالتيهما أيضاً . فالمعنى الأول للفظ هو المعنى الحقيقى ، الذى يحدده له المعجم اللغوى ، أما الثانى ، فهو المعنى المجازى ، الذى يكتسبه اللفظ ، حين يستعمل فى غير ماوضع له ، لعلاقة المشابهة بين معناه الأول ومعناه الثانى ، وعلى هذا يعد المعنى الثانى تقوية للمعنى الأول .

ويرى أنه يمكن ، أن يرد بهذا كذلك ، على من يعترض على طريقتى السكاكى والخطيب فى الاستعارة بالكناية .

(٣) أنظر التعليق السابق .

(٤) أى على اعتبار اسناد الانشاب للمنية .

(٥) يخالف السكاكى أكثر علماء البيان ، فى الاستشهاد بهذا المثال ، فأكثرهم يرون=

عن طريقة الخطيب ، على ماعرفت .

مع أنه لايطرد فى بعض الصور (١) . فإن قلت فليقدر هناك إسناد مجازى ، فيطرد فى الكل . قلت ذلك التقدير مستغنى عنه ، لايحتاج إليه معنى الكلام لتمامه بدونه .

فإذا قلت : إذا كان نحو قولنا : «أنشبت المنية أظفارها بفلان» ، محتملا للأمور على ماذكرت ، فهل يمكن التفصيل فيه ، بأن يقال : إذا كان المقام ، مقام المبالغة فى التشبيه ، يكون استعارة بالكناية على طريقة القوم .

وإذا كان المقام ، مقام التشبيه على سبيل الخفاء . يكون تشبيهاً مضمراً فى النفس ، على ما اختاره الخطيب . وإذا كان المقام ، مقام التكلم بالمجاز فى المسند ، يكون مجازاً فى المسند على ما أختاره ابن الحاجب ، فى نحو : أنبت الربيع البقل ، إلى غير ذلك من الاحتمالات على ما صرح به بعض المحققين ، فى نحو : أنبت الربيع البقل ، وفى نحو : حيانى اكتحالى بطلعتك(٢) قلت لاشك فى الامكان ، بل فى الوقوع أيضاً ، لكن لانقول به تقريراً ، لما كان على ما كان ، لاسيما قد ظهر الحق لنا ، فى طريقة القوم ، فلا حاجة بنا إلى تكثير الأقوال المفضية إلى زيادة التحير والانتشار ، فان خير الكلام ماقل ودل .

= أنه مجاز عقلى ، على اعتبار اسناد الانبات للربيع لا لله ، بينما يرى هو ، أنه استعارة بالكناية . فالربيع هنا استعارة مكنية عن الفاعل الحقيقى وهو الله ، لأن الملحد الذى لا يؤمن بالله ، يرى أن الانبات للربيع حقيقة لا مجازاً . أنظر المفتاح ص ١٦٦ ، والايضاح ص ٢١ .

(١) يريد أن يقول ، إننا إذا اعتبرنا قولنا «أنشبت المنية أظفارها بفلان» من قبيل المجاز فى الاسناد ، ونفينا كونه : استعارة مكنية ، لضاعت علينا الفائدة المطلوبة من الاستعارة وهى المبالغة فى التشبيه ، وإبراز البيان فى صورة مستجدة ، كما غفل عن ذلك الخطيب القزوينى ، بادعائه أن لفظ المنية ، مستخدم فى معناه الحقيقى ، أضف إلى ذلك أنه يستحيل انطباق هذا الحكم ، على كل أنواع المجاز اللغوى ، والاستعارة بنوع خاص .

(٢) أنظر الأراء المختلفة حول هذا فى الايضاح ص ١٥ — ٢١ .

الثانى : بحث الاستعارة التخيلية

وهى جعل الشىء للشىء ، كجعل اليد للشمال فى قول لبيد :

وغداة ريح قد كشفت وقرة إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

وكجعل الأظفار للمنية جـ٨ ، فى قول أبى ذؤيب الهذلى :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

قال تعالى : واخفض لهما جناح الذل (١) ، فيكون اللفظ ثابتاً فى معناه الأصلى ، فلا يكون فيه مجاز بحسب اللغة أصلا ، بل يكون فيه مجاز بحسب اعتبار التخيل والتوهم(٢).

فإن قلت لوثبت هذا ، أهو من قبيل المجاز فى الاسناد فى نحو قو لك : أنبت الربيع البقل ، أم هو من قبيل المجاز العقلى ، الذى يحصل بمجرد تصرف العقل ، بدون اعتبار التركيب ومعناه(٣). كما قال البعض (٤) ، فى نحوقولك : رأيت أسداً فى الحمام ، أن الاستعارة فيه مجاز عقلى لا لغوى . وإن كان الراجح عند الجمهور ، أنها مجاز لغوى ، دون عقلى . قلت إن ثبت أنه مجاز ،

---

(١) سورة الاسراء آية ٢٤ .

(٢) أى تخيل أن للشمال يداً ، وللمنية أظفاراً وللذل جناحاً .

(٣) يفرق المؤلف ، بين المجاز فى الأسناد ، والمجاز العقلى ، فيرى أن الأول ، يعنى اسنادالفعل أو مافى معناه إلى غير فاعله ، أما المجاز العقلى ، فهو مجرد التخيل أوالتصور العقلى ، لصورة من الصور ، على غير ماهى عليه فى الواقع ، دون مراعاة التركيب .

كأن يتخيل الانسان مثلا ، أن للشمال يداً ، أو للمنية أظفاراً ، دون أن يفكر فى اسناد اليد للشمال أو الأظفار للمنية .

ويبدوأن هذه التفرقة من صنع المتأخرين ، أما القدماء فلم يفرقوا بين المجاز العقلى ، والمجاز فى الاسناد ، وقد سوى عبد القاهر بين النوعين ، واطلق المجاز الحكمى ، على المجاز العقلى أنظر أسرار البلاغة ص ٤٣٢ -- ٣٣٤ . ويبدو أنه أول من اخترع هذا المصطلح من البلاغيين أنظر : البلاغة تطور وتاريخ ص ١٨٥ .

فالظاهر أنه من قبيل الأول (١) ، لاتفاق السلف على أنه استعارة ، ولهذا قال عبد القاهر :

«لا خلاف فى أن اليد استعارة ، ثم أنك لاتستطيع أن تزعم ، أن لفظ اليد ، قد نقل عن شىء إلى شىء ، وذلك أنه ليس المعنى ، أنه شبه شيئاً باليد» (٢) ، فاستعمل اليد فيه على سبيل الاستعارة كاستعمال الأسد ، فى نحو قولك : رأيت أسداً فى الحمام ، على أنه أراد أن يثبت للشمال يداً ، لغرض من الأغراض ، بدلالة معنى الكلام ، وبشهادة فحوى المقام .

فإن قلت فكيف يتم ماذكرته فى الجعل ، الذى هو صفة المتكلم وفعله ، ولو تم ذلك ، فإنما يتصور فى تعلق اليد بالشمال ، وهو المدلول عليه ، بالهيئة التركيبية الإضافية . قلت يتم فيه ، فإن المراد من ذلك الجعل ها هنا ، هو ذلك التعلق ، لكنه عبر عنه به عند الأداء ، والحكاية تنبيهاً على أن للمتكلم اعتناء به .

ونظير ذلك ، أكثر من أن يحصى ، كقولهم (٣) ، الواو للجمع المطلق ، والفاء للترتيب . قال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى ، ولهم فيها أزواج مطهرة أن فى مطهره فخامة ليست فى طاهرة ، وهى الإشعار ، بأن مطهراً طهرهن ثم لما كانت الاستعارة التخيلية مبنية على الاعتبار بذلك التعلق (٤) ، قيل إنها ليست بمجاز لغوى عند السلف .

فإن قلت إذا كان الاعتبار فى الاستعارة التخيلية ، نحو قولك : أنشبت المنية أظفارها ، اعتباراً بتعلق الأظفار بالمنية فلم ذكر الانشاب هاهنا . قلت للترشيح (٥) الاستعارة بالكناية ، فإن قلت فلتكن الاستعارة فى فعل الانشاب

---

(١) أى من قبيل المجاز اللغوى .

(٢) أنظر عبد القاهر الجرجانى – دلائل الاعجاز ص ٢٨٣ .

(٣) الضمير عائد هنا على النحاة .

(٤) أى تعلق اليد بالشمال .

(٥) معنى الترشيح فى الاستعارة ، هو اقترانها بصفة تلائم المستعار منه .

ولكن تعلق الأظفار بها قرينة لها ، فمن أين يحصل لك رجحان الحكم ، بأنها استعارة تخيلية .

قلت يحصل لنا ذلك الحكم الراجح ، من شهادة الغرض المصوغ له الكلام أصالة ، فيكون من قبيل النص الراجح على الظاهر عند التعارض ، ولذلك فصل بعض أهل الذوق السليم ، والطبع المستقيم تفصيلا فقال (١) : إذا كان الغرض الأصلى الواضح الجلى ، هو تشبيه المصدر . بحيث يكون ذلك الفعل بالعرض والتبع ، فالاستعارة تبعية .

كما فى قول الشاعر(٢) :

تقرى الرياح رياض الحزن مزهرة إذا سرى النوم فى الأجفان أيقاظاً

فإن حسن التشبيه بحسب الأصالة ، إنما هو بين هبوب الرياح والقرى ، لافيما بين الرياض والصيف ، ولا بين الايقاظ والإطعام . وإذا كان الغرض الأصلى من الكلام هو تشبيه أمر بمتعلق الفعل ، بحيث يكون ذكر الفعل على سبيل التبع .

كما فى قوله تعالى : «الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه »(٣) فالاستعارة بالكناية لشيوع تسمية الحبل بالعهد (٤) . وكذا قوله تعالى «فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون» (٥).

وإذا كان الأمران على السواء ، كما فى نحو قولك : نطقت الحال ،

أنظر الأمثلة على ذلك فى الايضاح ص ١٧٢(، والمؤلف يرى أن اثبات الأظفار للمنية استعارة تخيلية ، أما الانشاب ، فهو ترشيح لها . أى إنه لما ذكر للمنية أظفاراً على سبيل الاستعارة ، أثبت لها ، ماينا سبها من صفات صاحب الأظفار وهو الانشاب .

(١) أنظر المفتاح ص ١٦١ — ١٦٢ .

(٢) يورد كثير من البلاغيين ، هذا البيت عند حديثهم عن الاستعارة التبعية دون أن ينسبوه ، إلى قائل معين . أنظر : المفتاح ص ١٦٢ ، الايضاح ص ١٧١ ، ، عروس الأفراح ص ١٢٦ .

(٣) آية ٢٧ من سورة البقرة .

(٤) أنظر تعليق الزمخشرى على هذه الآية فى الجزء الأول من الكشاف .

(٥) آية ١١٢ من سورة النحل .

فيجوز حمل اللفظ على كل منهما بدلالة من الآخر ، إذ كل واحد من الشبهين اللذين ، أحدهما : تشبيه الدلالة بالنطق . وثانيهما : تشبيه الحال بالناطق حسن ها هنا . وأما الترجيح لو حصل ، فهو يرجع إلى معونة المقام ، وسوق الكلام .

فقلت لا شك أن بين التخيل والترشيح تشابهاً ، فما المميز بينهما حتى يظهر لنا ، وجه قولنا ، فى نحو أنشبت المنية أظفارها بفلان ، أن الترشيح فيه ليس من باب المجاز ، وأن الأظفار فيه إستعارة بالكناية .

قلت الفرق بينهما جلى ، فإن الاستعارة التخيلية هى شرط فهم المعنى المجازى ، وبمنزلة المقوم له ، ولازمه بخلاف الترشيح فى المجاز ، فإنه بمنزلة المحسن العرضى (١) له . ثم إن الاستعارة التخيلية على الوجه المذكور (٢) ، لما كانت غير مرضية عند السكاكى ، جعلها مجازاً لغوياً (٣). وفسرها ، بما لايتحقق لمعناه حساً ولا عقلا ، بل يكون معناه صورة وهمية محضة ، لايشوبها شى من التحقق الحسى أو العقلى ، كلفظ الأظفار ، فى قول الهذلى : وإذا المنية أنشبت أظفارها ، فإنه لما شبه المنية بالسبع فى الاغتيال ، أخذ الوهم فى تصويرها بصورته ، واختراع لوازمه لها ، فاخترع لها صورة مثل صورة الأظفار المحققة ، ثم أطلق لفظ الأظفار على الصورة التى هى مثل صورة الأظفار ، فتكون استعارة تصريحية ، لأنه قد أطلق اسم المشبه به ، وهو الأظفار المحققة على المشبه ، وهو صورة شبيهة ، بصورة تلك الأظفار المحققة ، وقرينة هذه الاستعارة إضافتها إلى المنية ، فيكون

---

(١) يفرق المؤلف ، بين الاستعارة التخيلية ، وبين الترشيح فى المجاز ، فى أن الاستعارة التخيلية هى أساس فهم المعنى المجازى ، أما الترشيح فهو مجرد تحسين ظاهرى .

وقد تأتى الاستعارة التخيلية بدون الترشيح ، لأنها لا زمة من لوازم المجاز ، أما الترشيح فشىء عرضى .

(٢) أى فى اثبات الأظفار للمنية ، وهذا هو رأى الجمهور .

(٣) لأنه حصرها فى لفظ الأظفار لا فى اسناده للمنية .

قوله فيها اضبط ، من غيره ، لكن فيه كثرة من الاعتبارات ، التى لايدل علها دليل ، ولايساعدها استعمال كلام العرب ولاإليها حاجة .

فيكون مسلك غيره فيها ، أحسن وأنسب ، ويساعده الاستعمال ، وفحوى الكلام ، فإذا القول فيها ، هو قول السلف أيضاً ، فإن معنى الكلام يتم باعتبار مسلكهم فيها ، بلا احتياج إلى اعتبار ، طريقته فيها ، ولايخفى عليك ، رأى الخطيب فيها ، مع رأيهم فى التحقيق (١) .

فاشتبه عند السكاكى الاعتبار المجرد الوهمى ، بالاعتبار اللغوى ، بحسب فهم المعنى المستفاد من استعمال كلام العرب ، فلا يكون المعنى فيها جاريا على قانون اللغة ، و مقتضى المحاورة ، والاستعمال فلا يلفت إليه جـ٩ .

الباب الثانى : فى بحث تلازمهما : أقول أولا : لاشك أن المجاز باب مزال عن أصله ، لابد له من قرينة ، دالة على المعنى المراد منه ، مانعة عن إرادة خلاف المراد ، لاسيما إذا كان استعارة بالكناية ، فإن أمرها على الاختمار والاختفاء .

وثانياً : أن تلك القرينة ليست مقصودة لذاتها ، بل تكون تابعة لغيرها ، وكل تابع من حيث أنه تابع ، لايوجد بدون متبوعه ، فظهر مما ذكر أنهما متلازمان(٢) ، على ماهو الظاهر المفهوم ، من قول السلف ، تلازم الهيولى مع الصورة ،وتلازم وجود النهار مع الطلوع ، وتلازم الركوة مع النضا(٣) .

---

(١) يريد أن يقول ، إن رأى الخطيب القزوينى ، يتفق مع رأى علماء البيان القدماء ، فى فهم الاستعارة التخيلية ، فهو يرى أنها تعنى ، اثبات لازم المشبه إلى المشبه به كاثبات الأظفار للمنية ، فى قول الهذلى (« وإذا المنية أنشبت اظفارها » .

وهذا هورأى الجمهور » والقدماء من علماء البيان ، ويؤيد المؤلف هذا الرأى ، ويرفض رأى السكاكى ، لأن فيه تعسفاً شديداً ، وغير جار على قوانين اللغة ، وأساليبها فى التعبير .

(٢) أى الاستعارة وقرينتها .

(٣) من معانى الركوة ، الشىء الضعيف أو البالى ، وفى المثل : صار القوس ركوة ، ويضرب هذا المثل فى الأدبار وانقلاب الأمور . وأنظر معنى هذه المادة فى لسان العرب حرف الواو والياء فصل الراء) .

فإن قلت : قد ذكر فى الكشاف ، فى تفسير قوله تعالى : الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه (١)...، أن فى العهد استعارة بالكناية ، وتشبيها ، وأن النقض استعارة لابطال العهد . وهذا أمر محقق عقلا ، فقد وجدت الاستعارة بالكناية بدون الاستعارة التخيلية جـ١٠ قلت قد حصل التخيل ها هنا ، من حيث النظر إلى تعلق المعنى الحقيقى بالعهد ، وإن لم تتحقق من حيث النظر إلى المعنى المراد منه ، وقد عرفت أن الاستعارة التخيلية عند السلف ، إنما هى فى التعلق فى نحو قولك : أنشبت المنية أظفارها بفلان ، فلاينا فيها تحقق معنى حقيقى فى الجملة ، فضلا أن يتحقق معنى مجازى جـ١١. فإن قلت : الاستعارةالتخيلية، قد تكون أعم بحسب التحقق من الاستعارة بالكناية ، ولذلك مثل لها السكاكى بنحو أظفار المنية الشبهة بالسبع . قلت قد عرفت أن التلازم بينهما (٢) ، إنما هو على طريقة السلف(٣) وأما التمثيل بذلك فلا اعتبار له عندهم ، ولا هو موجود فى استعمالات كلام العرب العرباء جـ١٢ .

فإن قلت : قد وجد فى قول ابى تمام الطائى :(٤) .

لاتسقنى ماء الملام فإننى صب قد استعذبت ماء بكائى .

أما النضا ، فصدر ، من نضا السيف جرده من غمده ، ونضا الخضاب ذهب لونه ، ونضا الماء نشف (أنظر لسان العرب حرف الواو والياء فصل النون) ، فيكون المعنى الذى يتفق وسياق هذه العبارة ، البلى أو الضعف ، ويصبح المعنى الاجمالى لها ، تبعاً لهذا ، هو تلازم وجود الشىء البالى القديم مع البلى أو القدم فالبلى أو القدم صفة ملازمة للشىء البالى القديم .

(١) آية ٢٧ من سورة البقرة .

(٢) أى بين الاستعارة بالكناية والاستعارة التخيلية .

(٣) لأنهم يعتبرون الاستعارة التخيلية ، قرينة الاستعارة بالكناية ، وعلى هذا فهى تابعة لها ، وإلى هذا الرأى يذهب المؤلف .

(٤) من قصيدته فى مدح يحى بن ثابت التى مطلعها :

قدك اتئب أربيت فى الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائى

أنظر الديوان : ط ص ٢٠ (القصيدة الثانية فى باب المديح(ط : دار المعارف بمصر .

ولذلك استهجنت عليه (١) لكونها غير ثابتة للاستعارة بالكناية . قلت أولا إن ذلك الاستهجان يقوى ماحكينا عنهم ، ولولا ذلك حق لما استهجن ذلك .

وثانياً : أن اسم العلقم ، أو الحنظل ، استعارة بالكناية لمعنى الملام ، بادعاء المشابهة بينهما ، فيكون إضافة الماء إليه تخيلا ، كإضافة الأظفاراً إلى المنية ، بناء على أن المجاز لايشترط فى آحاده السماع على الأصح . فإن قلت إنما يتم ذلك ، لو كان للحنظل ماء بالفعل ، كالجناح للطائر . قلت هو مجرد قول ، فيما وراء المقصود ، والاستعمال اتباعاً لمجرد العقل ، وتقليداً للناس ج١٣ ألا ترى حسن انتظام صدر البيت ، مع مايليه . وإلى قول الشاعر (٢) :

لاتسقنى ماء الحياة بذلة ... بل اسقنى بالعز ماء الحنظل

والحاصل ، أن الاستعارة التخيلية ، يجب أن تكون قرينة للاستعارة بالكناية البتة لكونها ، تابعة لها ، وأن الاستعارة بالكناية ، يجب أن تكون قرينتها تخيلية البتة ، عند السلف بالتتبع والاستقراء ، وهو حجة فى مثل ذلك ، وقد سبق مثله فيما قبل .

والحمد لله على جزيل نواله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد

---

(١) ولكن الآمدى ، يخالف كثيراً من النقاد فى استهجانهم ، لما فى هذا البيت من استعارة ، ولا يرى فيه عيباً . يقول معلقاً عليه (فقد عيب وليس عندى بعيب ، لأنه لما أراد أن يقول : قد استعذبت ماء بكائى جعل ، للملام ماء ليقابل ماء بماء وإن لم يكن للملام ماء على الحقيقة ، كما قال : عز وجل : وجزاء سيئة سيئة مثلها ، ومعلوم أن الثانية ليست بسيئة ، وإنما هى جزاء عن السيئة ، ومثل هذا فى الشعر والكلام مستعمل فلما كان فى مجرى العادة أن يقول قائل : أغلظت لفلان القول ، وجرعته كأساً مرة ، وسقيته منه ، أمر من العلقم ، وكان الملام مما يستعمل فيه التجرع على الاستعارة ، جعل له ماء على الاستعارة ، وهذا كثير موجود . الموازنه ج ١ ص ٢٦١ ط : دار المعارف). وإلى هذا يذهب أبوبكر الصولى. وقد اعترض ابن سنان الخفاجى على الصولى والآمدى ، وأيد الكثرة الكثيرة من النقاد ، التى تستهجن مافى هذا البيت من استعارة . أنظر سر الفصاحة ص ١٣٣ — ١٣٥ .

(٢) لم اعثر على قائل هذا البيت .

وآله . قال المؤلف أبقاه الله تعالى ونفع به المسلمين ، حصل الفراغ ، من تأليفه ، فى حادى عشر من ربيع أول ، سنة احدى وستين وثمانمائة ، لعاشر (ليلة (١) ، عاقبها (ليلة(١)(مولد محمد صلى الله عليه وسلم .

وكان الفراغ من نسخه ، فى يوم الثلاثاء المبارك ، سابع عشرين من شهر رجب الفرد سنة انتهاء املائه .

على يد كاتبه
الفقيد محمد محى الدين الكافيجى

(١) مابين الأقواس إضافة من عندنا حتى تستقيم صحة هذه العبارة الغامضة .
والمعنى : أنه انتهى من تأليف هذا البحث ، مساء اليوم الذى يسبق ليلة المولد النبوى ، أى فى مساء ١٠ ربيع أول .

١٧٨

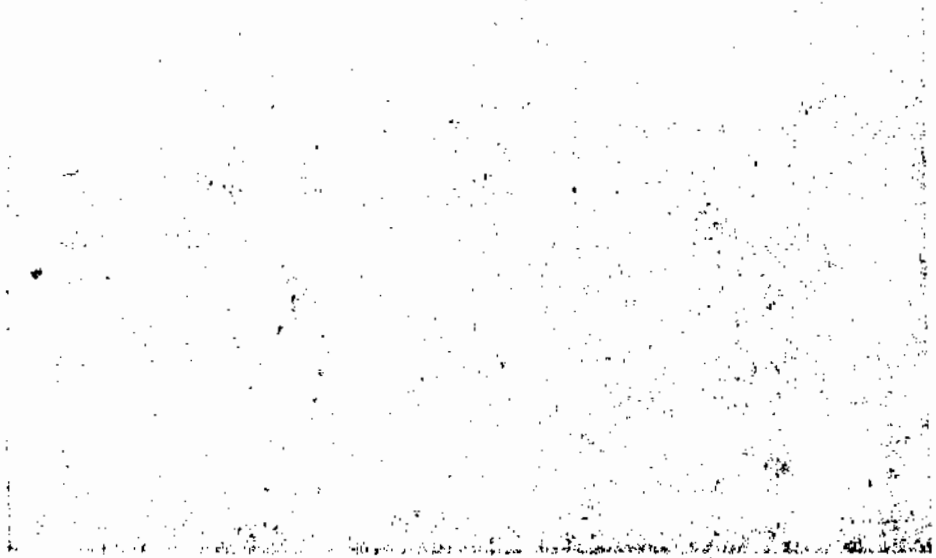

حواشى البحث

١ – (جـ١) : وفى التعليل بحث بأن أنواع المجازات منضبطة ، فلم يدونوها ، لكونها منضبطة والجواب عنه ، أن هذا التعليل ، جار على ما هو الظاهر المشهور ، عند القوم ، سلوكاً فيما هو المقبول عندهم ، وإن كان الواقع بخلافه . .

٢ – (جـ٢) : فإن قلت فهل يجوز أن تجعل المعنى شرطاً ، لتحقيق صدق هذا المقال ، على سبيل الاقتضاء حوالة على فهم المعنى بحسب اعتبار العقل بالقرينة ، من غير اعتبار دلالة السبع تصريحاً و لاكناية .

كما فى قولهم : اعتق عبدك عنى بألف . قلت لا ثم لهذا ، أى فائدة . وإنه معنى دقيق لطيف المسلك ، فلو ادعيم هذا ، يكون رأياً رابعاً ، فى مسئلة الاستعارة ، بالكناية ، لكن لا حاجة إلى تكثير الأقوال والآراء ، مع غنى عنه . فإن قلت ، فهل فى التعرض للترك فى تعريف الاستعارة بالكناية ، ايماء إلى ما أكدته ، قلت نعم : فعلم من هذا أن القول فى الاستعارة بالكناية ، لا يزيد على ملازمة هذا الفرق فى التحقيق .

٣ – (جـ٣) : فإن قلت ماتقول فيما ذكر فى بيان قوله تعالى ، يد الله فوق أيديهم ، فى أن اسم الله استعارة بالكناية ، قلت إنه ليس يقع ، بل الواجب عليه ، وعلى غيره ، أن يصون لسانه عن التكلم ، بمثل هذا الكلام ، وإنه مخالف للاجماع .

٤ – (جـ٤) : ويقول على كرم الله وجهه ، أياك وما يسبق إلى القلوب انكاره ، وإن كان عندك اعتذاره .

فإن قلت فما تقول أنت فى مثل هذا ، قلت إنه محمول على التشبيه والتخيل .

قال الزمخشرى فى تفسيره : القول بالمعنى تقرير ، أن عقد الميثاق مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كعقده مع الله ، من غير تفاوت بينهما . لقوله تعالى :

من يطع الرسول ، فقد أطاع الله .

٥ – (جـ٥) فاذا تأملت هذا التأمل ، يظهر لك الحق هاهنا ، ظهورا تاماً بحيث لايبقى للريب سبيل اليه .

٦ – (جـ٦) ومن الشواهد على التشبيه المضمر قول (ابن المعتز) :

أصبر على مضض الحسو د فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ماتأكله .

وكذلك قول (المتنبى) :

وإن نقق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وكذا قوله :

ومن الخير بطء سيبك عنى أسرع السحب فى المسير الجهام

ومن الأمثلة على التشبيه المضمر نحو قولك : علمت زيداً حاتما ، وحسبت بكراً بحراً .

٧ – (جـ٧) فإن قلت يلزم على طريقتهم بالجمع بين الحقيقة والمجاز ، قلت لا ثم لزوم لذلك ، فإن اسم المنية ، المذكور حقيقة فى معناه ، الموضوع له لغة ، كما أن اسم السبع المتروك مجاز ، فإن قلت يلزم عنهما تعاند وتدافع ، فإن الاستعارة ، تقتضى المبالغة والادعاء ، والحقيقة تقتضى خلاف ذلك . قلت لا ثم لزوم لذلك فإن هذا تفاوت وتعاند ، ورمز إلى نوع من الطباق .

٨ – (جـ٨) : من الشواهد على هذا قول أبى الطيب .

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سبلا

على أنها جمع لماء ، أضيفت إلى المنايا وهو المقصود .

٩ – (جـ٩) : ألاترى أنك لوقلت زيدقريب بينه بالوجدان ، أن فى ذلك القول اعتباراً من جهة اللغة ، واعتباراً من جهة العقل ، واعتباراً من جهة الوهم ، فأكثر الأقوال على جهة الاعتبار دلت ، والفضل هوالتميز بينها .

١٠ – (جـ١٠) : ونحو ذلك يكون معجزاً للأبصار ، مستفاداً من هذا الكلام على سبيل الكناية ، ومن سوق الكلام وفحوى الخطاب .

١١ – (جـ١١) : وكذا عند الخطيب ....، فله أن يقول إنه ترشيح التشبيه فلا استعارة هنا أصلا .

١٢ (جـ١٢) : وأما فائدة وضعها بقوله ، التشبيه بالسبع ، فهى التوضيح بما أضمر بعد الترشيح ، لزيادة الايضاح ولدفع الابهام والاحتمال .

١٣ – (جـ١٢) : ويزيد لماقلت اجماع أهل اللغة والبلاغة ، على لزوم اختراع الاستعارات الغريبة البديعة ، التى لم يسمع بأعيانها ، لأجل بلاغة اللغة ، وطرف البلاغة ، والحاصل لزيادة البلاغة ، ابتداع نكت غرائب ، واختراع لطائف عجائب ، يقبل تلك اللطائف الذهن السليم ، ويرتضيها الطبع المستقيم .

ولذا صار القرآن معجزاً ، لكونه فوق كلام البلغاء والبشر . فرأيت الغرائب ، التى هى فوق اتيان المخلوقات بمثلة .

مراجع التحقيق والدراسة

١ – الاحكام فى أصول الأحكام ابن حزم الظاهرى ط . الخانجى ، القاهرة ١٣٨٤ هـ.

٢ – أدب الكتاب ابن قتيبة الدينورى ط : ليدن .

٣ – أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجانى . ط : التجارية .

٤ – الأعلام : الزركلى ط : : المطبعة العربية بالقاهرة ١٩٢٧ م .

٥ – الايضاح : الخطيب القزوينى ط : صبيح ١٣٩٠ هـ–١٩٧١ م .

٦ – بدائع الزهور فى وقائع الدهور ابن إياس الحنفى ط : دار المعارف بمصر .

٧ – بدائع القرآن : زكى الدين بن أبى الاصبع . ط : دار الكتب المصرية .

٨ – البلاغة : تطور وتاريخ . شوقى ضيف ط : دار المعارف بمصر .

٩ – تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الامام أبى الحسن الأشعرى. ابن عساكر ط : القدسى بدمشق .

١٠ – ثلاث رسائل فى اعجاز القرآن تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ط : دار المعارف .

١١ – حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة . السيوطى ط : الموسوعات :

١٢ – الحركة الفكرية فى مصر : عبد اللطيف حمزة ط : الأولى . الناشر : دار الفكر العربى .

١٣ – دائرة المعارف الاسلامية الترجمة العربية . ط : الشعب .

١٤ – دلائل الاعجاز عبد القاهر الجرجانى ، ط : القاهرة ١٣٨١ هـ – ١٩٦١ م .

١٥ – ديوان أبى تمام ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط : دار المعارف بمصر .

١٦ – ديوان أبى الطيب المتنبى تحقيق البرقوقى ط : الاستقامة بالقاهرة .

١٧ – سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجى ط : الخانجى ١٣٥٠ هـ – ١٩٣٢ م .

١٨ – شذرات الذهب : ابن العماد الحنبلى ط : القدسى .

١٩ – الصناعتين : أبو هلال العسكرى ط : الثانية صبيح .

٢٠ – الطراز : يحى بن حمزة العلوى ط . دار الكتب المصرية ١٩١٤ م .

٢١ – الضوء اللامع : السخاوى ط : القدسى .

٢٢ – عروس الأفراح للسبكى على هامش مختصر التفتازانى المسمى بالمطول ط : الأميرية ببولاق ١٣١٨ هـ .

٢٣ – علم التاريخ عند المسلمين تأليف : روزنثال ، ترجمة صالح العلى أحمد. الناشر : المثنى ببغداد .

٢٤ – العمدة فى صناعة الشعر وآدابه لابن رشيق ونقده تحقيق محى الدين عبد الحميد، الناشر : التجاريه بمصر .

٢٥ – فن القول ، أمين الخولى ، ط : دار الفكر العربى .

٢٦ – القاموس المحيط : مجد الدين الفيروزآبادى ط: البال الحلبى ١٣٧١ هـ – ١٩٥٢م.

٢٧ – قضايا النقد الأدبى والبلاغة : محمد زكى العشماوى ط : دار الكتاب العربى .

٢٨ – الكشاف : الزمخشرى ط : البهية ١٣٤٣ هـ .

٢٩ – كشف الظنون عن معرفة أسامى الكتب والفنون : حاجى خليفة ط : سعادت (الأولى).

٣٠ – لسان العرب : ابن منظور ط : بيروت .

٣١ – معاهد التنصيص (شرح شواهد التخليص) : عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسى ط: البهية .

٣٢ – مقالات الاسلاميين : أبو الحسن الأشعرى ، تحقيق محى الدين عبد الحميد، ط : النهضة المصرية .

٣٣ – المفتاح فى علوم البلاغة : السكاكى ، ط : التقدم بمصر .

٣٤ – مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون ط : الشعب .

٣٥ – منهج النقد التاريخى عند المسلمين والمنهج الأورنى . عثمان موافى ط : مؤسسة الثقافة الجامعية .

٣٦ – الموازنة بين الطائيين : الآمدى . ط : دار المعارف بمصر ١٣٨٠ هـ – ١٩٦١م.

٣٧ – الوساطة بين المتنبى وخصومه : أبو الحسن الجرجانى، ط عيسى البابى الحلبى (الثالثة)

«نحو تعمير الصحراء الغربية»

الملامح الجغرافية للصحراء الغربية

في جمهورية مصر العربية

دكتور حسن سيد أحمد علي أبو العينين

تبلغ مساحة الصحارى المصرية نحو ٩٦٤,٠٠٠ كم ٢ أى نحو ٩٧٪ من جملة مساحة جمهورية مصر العربية ، وتتوزع هذه المساحة الشاسعة بين كل من الصحراء الغربية ومساحتها نحو ٦٨١,٠٠٠ كم٢ ، والصحراء الشرقية ومساحتها نحو ٢٢٢,٠٠٠ كم ٢ وصحراء شبه جزيرة سيناء ومساحتها نحو ٦١,٠٠٠ كم ٢ . ومعنى ذلك أن مساحة الصحراء الغربية وحدها تزيد عن ٦٨٪ من جملة مساحة جمهورية مصر العربية . ويقل منسوب معظم أجزاء الصحراء الغربية عن ٥٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر . وتتمثل أعظم أجزائها أرتفاعاً فى هضبة الجلف الكبير فى جنوب غرب مصر والتى يزيد منسوبها عن ١٠٠٠ متر . وتتمثل أقل أجزاء الصحراء الغربية منسوبا فى المنخفضات الصحراوية وبوجه خاص فى منخفض القطارة ، حيث يوجد فيه بعض المواقع يقل منسوبها عن ١٣٤ متر تحت مستوى سطح البحر الحالى (شكل ١) .

وتتألف الصحراء الغربية من هضيبات واسعة تتركب أساساً من تكوينات جيرية يمكن تتبعها من الجنوب إلى الشمالى فيما يلى :

١ — هضبة الحجر الرملى النوبى (كريتاسى أعلى) : وتشغل القسم الجنوبى من الصحراء الغربية ، وهى عبارة عن هضبة واسعة من تكوينات الحجر الرملى النوبى تنحدر انحداراً تدريجياً من الجنوب إلى الشمال من قمة جبل العوينات (١٩٠٠ م) ثم إلى هضبة الجلف الكبير (١٠٠٠م) حتى

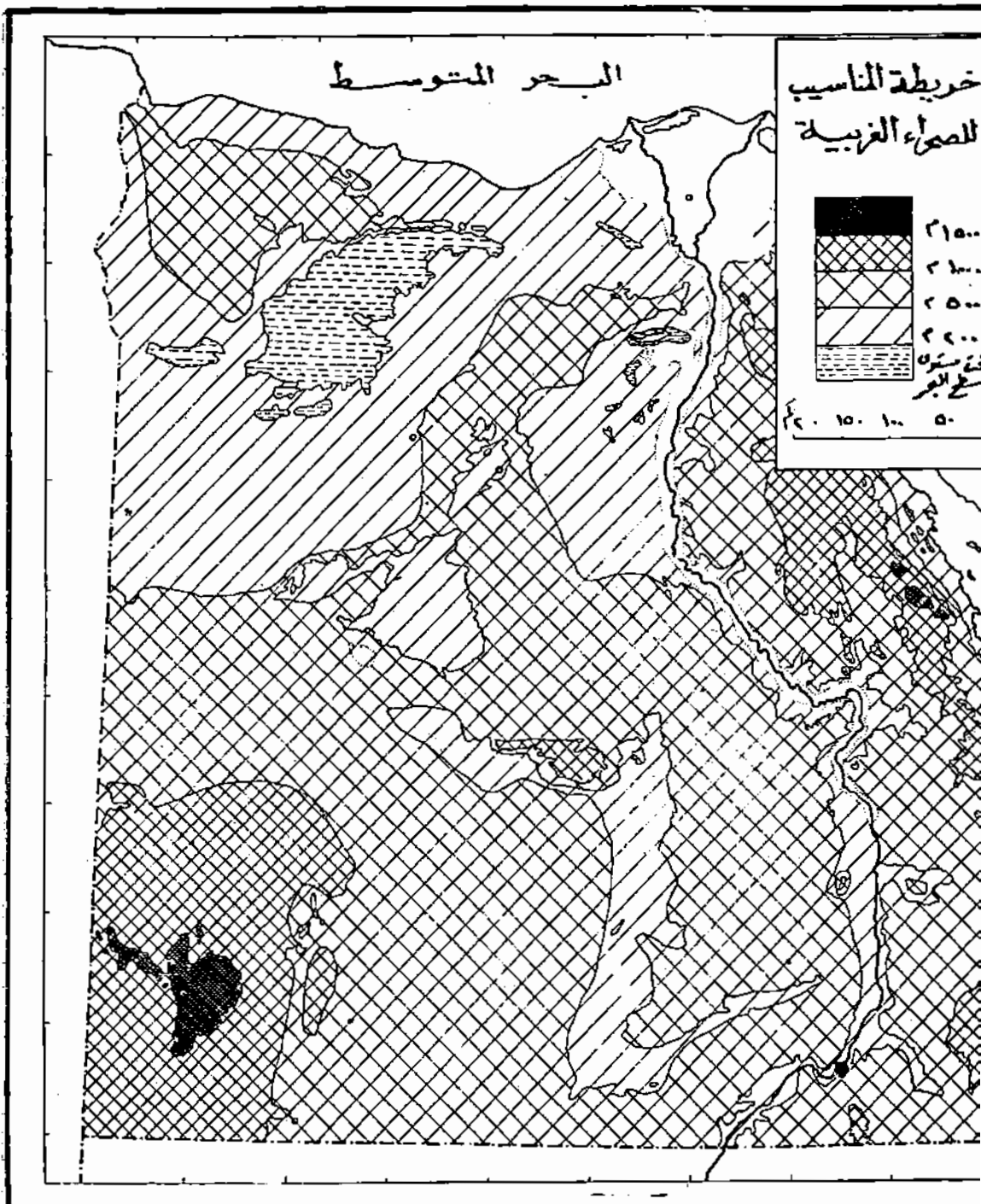
البحر المتوسط
خريطة المناسيب
للصحراء الغربية
٢١٥٠٠
٢١٠٠٠
٢٥٠٠
٢٢٠٠
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠ كم

شكل ١

تنتهى بالمنخفض الكبير الذى تقع فيه كل من الواحات الخارجة والداخلة. وتظهر التكوينات الجيرية التابعة للعصر الكريتاسى الأوسط والأسفل فيما بين الواحات الخارجة والداخلة جنوباً وواحة الفرافرة وواحة البحرية شمالا .

٢ – هضبة الحجر الجيرى النيومولىتى : وتتألف من تكوينات جيرية أيوسينية وتظهر طبقاتها فيما بين واحتى الفرافرة والبحرية فى الجنوب وواحة سيوة ومنخفض القطارة فى الشمال . كما تظهر التكوينات الجيرية النيومولىتية إلى الشرق من واحات البحرية والفرافرة والخارجة ، وتكون هضبة جيرية واسعة فيما بين هذه الواحات ومجرى النيل .

٣ – هضبة الحجر الجيرى الميوسينى : وهذه تشغل القسم الشمالى من الصحراء الغربية ويقع فيها منخفضات سيوة والقطارة والنطرون ، ويطلق على القسم الشمالى من هذه الهضبة والمطل على السهول الساحلية الشمالية اسم «هضبة مارمريكا» . (شكل ٢)

أما التكوينات الارسابية الحديثة والتى ترجع إلى عصر البلايوستوسين فهذه تظهر فى التكوينات الارسابية فى منطقة السهول الساحلية الشمالية للهضبة ، وفى التكوينات الارسابية الرملية المكونة للكثبان الرملية وبحر الرمال العظيم التى تمتد فوق التكوينات الصخرية للصحراء الغربية فى مصر .

وقد تأثر القسم الشمالى من الصحراء الغربية بالحركات التكتونية الميوسينية ، فالى الشمال من الواحات البحرية تأثرت الطبقات الأيوسينية (الحجر الجيرى النيومولىتى) والميوسينية (تكوينات مارمريكا الجيرية) بمجموعات من الالتواءات المحدبة والمقعرة البسيطة وتمتد محاورها فى اتجاه عام من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى . فى حين تظهر الثنيات الصخرية المحدبة القديمة فى تكوينات الواحات البحرية والفرافرة . ومن بين أهم الانكسارات (الصدوع) فى هذا الاقليم تلك التى تظهر فى منخفض أبو ريان وهى ذات محاور تمتد فى اتجاه عام من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ،

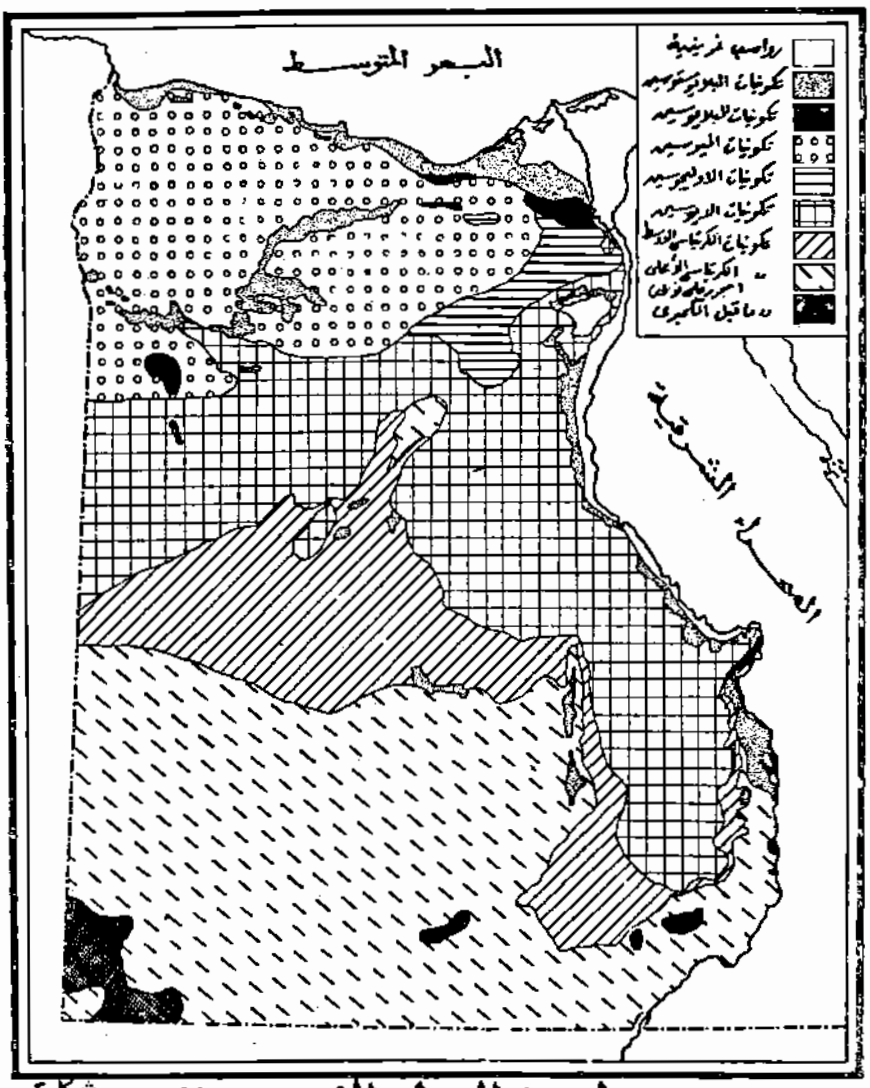

شكل ٢

جيولوجية الصحراء الغربية

وانكسار منخفض الخارجة الذى يمتد محوره من الشمال إلى الجنوب على طول الحافة الشرقية للمنخفض .

وتبعاً لعظم امتداد الصحراء الغربية فى مصر ووقوعها فيما بين دائرتى عرض ٢٢° ، ٣١,٥° شمالا فانه يمكن أن نميز أربعة أقاليم مناخية تتلخص فيما يلى :

١ ــ اقليم شبه البحر المتوسط : ويضم السهول الساحلية الشمالية من الصحراء الغربية ، وتبلغ كمية المطر السنوى فيه نحو ١٠٠ ملم . ويلاحظ أن الأمطار تقل فى هذا الاقليم كلما أتجهنا شرق الاسكندرية أو غربها . والأمطار هنا أساساً اعصارية وتصاحب الرياح العكسية ، كما أن المدى الحرارى اليومى والفصلى فيه بسيطاً وذلك بالنسبة للمناطق الجنوبية ، حيث لا يتعدى المدى الحرارى الفصلى فى الاقليم عن ٨° م .

٢ ــ اقليم شبه الجاف : يقع إلى الجنوب من الاقليم السابق ويشمل شريطاً ضيقاً ينحصر بين خط ٢٥ و ١٠٠ ملم من خطوط المطر السنوى المتساوى . وهو مناخ انتقالى فيما بين مناخ شبه البحر المتوسط والمناخ شبه الصحراوى فى الجنوب .

٣ ــ اقليم شبه الصحراوى : يمتد إلى الجنوب من الاقليم السابق ويقع فيه منخفضات سيوة والقطارة ، والأمطار هنا نادرة ويحد الاقليم خط مطر ٢٥ ملم السنوى المتساوى الا ان كمية الأمطار الساقطة تتذبذب فى الاقليم من عام إلى آخر وذلك بحسب اتجاه الأعاصير التى تخرج عادة عن مسالكها مع الرياح العكسية . ومتوسط درجة حرارة الشتاء نحو ٦,٢٠°م والصيف نحو ٣٠° م ، ومن ثم فان المدى الحرارى السنوى يصل إلى نحو ٢٤° م .

٤ ــ الاقليم الصحراوى الحقيقى : ويضم بقية أراضى الصحراء الغربية إلى الجنوب من منخفض الواحة البحرية ، حيث يعظم فيه المدى الحرارى اليومى (٢٠° م) والمدى الحرارى الفصلى (٢٧°م) ، وكثيراً

ما ينقطع فيه سقوط المطر لعدة سنوات متتالية ، والأمطار النادرة التى تسقط هنا كلها من النوع الاعصارى . وتبعاً لعظم اتساع اليابس وندرة المسطحات المائية فهو مناخ قارى حقيقى .

يتضح من هذا العرض ان المنطقة الساحلية فى صحراء مصر الغربية تتعرض لسقوط الأمطار الشتوية ، وتتجمع مياه السيول والأمطار فى الطبقات السطحية الحاملة للمياه. ويعتمد السكان هنا على مياه الصهاريج والآبار المحدودة العمق للحصول على المياه اللازمة للرى والشرب معاً . أما مياه الواحات ، فهى دائمة طوال أيام السنة حيث يتمثل مصدرها فى الطبقات الحاوية للمياه من صخور الحجر الرملى النوبى التى تقع أرضية الواحات فوقه . وتبعاً لكمية التصريف المائى للآبار والعيون فى الواحات تتوقف مساحة الأرض المنزرعة ويتضح أن انتاجية الفدان فى الواحات ضعيف جداً إذا ما قورن بغيره من أراضى الدلتا ووادى النيل . وتكاد تنعدم الموارد المائية تماماً فى بقية أراضى الصحراء الغربية فى مصر ، ولا يتمثل بها أى نشاط اقتصادى .

وإذا كانت الصحراء الغربية تبلغ نحو ثلثى مساحة جمهورية مصر العربية الا أنه لا يعيش فيها سوى ٥ فى الألف فقط من جملة سكان مصر . فتضم الصحراء الغربية نحو ١٨٣ ألف نسمة منهم ١٢٤ ألف نسمة فى محافظة مطروح ونحو ٥٩ ألف نسمة فى محافظة الوادى الجديد (الواحات الخارجة والداخلة) وحسب تعداد عام ١٩٦٦ يبلغ عدد سكان مدينة مرسى مطروح وحدها نحو ٣٢ ألف نسمة . ومن بين المراكز العمرانية الهامة فى نطاق اقليم مريوط ، سيدى برانى (١٤,٢٢٠ نسمة) والضبعة (١١,٦٣٢ نسمة) والحمام (١٠,١٥٨ نسمة) . كما يتضح من الجدول الآتى :

جدول يوضح عدد السكان فى الصحراء الغربية (حسب تعداد ١٩٦٦)

القسم	جملة عدد السكان	ذكور	اناث
محافظة الوادى الجديد :			
الواحات الخارجة	٢٥,٦٠٥	١٣,٦٥٦	١١,٩٣٠
الواحات الداخلة	٣٣,٧٨٠	١٦,٩٧٠	١٦,٨١٠
جملة المحافظة :	٥٩,٣٨٥	٣٠,٦٢٢	٣٨,٧٦٣
محافظة مرسى مطروح :			
مرسى مطروح	٣٢,٤٥٦	١٦,٦٥٨	١٥,٧٩٨
الحمام	١٠,١٥٨	٥,٣٤٦	٤,٨١٢
السلوم	٥,١٧٢	٢,٤٦٤	٢,٧٠٨
الضبعة	١٢,٦٢٣	٦,٠٨٥	٦,٥٣٨
العامرية	١٦,٦٥٥	٨,٨٥٨	٧,٧٩٧
الواحات البحرية والفرافرة	١٠,٦١١	٥,٥٢٣	٥,٠٨٨
برج العرب	٦,١٦٣	٣,٠٣٦	٣,١٢٧
سيدى برانى	١٤,٢٢٠	٦,٥٨٠	٧,٦٤٠
سيوه	٥,١٦٩	٢,٧٠٢	٢,٤٦٧
وادى النطرون	١٠,٤٨٠	٥,٩٥٣	٤,٥٢٧
جملة المحافظة	١٢٣,٧٠٧	٦٣,٢٠٥	٦٠,٥٠٢
جملة سكان الصحراء الغربية	١٨٣,٠٩٢	٩٣,٨٢٧	٨٩,٢٦٥
اجمالى سكان الجمهورية	٣٠,٠٧٥,٨٥٨	١٥,١٧٥,٥٥٤	١٤,٩٠٠,٣٠٤

ويعزى قلة السكان فى هذه الأراضى الشاسعة إلى الظروف الطبيعية القاسية وقلة الموارد المائية إلى جانب صعوبة اتصال مراكزها العمرانية بأراضى وادى النيل والدلتا . ويكفى أن نذكر بأن جملة مساحة الأراضى التى يمكن استغلالها كمراعى طبيعية فى منطقة السهول الساحلية الشمالية لا تزيد عن ٦٠,٠٠٠ فدان ، ولا تزيد مساحة الأرض المنزرعة فعلا فى هذا النطاق عن ٣٠,٠٠٠ فدان .

ويتضح حسب بيانات عام ١٩٦٦ بأن جملة مساحة الأراضى المنزرعة

بالمحاصيل الحقلية فى الوادى الجديد ومحافظة مطروح ومحافظات الحدود معاً(١) ابان العروة الشتوية نحو ٦٥,٠٠٠ فدان ، وابان العروة الصيفية نحو ٢٩,٠٠٠ فدان . ومن ثم فان اجمالى المساحة المنزرعة بالمحاصيل الحقلية خلال العروتين الشتوية والصيفية تقدر بنحو ٩٤,٠٠٠ فدان ولا تزيد مساحة الأرض المنزرعة بالخضر عن ١٤,٠٠٠ فدان وبالفاكهة عن ١٨,٠٠٠ ، وعلى ذلك تبلغ اجمالى الأرض المنزرعة نحو ١٢٥,٠٠٠ فدان أى ١٪ من جملة الأرض المنزرعة بجمهورية مصر العربية عام ١٩٦٦ (٢) والتى بلغت نحو ١٠,٨ مليون فدان (أنظر الجدول) .

---

(١) تضم هنا أراضى مديرية التحرير وسيناء والبحر الأحمر .

(٢) أ – المؤشرات الاحصائية للجمهورية العربية المتحدة ١٩٥٢ – ١٩٦٥ – الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء – يوليو ١٩٧٠ .

ب – كتاب الجيب السنوى للاحصاءات العامة ج. ع.م. الجهاز المركزى التعبئة العامة والاحصاء – ١٩٧٠ .

جدول يوضح اجمالى المساحة المحصولية بالفدان فى محافظات الحدود

الحدود ومديرية التحرير (أ) ومقارنتها بجملة المساحة المنزرعة فى الجمهورية(١).(ب)

مساحة المحاصيل الحقلية (بالفدان)				الخضر	الفاكهة	الجملة	
العروة الشتوية	العروة الصيفية	العروة النيلية	الجملة			المساحة	النسبة المئوية
(أ) ٦٥,٥٥٧	٢٨,٧٧٧	—	٩٤,٣٣٤	١٣,٥٧٦	١٧,٥٧٦	١٢٥,٨٢٦	٪١,١
(ب)٤,٧٥٤,٢٤٦	٤,٦٥٠,٠٠٨	٤١٥,٧٠٧	٩,٨١٩,٩٦١	٧٣٢,٩٥٨	٢٦٦,٦٥٨	١٠,٨٩٩,٥٧٧	٪١٠٠

(١) المصدر : تقديرات الدخل القومى من القطاع الزراعى عام ١٩٧١ - مرجع رقم ٦ - ٤١٢ - يوليو سنة ١٩٧٣ .

ومع ذلك وجهت الدولة عنايتها إلى ضرورة استغلال الموارد الطبيعية الكامنة فى أجزاء متفرقة من الصحراء الغربية المصرية بقصد تنمية هذه المناطق والعمل على تعميرها وفتح مجالات جديدة لتخفيف ضغط السكان الذين يعظم تركزهم فى وادى النيل والدلتا . وإلى جانب استغلال الملح من بحيرات الساحل الشمالى والنطرون (بيكربونات الصوديوم) من بحيرات وادى النطرون نجحت الأبحاث الجيولوجية فى الكشف عن بعض المعادن الهامة التى تساهم فى تطور هذا الاقليم اقتصادياً واجتماعياً إلى جانب المحاولات الجادة فى الكشف عن مصادر المياه الجوفية وتوفيرها لاتساع رقعة الأراضى الزراعية وتوطين السكان الرحل

وتتلخص أهم هذه الثروات الاقتصادية فيما يلى :

١ ــ البترول : نجحت الأبحاث الجيولوجية الحديثة فى كشف الحقول الآتية :

(أ) حقل العلمين الذى بدأ الانتاج منه عام ١٩٦٨ بمعدل ٢٠ ألف برميل فى اليوم وبزيادة تنمية الحقل ارتفع انتاجه إلى ٤٣ ألف برميل فى اليوم منذ عام ١٩٦٩ .

(ب) حقل المليحة وحقل أمباركة فى منطقة مرسى مطروح وتم كشفهما عام ١٩٦٩ .

(ج) حقل الرزاق وقد اكتشف عام ١٩٧٢ ويضم خمس طبقات حاملة لزيت البترول . ويبلغ متوسط الانتاج اليومى من حقوله نحو ١٠ آلاف برميل يومياً .

(د) حقل أبو الغراديق ، جنوب العلمين بنحو ١٤ كم وقد اكتشف هذا الحقل عام ١٩٦٩ ولكن بدأ انتاجه فى فبراير سنة ١٩٧٣ بمعدل ٢٠ ألف برميل يومياً ، ثم أخذ الانتاج يتزايد إلى نحو ٥٠ ألف برميل يومياً . كما وجدت فى حقوله كميات كبيرة من الغاز الطبيعى عند أعماق تصل إلى نحو ٣٤٥٠ متر وتقدر بحوالى ٢٢٠٠ بليون قدم

مكعب . هذا بالاضافة إلى حقول الغاز الطبيعى فى منطقة « أبو قير» والتى تقدر كميتها بنحو ٦٣ بليون متر مكعب . هذا ويعد حقل الرزاق وحقل أبو الغراديق أهم حقول البترول المنتجة فى الصحراء الغربية فى الوقت الحاضر . ومن بين المناطق الأخرى التى يحتمل أن يوجد فيها زيت البترول مناطق ممر الجمال ومبارك ورباط وأبو سنان الواقعة شرق منخفض القطارة ومنطقة فاغور شمال سيوة ، وبمنطقتى مرسى مطروح والسلوم .

٢ — الفوسفات : وتتمثل تكوينات الفوسفات فى صخور الحجر الرملى النوبى (كريتاسى أعلى) وتظهر أساساً فى منطقتين هما :

(أ) فى الواحة الخارجة : حيث تظهر تكوينات الفوسفات عند أقدام الحافات الجبلية فى مناطق جبل طروان ، وجبل طير شمال بلدة الخارجة وفى هضبة الطارف وجبل أم الغنايم وجبل أبو طرطور .

(ب) فى الواحة الداخلة : حيث تظهر تكوينات الفوسفات عند تنيدة وتتراوح سمك طبقات الفوسفات هنا من ٢ — ٣ متر .

ويجب أن نشير إلى أن مصر تعتمد اليوم على استخراج الفوسفات من مناطق سفاجة والقصير (تم اكتشاف الفوسفات هنا عام ١٨٩٧ ولكن بدأ الاستغلال عام١٩١٤)ومناجم السباعية (اكتشف الفوسفات بها عام١٩١٣ وبدأ استغلاله منذ عام ١٩١٩) . ويعزى عدم استغلال فوسفات الوادى الجديدإلى صعوبة النقل الا أنه يعد بمثابة صمام أمن لاحتياطى الفوسفات فى مصر.

٣ — خام الحديد: ويوجد بوجه خاص فى الواحة البحرية التى تقع على بعد ٣٣٠ كم جنوب غرب القاهرة وتبعد بنحو ٢٠٠ كم غرب وادى النيل من عند مدينة سمالوط . وقد عرف الحديد فى الواحة البحرية منذ نحو نصف قرن فى مناطق جبل غرابى والحارة وناصر والجديدة ، ولكن لم تبدأ الأبحاث الفعلية فى المنطقة الا منذ عام ١٩٥٦ وقد أثبتت هذه الدراسات وجود كميات كبيرة من الخام تقدر بنحو ٢٠٠ مليون طن . ويظهر خام الجديد فى تكوينات الأيوسين الأوسط ويختلف سمك طبقاتها من ١ — ١٢ م

ويتضمن مشروع استغلال حديد الواحة البحرية إنشاء وحدة لتركيز الخام بجانب نهاية خط سكة حديد الواحات الذى قارب الانتهاء من انشائه لربط الواحة البحرية بوادى النيل ولنقل الحديد الخام من الواحة إلى مصانع الحديد والصلب فى حلوان وإلى المصانع الجديدة التى يجرى انشاؤها فى مدينة ممالوط بوادى النيل . وقد بدأ استغلال خام حديد الواحة البحرية فى نهاية عام ١٩٧٣ .

٤ — مصادر المياه الجوفية والسطحية :

وهذه تتمثل فى حفر آبار جديدة عميقة تصل إلى الطبقات السفلية الحاملة للمياه من صخور الحجر الرملى النوبى فى كل من واحات الداخلة والخارجة ، كما تشجع هيئة تعمير الصحارى على اقامة السدود عند فوهات الأودية الكبيرة التى تصب فى البحر المتوسط باقليم مريوط ، وتساعد هذه هذه المياه التى تخزن شتاء على زراعة مساحات لا باس بها كما هو الحال فى وادى أم اشطان إلى الغرب من قرية القصر الواقعة غرب مدينة مرسى مطروح .

وهناك اقتراح بشق قناة تمتد عند بلدة عنيبة الواقعة على نهر النيل إلى منطقة محاجر خفرع فى منخفض الخارجة ويقدر طولها بنحو ٤٠ كم لتساهم فى رى الأراضى الواسعة القابلة للزراعة فى هذا المنخفض (عبد اللطيف واكد — ١٩٥٦ — ص ١٣١) .

٥ — مشروع منخفض القطارة :

ويطلق عليه أحياناً اسم «المشروع الكبير» أو «السد العالى الثانى» ويعزى الفضل فى اكتشاف منخفض القطارة وفكرة مشروع منخفض القطارة لتوليد الطاقة الكهربائية منه إلى الأستاذ جون بول J. Ball الذى كان مديراً لمصلحة المساحة المصرية وإلى أبحاثه الجيولوجية العديدة فى الصحراء الغربية منذ عام ١٩٢٧ . ويتلخص المشروع الأساسى لجون بول فى توصيل مياه البحر المتوسط إلى المنخفض عن طريق قناة يبلغ طولها نحو ٦٥ كم

وبحيث تقام محطة توليد كهربائية عند نهاية القناة حيث تسقط المياه من أعالى المنخفض إلى قاعه (ترتفع حوائط المنخفض فى بعض أجزائه الشمالية بأكثر من ١٥٠ م فوق منسوب أرضية المنخفض) ويمكن التحكم فى كمية المياه المنسابة من البحر إلى المنخفض، وكذلك فى كمية المياه المنصرفة من المنخفض. ونتيجة لتجمع المياه فى المنخفض ينتظر أن تتكون بحيرة واسعة المساحة (قد تصل إلى ٣٠٠٠ كم ٢) ستغير بلا شك فى مورفولوجية هذا الجزء القاحل من الصحراء ، وقد تستغل كمصدر جديد من مصادر الثروة السمكية فى مصر . وتقدر الطاقة التى يمكن استغلالها بنحو ٣ مليون كيلوات/ ساعة فى السنة ، تستغل فى الانارة وتسيير القطارات وادارة طلمبات الصرف فى الدلتا وتشغيل بعض المصانع . وان دل تكوين هذه البحيرة الاصطناعية العظمى على شيء فانما يدل على مدى تغلب الانسان المصرى المعاصر على ظروف البيئة الصحراوية القاحلة ، وبذله الجهد الكبير فى تغيير الملامح المورفولوجية لأرض الصحراء ، بل وأرض وادي النيل فى الأجزاء التى تضيق فيها مساحة أرضية الوادى . ويمكن أن تعتبر بحيرة القطارة العظمى (بعد انشائها) البحيرة الاصطناعية الثانية فى مصر بعد تكوين بحيرة ناصر العظمى فى اقليم النوبة خلف السد العالى .

ويواجه القائمون على تنفيذ مشروع القطارة عدة مشاكل من أهمها تصريف المياه الزائدة التى ستتجمع فى أرضية المنخفض من جهة ، وعدم تسرب كميات كبيرة منها إلى طبقات الحجر الرملى النوبى والصخور الجيرية المسامية فى المناطق المجاورة لمنخفض القطارة من جهة أخرى ، مما قد يؤدى إلى أرتفاع نسبة ملوحة مياه آبار الواحات المصرية .

وقد ظهر فى الآونة الأخيرة كذلك مشروع جديد لمنخفض القطارة بحيث يربط البحر الأحمر بالبحر الأبيض عن طريق قناة تمتد من رأس خليج السويس إلى جنوب القاهرة ومنها غرباً إلى منخفض القطارة ثم تمتد بعد ذلك شمالا إلى البحر المتوسط عند منطقة فوكة .

وعلى أساس اختلاف المظهر التضاريسى والظروف المناخية والنباتية والنشاط الاقتصادى يمكن أن نقسم أرض الصحراء الغربية فى مصر إلى ثلاث وحدات جغرافية كبرى تتمثل فيما يلى :

١ ــ السهول الساحلية الشمالية (اقليم مريوط)

٢ ــ المنخفضات الصحراوية (الواحات)

٣ ــ الصحراء الحقيقية القاحلة .

وفيما يلى موجز للملامح الجغرافية لكل من هذه الوحدات الجغرافية .

(أولا) السهول الساحلية الشمالية

يطلق على هذه السهول اسم «اقليم مريوط» ويمتد الاقليم إلى الغرب من مدينة الاسكندرية حتى الحدود المصرية الليبية عند منطقة السلوم لمسافة تزيد عن ٥٤٠ كم . ويبلغ متوسط اتساع السهول الساحلية نحو ٢٥ كم ويعظم اتساعها فى بعض المواقع فى حين يقل اتساعها عند بعضها الآخر كما هو الحال عند رأس الحكمة وذلك تبعا لأقتراب حافة الهضبة الميوسينية (مارمريكا) من الساحل الشمالى الغربى لمصر .

وأهم ما يميز اقليم مريوط جيومورفولوجيا تكوين سلاسل من الكثبان الرملية والجيرية الأوليتية المتماسكة على شكل تلال موازية لخط الساحل وتحصر فيما بينها منخفضات طولية ، وقد تظهر فى بعض هذه المنخفضات الأخيرة وخاصة المجاورة لخط الساحل المستنقعات والسبخات البحيرية . ويعد هذا الاقليم أكثر حظاً فى نصيبه من الدراسات الجيولوجية والجيومورفولوجية وقد يرجع ذلك إلى سهولة طرق النقل فيه نسبياً ، ووجود بعض البلدان الساحلية فيه والتى يمكن أن تتخذ كمراكز لأجراء البحوث الحقلية .

ومن بين الدراسات القديمة فى هذه الاقليم تلك التى قام بها ويدون Weedon, 1912 ، وهيوم وهيوز Hume and Hughes, 1912 وجون بول1939 & J. Ball, 1927 . ومن بين الدراسات الحديثة لبعض

اجزاء من اقليم مريوط تلك التى قام بها بوتزر Butzer, 1960 لمنطقة خليج العرب ، والشاذلى عام ١٩٦٤ فى منطقة مرسى مطروح ، ودراسات الأستاذ عبده شطا «١٩٥٥ أ ، ب ، ١٩٥٧) وسجرية Sogreah, 1961 فى اقليم مريوط ومحمد حماد عام ١٩٦٦ فى منطقة رأس الحكمة ويحيى السنوسى ١٩٧١ فى منطقة مرسى مطروح . كمال قام الباحث بدراسة الظواهر الجيومورفولوجية فى منطقة مرسى مطروح وما يجاورها عام ١٩٧٤

وتعد أحسن أمثلة هذه السلاسل الكثيبية المتوازية لبعضها البعض الآخر وخط الساحل والتى تحصر فيما بينها أحواض طولية ، هى تلك التى تتمثل فى القسم الشرقى من اقليم مريوط وفى منطقة مرسى مطروح وضواحيها

وقد درس كل من هيوم وهيوز Hume and Hughs, 1921 ، وجون بول J. Ball, 1927 & 1939، وعلى شاهين عام ١٩٦٦ التوزيع الجغرافى لهذه السلاسل الكثيبة ونشأتها وتتمثل هذه السلاسل من الشمال عند خط الساحل إلى الجنوب فى القسم الشرقى من إقليم مريوط فيما يلى :

١ — سلسلة الكثبان الرملية الساحلية : وتشرف على البحر مباشرة ويتراوح منسوبها من ١٠ — ٢٠ م ، وتتركب أساساً من تراكم بعض الحبيبات الجيرية البويضية ، وتمتد هذه السلسلة من عند رأس العجمى فى الشرق حتى منطقة السلوم فى غرب الاقليم . ويعزى اختفاؤها فى بعض المواقع إلى تآكلها بفعل الأمواج البحرية . ومع ذلك تظهر فى بعض المواقع الأخرى كما هو الحال فى مناطق رأس الحكمة وفوكة والعلمين على شكل جروف بحرية جيرية بيضاء اللون .

٢ — منخفض الدخيلة : ويمتد موازياً للسلسلة الساحلية السابقة وينحصر فيما بينها شمالا وسلسلة سيدى كرير (المكس — أبو صير) جنوباً . ويتراوح اتساع المنخفض من عدة مئات من الأمتار إلى نحو كيلو متر واحد ، ومتوسط منسوبه نحو ٥ م فوق مستوى سطح البحر ، وتنتشر فيه رواسب تربة اللوم Loam ، ويطلق على هذا المنخفض اسم وادى مريوط .

٣ – سلسلة سيدى كرير (المكس – أبو صير) : تعتبر الحائط الجنوبى لمنخفض الدخيلة وتشرف على أرضية هذا المنخفض لمسافات طويلة متصلة وذلك من منطقة المكس حتى منطقة الحمام ، وتتألف من صخور جيرية بيضاء اللون بويضية الشكل شديدة التماسك ويصل ارتفاعها إلى نحو ٢٠ متر .

٤ – منخفض العلمين وملاحات مريوط : يمتد هذا المنخفض إلى الجنوب من سلسلة سيدى كرير ، ولا يزيد اتساعه فى كثير من المواقع عن نصف كيلو متر ، فى حين تقع معظم أراضيه تحت مستوى سطح البحر ببضعة أمتار . وتبعاً لانتشار رواسب المدرجات البحيرية فى أرضية المنخفض رجح الباحثون بأنه كان امتداداً لبحيرة مريوط عندما كانت البحيرة أعظم اتساعاً عما هى عليه اليوم .

وينحصر منخفض العلمين من الجنوب بسلسلة جبلية تعرف باسم سلسلة جبل مريوط ، وتتألف هذه السلسلة أيضاً من تكوينات رملية جيرية بويضية تغطيها فى بعض اجزائها طبقة من الالحاء الصخرى الشديد التماسك . وتحصر سلسلة جبل مريوط فيما بينها وبين حافة هضبة مريوط فى الجنوب منخفض متسع يمكن أن يطلق عليه اسم منخفض العامرية .

وقد اختلفت الآراء حول تحديد كيفية نشأة هذه السلاسل التلالية وأحواضها الموازية لها والواقعة فيما بينها . ويرى بلانكنهورن Blankenhorn وفورتو Fourtou ,1893 وشكرى Shukri, 1955 بأن السلاسل الجيرية الأوليتية تكونت أساساً بفعل التعرية البحرية وانها فى جملتها عبارة عن حواجز بحرية تحصر فيما بينها وبين البحر مجموعات السبخات البحيرية lagoons. فى حين يرى البعض الآخر وخاصة هيوم Hume, 1921, 1925, 1928 وعبده شطا ١٩٥٥ ، وحلمى ١٩٥١ ، وجون بول J. Ball, 1939 . بأن هذه السلاسل تكونت بفعل التعرية الهوائية الساحلية وذلك تبعاً لانعدام الطباقية المنتظمة فى تكوينات التلال وانصقال الحبيبات البويضية الشكل وشدة انحدار السلاسل التلالية نحو الجنوب .

ومن الدراسة التفصيلية لجيومورفولوجية منطقة مرسى مطروح وما يجاورها (أبو العينين ١٩٧٤) يتبين بأن الظواهر الجيومورفولوجية فى هذه المنطقة تتشابه إلى حد كبير مع تلك التى تتمثل فى القسم الشرقى من اقليم مريوط . فتتشكل منطقة مرسى مطروح هى الأخرى بمجموعات من السلاسل التلالية وتحصر فيما بينها أحواض طولية موازية لها ولخط الساحل معاً . ويظهر فى أرضية بعض هذه الأحواض وخاصة القريبة مباشرة لخط الساحل بحيرات ومستنقعات ساحلية ، فى حين تبدو الأحواض الجنوبية البعيدة عن خط الساحل الحالى على شكل سهول واسعة نسبياً مستوية السطح وتستغل فى الانتاج الزراعى . ويمكن أن نلخص هذه الظواهر الجيومورفولوجية فى منطقة مرسى مطروح (وخاصة إلى الشرق من مدينة مرسى مطروح نفسها) من الشمال إلى الجنوب فيما يلى :

١ — السلسلة الساحلية الشمالية : (سلسلة الطابية) :

تمتد هذه السلسلة فى القسم الشرقى من منطقة مرسى مطروح فيما بين الطابية القديمة فى الغرب ، ورأس علم الروم فى الشرق لمسافة تزيد عن ١٠ كم وتشرف على البحر مباشرة على شكل تلال جيرية ناصعة البياض مكونة من حبيبات جيرية بويضية متماسكة ويختلف منسوبها من ١٠ — ٢٠ م ويوجد بها بعض القمم التى يصل منسوبها إلى نحو ٣٤ م ، خاصة إلى الشمال من عزبة بير صالح جالى ، وتتشابه هذه السلسلة مع سلسلة الكثبان الساحلية فى القسم الشرقى من اقليم مريوط .

٢ — منخفض بحيرات مرسى مطروح :

يمتد هذا المنخفض إلى الجنوب من السلسلة الساحلية وموازياً لها ، ويبلغ متوسط اتساعه نحو ١ كم ويتراوح منسوبه من ٢ إلى ١٠ م ، وتغطى المستنقعات والبحيرات مساحة واسعة منه . وقاع بعض البحيرات ينخفض عن مستوى سطح البحر الحالى ، وتتعرض البحيرات الواقعة فى الشرق عند منطقة رأس علم الروم إلى الجفاف ويتخلف عن تبخر مياهها رواسب

بحيرية تنتشر فوق أرضية المنخفض . وتنفصل البحيرات الوسطى الكبيرة الحجم فى هذا المنخفض بالبحر عن طريق فتحات عريضة ومن ثم تستغل كموانى طبيعية لمدينة مرسى مطروح . ويمكن القول بأن هذا المنخفض يقابل منخفض الدخيلة فى شرق اقليم مريوط .

٣ — السلسلة التلالية الوسطى — سلسلة جبل كريم :

تمتد هذه السلسلة إلى الجنوب من المنخفض السابق الذكر ، وتظهر بشكل واضح عند منطقة آبار عيلة كريم على منسوب ٢١ م فوق مستوى سطح البحر ، ولكن يقل منسوبها عن ذلك إلى الشرق من منطقة آبار عيلة كريم حتى تصل إلى نحو ١٥ م وإلى الغرب من بير الجنينة حيث ترتفع بنحو ١٠ م فوق مستوى سطح البحر ، وتتألف هذه السلسلة من تكوينات الحجر الجيرى الأوليتى ، ويمكن القول بأنها تقابل السلسلة التلالية المعروفة باسم سلسلة سيدى كرير أو المكس أبو صير فى شرق اقليم مريوط .

٤ — منخفضُ عزبة العبيد :

ويمتد هذا المنخفض إلى الشرق من مدينة مرسى مطروح فيما بين عزبة العبيد فى الغرب حتى آبار عيلة مرازيق فى الشرق لمسافة تزيد عن ٨ كم ويلاحظ أن هذا المنخفض محدود الاتساع إذ لا يزيد عرضه عن ½ كم كما هو الحال فيما بين علوة أبو مجرن فى الجنوب ، وبير عيلة زهويج فى الشمال ، وكذلك فى منطقة مزارع الجنينة وسوانى الشيخ فرج ، ويتراوح منسوب هذا المنخفض من ١٠ — ١٨ م فوق مستوى سطح البحر الحالى ، ويمكن القول بأنه يقابل منخفض العلمين وملاحات مريوط فى شرق اقليم مريوط .

٥ — السلسلة التلالية الجنوبية (سلسلة الاستراحة) :

تعد هذه السلسلة الجنوبية من أظهر المجموعات التلالية فى منطقة مرسى مطروح حيث تمتد دون انقطاع إلى الجنوب من مدينة مرسى مطروح فيما بين بير ميهوب فى الغرب وبير جواد بريك فى الشرق لمسافة تزيد

عن ١٢ كم . ومتوسط ارتفاع هذه السلسلة نحو ٣٥ م فوق مستوى سطح البحر ، ويوجد بها بعض القمم العالية يصل منسوبها إلى ٤١ م فى منطقة بير عبيد ميهوب ونحو ٤٠ م فى منطقة كازينو الاستراحة (السيروكو) ونحو ٤٢ م فى منطقة الطابية إلى الشمال من عزبة المغاربة ونحو ٤٤٣ م فى منطقة علوة أبو مجرن . وتتألف هذه السلسلة من تكوينات الحجر الجيرى البويضى الشديد التماسك ، وكثيراً ما تظهر أسطح هذه التلال ولها لحاء جيرى صلب شديد التماسك . ويمكن القول بأن سلسلة الاستراحة فى منطقة مرسى مطروح تقابل سلسلة جبل مريوط فى شرق اقليم مريوط .

وتحصر هذه السلسلة الجنوبية فيما بينها وبين حافة هضبة مارمريكا فى الجنوب منخفض عظيم الاتساع ، مستوى السطح ، تزيد مساحته عن ٢٥٠ كم ٢ وتقل درجة انحدار سطحه عن نصف درجة ومع ذلك تظهر فيه بعض القمم التلالية التى تعلو أرض المنخفض بنحو ٥ — ١٠ متر فى حين يبلغ متوسط منسوب هذه المنخفض نحو ٣٠ م فوق مستوى سطح البحر الحالى . وقد سمى هذا الحوض العظيم الاتساع الواقع جنوب مدينة مرسى مطروح باسم «حوض رباح» . ومن الأدلة الحقلية التى تتمثل فى فى الرواسب البحيرية المبعثرة فى اجزاء متناثرة فوق أرضية هذا الحوض يرجح الباحث بأنه كان حوضاً بحيرياً عظيم الاتساع ، ثم تعرض للجفاف التدريجى ، وغطيت أرضيته بالرواسب الفيضية التى تسبها الأودية العديدة شبه الجافة التى تقطع حافة هضبة مارمريكا وتتجمع مصباتها فى حوض رباح . وتبعاً لامتزاج الرواسب الطينية بالرواسب الجيرية فى أرضية الحوض تستغل تربته الجيدة نسبياً فى الانتاج الزراعى . ويمكن القول بأن حوض رباح فى هذه المنطقة يقابل حوض منخفض العامرية فى القسم الشرقى من اقليم مريوط ، فى حين تشرف الحافة الميوسينية لهضبة مارمريكا فى كل من اقليم شرق مريوط واقليم مرسى مطروح على جميع هذه الظواهر البلايوستوسينية السابقة .

ويتضح من الدراسة الحقلية بأن حافة الهضبة الميوسينية فى اقليم مرسى

مطروح مقطعة بأودية طولية متوازية تمتد مجاريها فى اتجاه عام من الجنوب إلى الشمال وتشمل من الغرب إلى الشرق وادى أم أشطان ، وادى سنب ، وادى ماجد ، وادى المدور ، وادى الرملة ، وادى الخروبة ، وادى الشق وادى التواوية . وعلى الرغم من أن هذه الأودية جميعها خانقية الشكل الا أنها تنتهى عند مقدمات الحافة الميوسينية والتى تشرف على الجانب الجنوبى من حوض رباح . ولم تستطع هذه الأودية الوصول إلى ساحل البحر الحالى أو تقطيع السلاسل التلالية الساحلية السابقة الذكر . ومن ثم يرجح الباحث بأن هذه الأودية كانت تصب فى البحيرة العظمى التى كانت تقع جنوب مدينة مرسى مطروح والتى يشغلها اليوم منخفض حوض رباح ، وكانت هذه البحيرة بمثابة المستوى الذى تصب فيه تلك الأنهار خلال عصر البلايوستوسين . ولكن بعد أن تغير المناخ فى نهاية عصر البلايوستوسين وتعرضت المنطقة لفترة طويلة من الجفاف ، تحولت البحيرة إلى حوض سهلى متسع ، تتجمع فيه رواسب الأودية الجافة . وعلى ذلك فان هذه الأودية الأخيرة تعد الآن فى مرحلة الثبات State of equilibrium حيث إن الظروف التى خلقتها فى الماضى غير تلك التى تشكلها فى الوقت الحاضر . وعلى ذلك فان السلاسل التلالية الواقعة إلى الشمال من حوض رباح (سلسلة الاستراحة – سلسلة كريم – السلسلة الساحلية الشمالية) تعد أحدث عمراً من الأودية شبه الجافة ، حيث انها تكونت فى فترة زمنية لاحقة لنشأة هذه الأودية .

وقد حاول كثير من الباحثين دراسة تغيرات مستوى سطح البحر خلال عصر البلايوستوسين وأثره فى تكوين المدرجات البحرية ومجموعات السلاسل التلالية الساحلية وربط هذه المجموعات فى اقليم مريوط بمثيلتها فى حوض البحر المتوسط . فقد أوضح الأساتذة شكرى وفيليب وسعيد (١٩٥٦) بأن السلسلة الساحلية الشمالية التى تشرف على البحر مباشرة فى اقليم مريوط تتبع السهل التحاتى البحرى الحديث (٦ متر) ويتمثل فوقها الحضارة الموستيرية المتأخرة . أما سلسلة أبو صير فتتبع تكوين السهل التحاتى البحرى على منسوب (١٥ – ٢٥ م) والذى يرجع إلى الفترة الأشيلية .

فى حين تعزى سلسلة جبل مربوط إلى السهل البحرى على منسوب ٣٠ متر فوق مستوى البحر الحالى ، ويعزى تكوينه إلى بداية الفترة الشيلية ، ويوافق المدرج التيرانى فى حوض البحر المتوسط . أما السهول التحاتية البحرية العليا التى تتمثل عند مقدمات حافة مارمريكا الميوسينية عند منسوب ٦٠ متر فتوافق المدرج الميلازى ، وتلك السهول التحاتية البحرية فوق منسوب ٩٠ متر فتعزى هى الأخرى إلى فترة تكوين المدرج الصقلى فى حوض البحر المتوسط .

وقام الباحث بدراسة تفصيلية لبقايا السهول التحاتية البحرية فى منطقة مرسى مطروح وما يجاورها ، ثم ربط نتائج هذه الدراسة بنتائج أبحاثه السابقة عن السهول التحاتية البحرية على طول الساحل اللبنانى ومحاولة تأريخ هذه السهول جميعاً بتلك التى ميزت فى الاقليم الشرقى من حوض البحر المتوسط . وتتلخص النتائج العامة لهذه الدراسة فيما يلى :

١ ــ المدرج الصقلى فى حوض البحر المتوسط يوافق حواجز علم شلتوت ورقبة الخالف ، ومخيرطة وعلم الخادم (٨٠ ــ ١١٠م) التى ميزها شكرى وفيليب وسعيد (عام ١٩٥٦) ، ويوافق السقيفة البحرى (٩٠ ــ ١١٠م) فى منطقة مرسى مطروح (أبو العينين ١٩٧٤) ومدرج بحرى ٧٠ ــ ٩٠ م فى ولاية برقة (ماكبرنى وهاى ١٩٥٥) ومدرج الخياط البحرى (٨٠ ــ ١٣٠ م) فى لبنان أبو العينين ١٩٧٣ .

٢ ــ المدرج الميلازى فى حوض البحر المتوسط يوافق حاجز خشم الكبش (٦٠ م) الذى ميزه شكرى وزملاؤه (عام ١٩٥٦) ومدرج العوسجى البحرى (٦٠ م) فى منطقة مرسى مطروح (أبو العينين ١٩٧٤) ومدرج ٤٤ ــ ٥٥ م فى ولاية برقة (ماكبرنى وهاى ١٩٥٥) ، ومدرج المزرعة البحرى (٤٠ ــ ٧٠) فى لبنان (أبو العينين ١٩٧٣) .

٣ ــ المدرج التيرانى فى حوض البحر المتوسط يوافق حاجز جبل مربوط (٣٥ م) الذى ميزه شكرى وزملاؤه عام ١٩٥٦ وسلسلة جبل مربوط

أو جبل مريوط (ميزها كل من ساند فورد وآركل عام ١٩٣٩ ، وهيوم وهيوز ١٩٢١) وسلسلة الاستراحة (٣٥ — ٤٠ م) فى منطقة مرسى مطروح (أبو العينين ١٩٧٤) ومدرج بحرى (٣٥ — ٤٠م) فى ولاية برقة (ماكبرنى وهاى عام ١٩٥٥) ومدرج الشياح البحرى (٢٠ — ٣٥ م) فى لبنان (أبو العينين ١٩٧٣) .

٤ — المدرج المونستيرى الأعلى فى حوض البحر المتوسط (١٨م) ويوافق كل من حاجز أبو صير (شكرى عام ١٩٥٦) وسلسلة أبو صير (ساند فورد وآركل ١٩٣٩) أو سلسلة أبو صير الدخيلة (هيوم وهيوز ١٩٢١) وسلسلة جبل كريم (أبو العينين ١٩٧٤) ومدرج بحرى ١٥ — ٢٥ م بولاية برقة (ماكبرنى١٩٥٥) .ومدرج الكرنتينة البحرى (٥ — ١٥ م) فى لبنان (أبو العينين ١٩٧٣) .

٥ — المدرج المونستيرى الأوسط فى حوض البحر المتوسط (٧,٥ م) ويوافق كل من الحاجز الساحلى فى اقليم مريوط (شكرى ١٩٥٦) ، والكثبان الساحلية البويضية (ساند فورد عام ١٩٣٩ ، وهيوم وهيوز ١٩٢١) وسلسلة الطابية فى مرسى مطروح (أبو العينين ١٩٧٤) ومدرج البداوى البحرى (٥ م) فى لبنان (أبو العينين ١٩٧٣) .

وتتلخص نتائج هذه الدراسة فى الجدول الآتى :

الموارد المائية والنشاط الاقتصادى فى السهول الساحلية الشمالية :

تعتمد الموارد المائية فى هذا الاقليم على الأمطار الاعصارية التى تسقط خلال فصل الشتاء ، الا أن كمية المطر السنوى تتذبذب من عام إلى آخر ، فبينما يبلغ متوسط كمية المطر السنوى فى برج العرب ١٦ سم^{٣} سقط بها عام ١٩٣٨ نحو ٢٥,٧ سم^{٣} من الأمطار ، وبلغت كمية المطر السنوى الساقطة فوق برج العرب عام ١٩٤٥ نحو ١٠٤ سم^{٣} ، وهذه الأخيرة تعد من أغزر السنوات مطراً فى المنطقة . وتؤثر كمية الأمطار الساقطة فى المساحة المنزرعة على المطر ، بالحبوب النجيلية فى الاقليم ، وهذه لها أثرها فى النشاط الاقتصادى والحياة الاجتماعية لسكان اقليم مريوط . وفى السنوات التى يقل فيها المطر تساعد الدولة السكان وتزودهم بما يلزمهم من الحبوب والمواد الغذائية .

هذا ويلاحظ أن بعض مياه الأمطار الشتوية تتسرب فى الصخور السطحية بل والسفلية ، ويستغلها السكان عن طريق حفر الآبار والمياه التى تتجمع فى الخزانات والصهاريج . ومن بين أنواع الآبار فى الاقليم تلك المعروفة باسم «آبار السماء» وهى عبارة عن صهاريج صغيرة الحجم تحفر قريبة من سطح الأرض وفى قيعان بعض الأودية شبه الجافة ، وكثيراً ما تكون جدرانها مبطنة بمواد تمنع تسرب المياه منها ، ولها فتحات جانبية تدخل منها مياه السيول ، وفتحة علوية صغيرة فى سقف الصهريج تساعد على تسرب الهواء من ناحية وسحب المياه من الصهريج من ناحية أخرى (عبد اللطيف واكد ١٩٥٦) أما «أبار المعاطن» فهى عبارة عن الآبار الضحلة فى الصخور والرواسب السطحية بحيث غالباً ما يزيد عمقها عن عن بضعة أمتار حتى يمكن الحصول على المياه العذبة المتجمعة من مياه الأمطار الشتوية . وإذا زاد عمق البئر عن سبعة أمتار تقريباً تصبح المياه مالحة ، حيث تتجمع المياه الملحية المتسربة من البحر أسفل المياه العذبة وذلك تبعاً لأرتفاع كثافتها وثقلها النسبى .

أما الآبار العميقة والمعروفة باسم «آبار السوانى» فيقصد بها الآبار

الأرتوازية العميقة التى تصل إلى الطبقات الصخرية الحاوية على المياه القديمة المتجمعة فى الصخور الميوسينية .

كما تشجع هيئة تعمير الصحارى على اقامة السدود أمام فوهات الأودية التى تصب فى البحر المتوسط لخزن المياه خلفها خلال فصل سقوط الأمطار ، والاستفادة منها فى رى بعض الأراضى المستصلحة للأنتاج الزراعى .

ويلاحظ بأن المياه الجوفية فى اقليم مريوط تتميز بالارتفاع النسبى فى الأملاح الذائبة وهى غالباً تتراوح من ٥٠٠ — ٥٠٠٠ جزء فى المليون ، وتزداد نسبة الأملاح فى المياه إذا ماسحبت كميات كبيرة من مياه الآبار ، وعلى ذلك تصعد المياه الملحية السفلية إلى أعلى مكان مياه الرشح العذبة . وقد أوضحت الدراسات التى قامت بها هيئة تعمير الصحارى (عام ١٩٧٢) بأنه يمكن سحب ١,٥ مليون م^3 سنوياً من المياه من خنادق وآبار سوانى منطقة القصر (غرب مرسى مطروح) ونحو ٤٠,٠٠٠ م٣ سنوياً من سوانى منطقة الضبعة ونحو ١٠٠,٠٠٠ م٣ سنوياً من سوانى منطقة باجوش ونحو ٥٠,٠٠٠ م٣ من سوانى سيدى برانى والسلوم .

وعلى أساس كمية المياه التى يمكن تدبيرها تتوقف مساحة الأراضى التى يمكن استصلاحها وزراعها فى اقليم مريوط . وقد بلغت جملة الأراضى التى تم استصلاحها وزراعتها فى اقليم مريوط خلال الفترة من ١٩٥٥ إلى عام ١٩٦٠ نحو ٤٤٠ فدان فقط ، ثم وجهت الدولة عنايتها لتنمية هذا الاقليم زراعياً ، وشجعت اقامة حقول التجارب ، ومن ثم ارتفعت مساحة الأرض المستحصلة عام ٦٠—١٩٦١ إلى نحو ٩٨٠ فدان وكان معظمها فى مناطق برج العرب وباجوش وقرية القصر ، ثم أرتفعت إلى نحو ٥١١٠ فدان عام ٦٢—١٩٦٣ وكان معظمها فى منطقتى برج العرب والضبعة . ثم تمكنت هيئة تعمير الصحارى من استصلاح ٢٠٠٠ فدان عام ٦٣ — ١٩٦٤ ونحو ٢٤٥٠ فدان عام ١٩٦٥ .

وخلال الفترة الخمسية الثانية (٦٥ — ١٩٧٠) تم استصلاح نحو ١٠٠٠

فدان فى اقليم مريوط عام ١٩٦٥ معظمها فى اقليم السوينات ، ونحو ١٣٥٠ فدان معظمها فى مناطق المثانى وسيدى حنيش والجراولة والضبعة ، وتم استصلاح ٢٥٠ فدان عام ١٩٦٧ ونحو ٤٦ فدان عام ١٩٦٨ ونحو ٥٥٠ فدان عام ١٩٦٩ ونحو ٨٨٢ فدان عام ١٩٧٠ ومعظمها فى منطقتى العيطوف والنجيلة . وعلى ذلك تصبح جملة المساحات المستصحلة فى اقليم مريوط هى :

٤٤٠ فدان قبل الخطة

١٣,٩٤٠ فدان خلال الخطة الخمسية الأولى (١٩٥٩ — ١٩٦٤)

٤,٠٧٨ فدان خلال الخطة الخمسية الثانية (١٩٦٥ — ١٩٧٠)

١٨,٤٥٨ الجملة

إلى جانب عناية الدولة بمد مزارعى اقليم مريوط بما يلزمهم من تقاوى الحبوب النجيلية وخاصة القمح والشعير وتقاوى الخضر ، فقد عملت على تزويدهم بشتلات الزيتون واللوز بعد أن كان الزراع يعتمدون على شتلاتهم المحلية حتى عام ١٩٦٥ . ويوضح الجدول الآتى بيان بالمساحات المنزرعة من الأراضى المستصلحة بالشتلات الموزعة (بالفدان) وذلك طبقاً لحصر عام ١٩٦٨ (مشروعات التنمية بالساحل الشمالى الغربى — مايو ١٩٧٢)

المنطقة	زيتون	تين	عنب	خوخ	لوز
البرج	٢٨٠١	٤٢٥٠	—	—	١٧٥
الضبعة	١٥١١	٤٥٠	—	—	٣٠
مطروح	٣٥٣١	٧٥٦	٣٩٩	١٣٣	٢١٨
سيدى برانى	٨٦٢	١٥٠	٦٧	١٧	—
الجملة	٨٧٠٥	٥٦٠٦	٤٦٦	١٥٠	٤٢٣

وحسب بيانات عام ١٩٧٢ بلغ جملة عدد المزارعين فى اقليم مريوط نحو ١٠٠ م مزارع منهم ٤٢٠ مزارع فى قطاع مطروح و ٤٤١ مزارع فى قطاع الضبعة ، و ٩٧٠ مزارع فى قطاع برج العرب ، و ٣٦٩ مزارع فى قطاع سيدى برانى . واقامت الدولة ثلاث معاصر جديدة للزيتون فى كل

من سيوه ومطروح وبرج العرب تبلغ كفايتها الانتاجية نحو ١٠٠٠ طن سنوياً . ولكن لم يتعدى قيمة الدخل السنوى الزراعى من المحاصيل الحقلية (الشتوية والصيفية) فى اقليم مريوط أكثر من ١١٠,٠٠٠ جنيه ومن الخضر ٢٤٥,٠٠٠ جنيه ومن الفاكهة ٧٢٦,٠٠٠ جنيه فقط .

وإذا انتقلنا إلى الانتاج الحيوانى فى اقليم مريوط ، فنلاحظ أن الدولة عملت على النهوض بمنطقة فوكة وتنميتها اقتصادياً وذلك باقامة مزارع الرعى فيها حتى قبل عام ١٩٦٥ . وخلال العشر سنوات الأخيرة عملت الدولة على ادخال بعض النباتات الجديدة واستزراعها لتكون غذاء طبيعى للأغنام فى المنطقة . وحددت مساحة المراعى بنحو ٦٠,٠٠٠ فدان فى الاقليم وأنشأت بها خمس وحدات لتربية حيوانات الرعى ، ولتعمل على تطور انتاج منتجات الألبان فى المنطقة . وساهمت الدولة بتوزيع الكباش المحسنة على المربين لتحسين السلالات وانشاء وحدتين بيطريتين فى كل من برانى وفوكة . وعلى ذلك ارتفع عدد رؤوس الأغنام فى اقليم مريوط من ١٠٠,٠٠٠ رأس عام ١٩٦١ إلى أكثر من ٦٥٢,٠٠٠ رأس عام ١٩٦٧ .

هذا ويلاحظ أن المرأة تكاد لا تقوم بأى نشاط اقتصادى ملحوظ فى محافظة مرسى مطروح اللهم الا فى النشاط الزراعى فقط ، ولم يزد العاملات بأكثر من ٤٪ من جملة الأيدى العاملة فى المحافظة . ويشتغل أغلب عمال المحافظة فى حرف الزراعة والصيد ثم يلى ذلك الخدمات العامة والتجارة والنقل والمواصلات والصناعات التحويلية والبناء كما يتضح من الجدول الآتى :

جدول توزيع الأيدى العاملة فى محافظة مطروح بحسب النشاط(١)

الاقتصادى (عام ١٩٦٦)

النوع	الزراعة والصيد	المناجم والمحاجر	الصناعات التحويلية	البناء	الكهرباء والمياه	التجارة	النقل والمواصلات	الخدمات	أنشطة مختلفة	الجملة
ذكور	١٨٦٠١	٢	٥٠٩	٤٦١	٨٦	٢١٧٣	٨٦٣	٢٦٢١	٤٩٠	٢٥٨٠٦
اناث	٧٣٠	—	٦٥٠	٢	—	٣٢	١	١٦٢	٢٨	١٦٠٥
الجملة	١٩٣٣١	٢	١١٥٩	٤٦٣	٨٦	٢٢٠٥	٨٦٤	٢٧٨٣	٥١٨	٢٧٤١١

(١) المؤشرات الاحصائية للجمهورية العربية المتحده ١٩٥٢ – ١٩٦٥ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء – يوليو ١٩٧٠

اما إذا انتقلنا إلى الصحراء الغربية فيرى الباحث ان سطحها الأصلى خلال الزمن الثالث كان أكثر استواء عنه فى الصحراء الشرقية ، ولم تؤثر فيها الحركات التكتونية الا بصورة بسيطة خاصة فى القسم الشمالى منها وعلى ذلك كانت أمطار العصر المطير البلايوستوسينى تتجمع فى المقعرات السطحية Concavities على شكل برك ومستنقعات وبحيرات وخلال الفترات المطيرة يزداد اتساع البحيرات ثم سرعان ما تنكمش وتجف تماماً خلال الفترات الجافة . ويأتى هنا فعل الرياح فى نقل الذرات الدقيقة الحجم وفى تعميق المنخفضات البحيرية . ومن ثم يرجح الباحث بأن الواحات فى الصحراء الغربية تكونت أساساً نتيجة لتعاقب فترات مطيرة وفترات جافة أدت إلى زيادة فعل المياه من جهة وفعل الرياح من جهة أخرى واستمرار تعميق أرضية منخفضات الواحات خلال عصر البلايوستوسين . وتتمثل أدلة فعل المياه فى كثير من الرواسب الطينية ،فى أرضية الواحات ، فى حين يظهر أثر فعل الرياح فى التراجع الخلفى للحافات التى تحيط بها .

وتبعاً لزيادة ظروف الجفاف الحالى فى الصحراء الغربية لمصر ، عظم فعل الرياح كعامل نقل وعامل أرساب ، وأدى ذلك إلى تكوين الكثبان الرملية العظيمة الحجم ، وامتدادها فى اتجاه عام من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى مع الاتجاه السائد للرياح فى الصحراء الغربية . كما تظهر الارسابات الرملية على شكل بحار عظمى من الرمال ثم سلاسل غرد أبى المحاريق وبحر الرمال العظيم . ولا تزال الواحات المصرية تتشكل بفعل الرياح كعامل نحت ونقل وارساب حتى اليوم .

هذا ويلاحظ أن واحتى الخارجة والداخلة تدخل ضمن محافظة الوادى الجديد ، فى حين تدخل بقية الواحات ضمن محافظة مطروح وهناك اتجاه فى ضم وادى البحرية إلى محافظة الجيزة نظراً لأهميتها الاقتصادية بعد استغلال مناجم الحديد فيها . وفيما يلى حديث موجز عن مورفولوجية كل واحة من الناحية الجغرافية .

١ — الواحة الخارجة :

تقع الواحة الخارجة بين دائرتى عرض ٢٢,٣٠° ، ٢٦° شمالا ، وتبدو على شكل منخفض طولى يمكن تحديده من جهتى الشمال والشرق عن طريق الحافات الصخرية للمنخفض ومن الغرب بواسطة الكثبان الرملية لغرد أبو المحاريق ، وعلى الرغم من أن متوسط منسوب أرضيه المنخفض تبلغ نحو ٥٠ م فوق منسوب سطح البحر الا أنها تنخفض عن الأراضى المجاورة بنحو ٣٥٠م. وعلى أساس أن خط كنتور ١٠٠ م يحد أرضية المنخفض ، رجح البعض أن مساحة المنخفض تبلغ نحو ٣٠٠٠ كم ٢ (دولت صادق ١٩٦٥) . وقد كانت الواحة الخارجة ترتبط بوادى النيل بخط حديدى أنشىء عام ١٩٠٨ ويصل بين الخارجة ونجع حمادى ، ولكن توقف هذا عن العمل منذ عام ١٩٦٠ بعد أن تم رصف الطريق الصحراوى أسيوط — الخارجة .

وتتألف الحافة الشمالية من صخور جيرية تتشكل بالغرود والكثبان الرملية فى حين تمتد الحافة الشرقية للمنخفض فى اتجاه عام من الشمال إلى الجنوب مع محور انكسار منخفض الخارجة الشمالى الجنوبى وتتركب من صخور لينة سفلية من الصلصال والحجر الرملى وتكوينات الفوسفات ، وصخور علوية صلبة من الحجر الجيرى . وتتقطع هذه الحافة بواسطة الأودية شبه الجافة التى استطاعت أن تحفر لنفسها أودية عميقة تتخذ كممرات طبيعية تصل بين الواحة ووادى النيل . وتبعاً للتراجع الخلفى للحافة بفعل كشط الرياح للصخور wind abrasion أدى ذلك إلى تقطع الحافة وتكوين مجموعات من التلال المنعزلة مثل جبل طريف (٤٣٢ م) وجبل الطير (٣١٩ م) وجبل غنيمة (١٨٠ م) وأم الغنيم (٣٨٨م) وكلها تقع إلى الشمال من قرية الخارجة . كما تنتشر ظواهر المدرجات الصخرية وتجمعات رواسب التيلامس والمخروطات الارسابية عند اقدام الحافة الشرقية لمنخفض الخارجة

ويتبعثر فوق أرضية المنخفض بعض الكثبان الرملية ، وتكوينات ارسابية من التوفا الجيرية والبريشيا على شكل اكوام تلالية ان دلت على شىء فانما تدل على تتابع حدوث الفترات المطيرة والفترات الجافة فى المنخفض خلال عصر البلايوستوسين (شكل ٣)

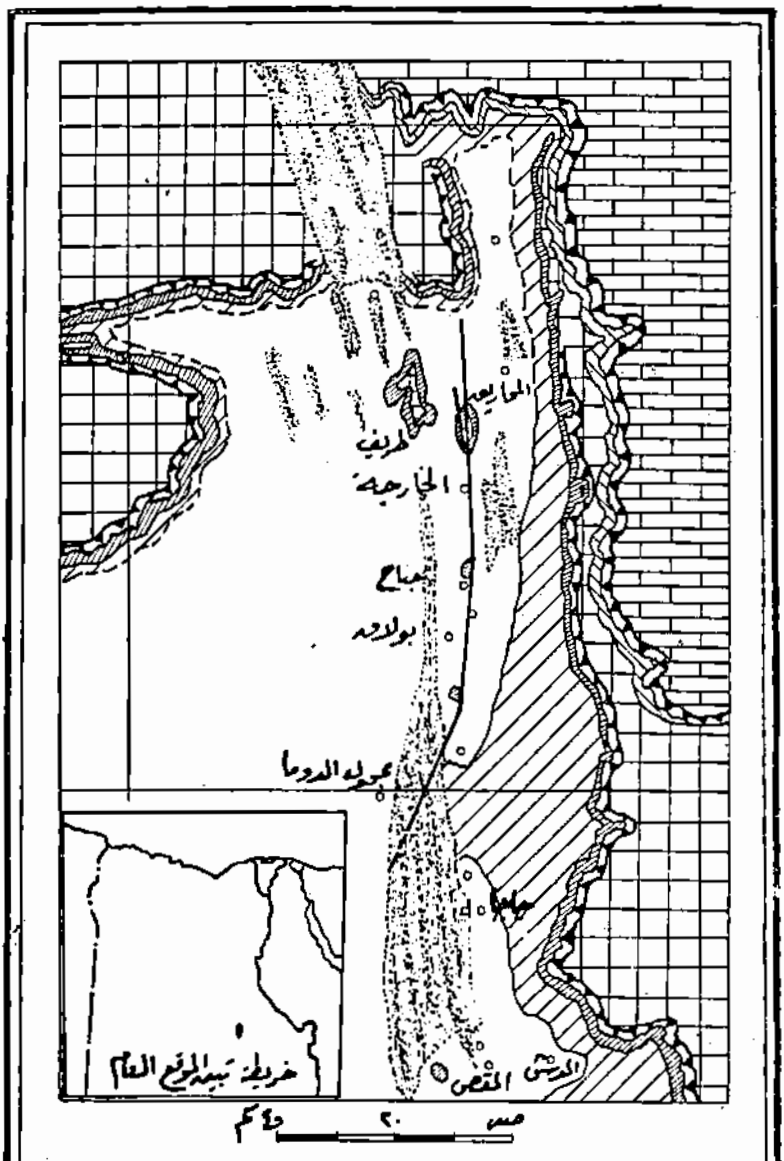

شكل ٣

مورفولوجية

منخفض الخارجة

وقد اختلفت الآراء فيما يتعلق بنشأة منخفض الخارجة ، فيرى جون بول J, Ball ان الانكسارات الأيوسينية ساعدت على تراجع الحافات الانكسارية (الصدعية) وتوالى عمليات تعميق المنخفض . فى حين يرى كل من ساند فورد وآركل Sandford and Arkell وكوليه Collet بأن المياه التى تجمعت فى أرض المنخفض خلال الفترات المطيرة لها أكبر الأثر فى تعميقه . وأكدت كيتون تومبسون بأن المدرجات الارسابية البحيرية فى المنخفض والتى تتغطى برواسب النوفا الجيرية والبريشيا تدل على تعاقب حدوث فترات مطيرة وأخرى جافة وكان لهما أكبر الأثر فى توالى تعميق أرضية منخفض الخارجة خلال عصر البلايوستوسين . الا أن بداية نشأة المنخفض قد ترجع إلى القسم الأخير من الزمن الثالث بفعل الرياح وكشطها التكوينات الصخرية اللينة فى مناطق الضعف الجيولوجية .

وتستمد آبار الواحة الخارجة مياهها من طبقتين مشبعتين بالمياه الجوفية وتتكون كلتاهما من الحجر الرملى النوبى . ويتفق زيتل Zittel وجون بول J, Ball على أن هاتين الطبقتين تستمدان مياههما من المناطق المرتفعة حول بحيرة شاد . وأوضحت كيتون تومبسون بأن سمك الطبقة السفلية من الحجر الرملى النوبى تبلغ نحو ١٢٠ م ، بينما يرى «بول» أن متوسط سمكها نحو ٤٠٠م مما يستدعى حفر آبار عميقة فى منخفض الخارجة .

ويظهر حول قرى الخارجة والمحاريق أكثر من ١٨٨ ينبوعاً وحول قرية بولاق ٣٣ ينبوعاً وقرية جناح عشرة ينابيع . ولكن من الهام معرفة كمية التصريف المائى لهذه الينابيع ، فعليها يتوقف مساحة الأراضى المنزرعة فعلى الرغم من أن منطقتى الخارجة والمحاريق بها ١٨٨ ينبوعاً الا أن المساحة المنزرعة هنا تقدر بنحو ٣٥٠٦ فدان ، فى حين نجد فى منطقة واحة باريس فى الجنوب نحو ٥٦ ينبوعاً تزوع أكثر من ١٢٨٠ فداناً . (أنظر الجدول عبد اللطيف واكد ١٩٥٦)

المنطقة	العيون الجارية	العيون المهجورة	المساحة المنزرعة (فدان)	أقل عمق (قدم)	أبعد عمق (قدم)
الخارجة والمحاريق	١٨٨	٨	٣٥٠٦	٢٠	٩٠٠
جناح	١٠	—	٣٥٢	٤٠	٥٠٧
بولاق	٣٣	٣	٨٦٣	٨٠	١٠٠٠
باريس	٥٦	—	١٢٨٢	٥	٦٠٠

وتقدر جملة المساحة المنزرعة بالواحة الخارجة نحو ٨٠٠٠ فدان ما بين زراعات شتوية وحدائق ، وتقل المساحة المنزرعة خلال فصل الصيف كما يتضح أن أقل القرى ماء فى الواحة الخارجة هى قرية جناح ولا تتعدى المساحة المنزرعة نحو ٣٥٢ فدان ، وترتفع نسبة الكلور وكلوريد الصوديوم وسلفات الكالسيوم والمغنسيوم بمياه عيون الواحة الخارجة . وتنبأ الدراسات الجيولوجية بأن واحتى الخارجة والداخلة هى بمثابة صمام أمن لمناطق استغلال الفوسفات فى جمهورية مصر العربية لما تحتويه صخورها الكريتاسية من كميات كبيرة من احتياطى هذا الخام .

وتمتد المراكز العمرانية فى المنخفض على طول طريق درب الأربعين القديم وتتركز القرى حيثما وجدت الموارد المائية عن طريق الآبار . وأكبر القرى تتمثل فى الخارجة وحولها بعض العيون المائية ومن بينها عين الطويل وعين خنافيش ، وقرية جناح ، ثم قرى بولاق وجاجاودخاخين وباريس إلى جنوب قرية الخارجة ، فى حين تقع قرية المحاريق شمال قرية الخارجة. ويقل عدد سكان كل من قرى الخارجة عن ١٠٠٠ نسمة ، ولا يزيد عدد المراكز العمرانيه فى واحة الخارجة التى لايزيد عدد سكان كل منها عن ٥٠٠ نسمة عن أربع مراكز فقط ، وبلغ جملة عدد سكان الواحة عام ١٩٦٦ نحو ٢٥,١٣٨ نسمة .

٢ — الواحة الداخلة :

يمكن اعتبار منخفض الواحة الداخلة مكملا للقسم الغربى لمنخفض الخارجة ويطلق عليهما اسم الوادى الجديد . وتكاد تنحصر أرضية هذا

المنخفض فيما بين دائرتى عرض ٢٥° ، ٢٦° شمالا . ومتوسط منسوب أرضية المنخفض نحو ١٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر ويبعد المنخفض غرباً عن منخفض الخارجة بنحو ١٢٠ كم ويتصل به بواسطة طرق برية ودروب صحراوية أهمها درب الجبارى ويتصل المنخفض بوادى النيل مباشرة عن طريق درب الطويل .

ويحد المنخفض شمالا حافة صخرية مكونة من الصخور الجيرية الكريتاسية العليا ، وصخور الأيوسين ، وتتركب أقدام الحافة من صخور لينة من الصلصال والتكوينات الفوسفاتية ، وبفعل كشط الرياح لهذه الطبقات اللينة السفلية تتراجع الحافة إلى الخلف بالتدريج وتترك أمامها كتل جبلية منعزلة مثل كتلة أدمنستون الواقعة شمال غرب قصر الداخلة . فى حين لا توجد ظواهر طبيعية واضحة تحدد أبعاد المنخفض من الاتجاهات الأخرى .

ويتشكل المنخفض بواسطة كثبان رملية عظيمة الحجم تمتد فى اتجاه عام من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى وأعظمها حجما تلك التى تقع موازية لدرب الطرفاوى جنوب الواحة وبحر الرمال العظيم فى غربها . وتغطى الرواسب البحيرية والملحية أكثر من نصف مساحة أرضية واحة الداخلة وان دل هذا على شىء فانما يدل على تجمع المياه فى بحيرات أرضية المنخفض خلال الفترات المطيرة ثم تعرضها للجفاف خلال الفترات الجافة

ومن نتائج الدراسات الجيولوجية التى أجراها الأستاذ بيدنل لمنخفض الداخلة أكد بأن هذا المنخفض يقع فى مناطق ضعف جيولوجية أظهرت حافاته الصخرية الشمالية التى أخذت تتراجع خلفياً بفعل كشط الرياح لتكويناتها اللينة . وفى رأى بيدنل لا تزال تعمل الرياح فى هذه المناطق الشديدة الجفاف على توالى عمليات حفر المنخفض وتعميقه بل وردمه فى بعض أجزائه الأخرى بفعل أرسابات الكثبان الرملية . (شكل ٤)

وتعتمد آبار الواحة الداخلة على المياه المستمدة من طبقة الحجر الرملى النوبى التى تتمثل مواردها الأساسيةمن المياه فى الأمطار الساقطة على مرتفعات

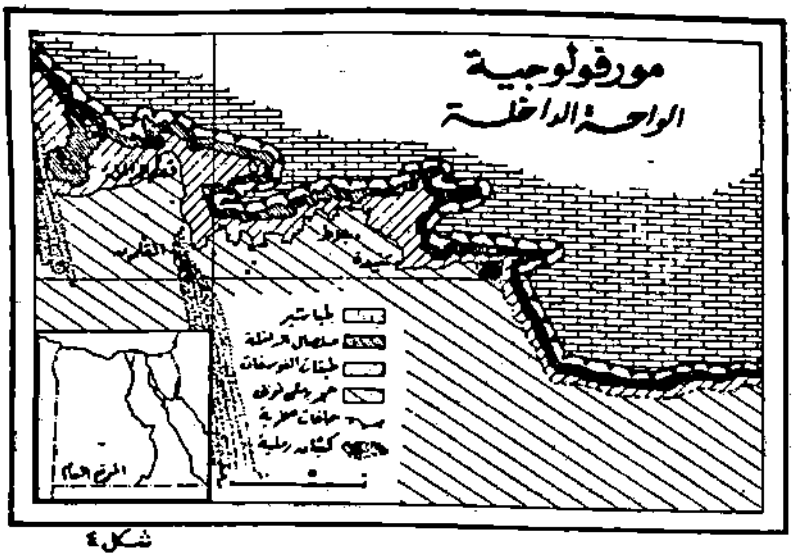

شكل ٤

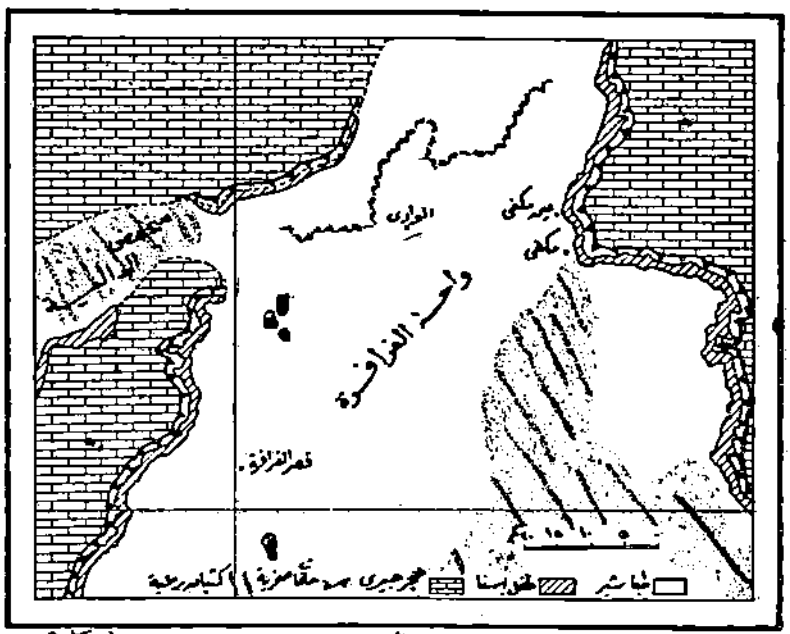

شكل ٥

شاد وأردى وعنيدى . وتتميز مياه آبار الواحة الداخلة بارتفاع درجة حرارتها (٢٤° م إلى ٤٠°م) وكثرة نسبة غازات النتروجين وثانى أكسيد الكربون بالمياه مما يدل على أنها آتية من أعماق بعيدة نسبياً . وترجح الأدلة الجيولوجية على أن الطبقات الحاوية للمياه فى منخفض الداخلة مثلها كمثل منخفض الخارجة تتألف من طبقتين السفلى منهما تحتوى على كميات من المياه الجوفية أعظم حجما من العليا . ومن ثم ينبغى العناية بحفر آبار عميقة للوصول إلى الطبقة السفلية الحاوية للمياه الجوفية . ويتراوح متوسط عمق آبار الواحة الداخلة من ٢٥٠ — ٣٥٠م ومتوسط التصريف اليومى لكل بئر من ٤٠٠٠ — ٦٠٠٠ م ٣ . وتتجمع الأراضى الزراعية بمنخفض الداخلة فى منطقتين (محمد صفى الدين — ١٩٥٧) هما :

١ — المنطقة الغربية : وهى أعظم أهمية وبها مراكز عمرانية أهمها الداخلة ، وبدخولو ، وموشيه ، ورشيدة ، والجديدة والقلمون وهنداو واسمنت ومعصرة وموط . ويتركز فيها نحو ٧٥٪ من الأرض المنزرعة بالواحة والتى تقدر بنحو ١٥,٠٠٠ فدان .

٢ — المنطقة الشرقية : ويتمثل فيها نحو ٢٥٪ من الأرض المنزرعة وأهم قراها بلاط وتنيدة .

ويوضح الجدول الآتى عدد العيون المائية حول بعض قرى الواحة الداخلة والمساحة المنزرعة عليها : (عبد اللطيف واكد ١٩٥٦) .

القرى	عدد العيون	المساحة المنزرعة (بالفدان)
القصر	١٤١	٢٢٦٣
بلاط وتندة	٢٥٢	٢٠٥٢
الجديدة	٥٥	١٥٤٠
القلمون	٦٨	١٥٠٦
هنداو	٦٩	١٢٠٠
المعصرة	١١٣	١٠٦٨
موط	١٠٢	٦٥٢
اشمنت	٢٧	٥١٢
الموسية	٤٣	٥٣٤
الراشدة	٢٠	٥٠٤
بدخلو	٣٨	٥٠٠

ويبلغ جملة عدد سكان الواحة الداخلة حسب تعداد عام ١٩٦٦ نحو ٣٣,٧٧٧ نسمة ويعمل معظم سكان الواحتين الداخلة والخارجة (الوادى الجديد) بالزراعة ويقدر عدد الزراع بهما نحو ٦٦٦٧ مزارع ويعمل بالخدمات نحو ١٠٨٣ شخصاً وفى التجارة نحو ٤٩٦ شخصاً وفى الصناعات التحويلية نحو ٣٤٠ شخصاً ولا يزيد جملة عدد الأيدى العاملة بالواحتين الداخلة والخارجة معاً عن ٩ آلاف عامل كما يتضح من الجدول الآتى :

(تعداد السكان بالعينة — ١٩٦٦)

النوع	الزراعة والصيد	المناجم	الصناعات التحويلية	البناء	الكهرباء والمياه	التجارة	النقل والمواصلات	الخدمات	أنشطة أخرى	الجملة
ذكور	٦٥٥٥	١	٣٣٩	١٩٢	١٤	٤٩١	١٤٨	١٠٣١	٧١	٨٨٤٢
اناث	١١٢	—	١	—	—	٥	—	٥٢	٤	١٧٣
الجملة	٦٦٦٧	١	٣٤٠	١٩٢	١٤	٤٩٦	١٤٨	١٠٨٣	٧٥	٨٩١٦

٣ ـ منخفض الفرافرة :

يقع منخفض الفرافرة إلى الشمال الغربى من منخفض الواحة الداخلة ويمتد مع دائرة عرض مدينة أسيوط تقريباً ويبعد عنها غرباً بنحو ٣٠٠ كم وعلى الرغم من عظم مساحته (١٨,٠٠٠ كم٢ وهو ثانى المنخفضات الصحراوية المصرية مساحة بعد منخفض القطارة) الا أنه قليل الأهمية وذلك لقلة الموارد المائية فيه وعزلته النسبية ، وتعرض أرضيته للارسابات الرملية . وقد حفر المنخفض فى تكوينات الصخور الجيرية الكريتاسية السفلى وتبدو هذه التكوينات على شكل حواف جبلية عالية تشرف على أرضية المنخفض جهة الشمال بنحو ٢٤٥ م فى حين تقع أرضية المنخفض على منسوب ٧٦ م فوق مستوى سطح البحر . (شكل ٥)

وقد عملت الأودية الجافة على تقطيع الحافة الشمالية وتكوين ممرات طبيعية انشىء فيها الطريق الوحيد الذى يصل قرية قصر الفرافرة بالواحات البحرية فى الشمال . وتنتشر الكثبان الرملية العظيمة الحجم فى شمال غرب المنخفض وفى منخفض الدالية الخالى من السكان والواقع إلى الغرب من هضبة القس أبو سعيد ، كما تمتد الكثبان الرملية فى الجنوب الشرقى من منخفض الفرافرة ، وفى هذا الموقع الأخير تنتشر الكثبان الرملية لمسافة ١٥٠ كم فى اتجاه عام من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى مع الاتجاه السائد للرياح

وأكد بيدنل بأن هذا المنخفض كان أكثر ازدهاراً عما هو علية اليوم وأطلق عليه اسم أرض الماشية فى مصر القديمة .
The land of Cattle of Ancient Egypt

ولكن تبعاً لظروف الجفاف وهجوم الكثبان المتحركة وبعد المنخفض النسبى عن أرض وادى النيل فقد المنخفض أهمية الاقتصادية بالتدريج .

ويتركز النشاط الاقتصادى فى المنخفض بالقرب من الموارد المائية الحالية التى تتمثل فى القسم الشمالى الغربى منه حول القرية الوحيدة بالمنخفض وهى قرية قصر الفرافرة .وهنا تظهر بعض العيون المائية منها عيون الشيقى والحجة والحطايا والكفرين والرمل ودميره وشمناوه وعيساى. ولا يزيد جملة عدد

سكان واحتى الفرافرة والبحرين معاً عن ١١ ألف نسمة ويقدر عدد سكان واحة الفرافرة بنحو ٤٥٠٠ نسمة .

٤ ــ منخفض الواحة البحرية : (الواحة الصغيرة) :

يقع منخفض الواحة البحرية أو الواحة الصغيرة إلى الشمال مباشرة من منخفض الفرافرة بنحو ١٥٠ كم . وقد حفر كذلك فى ثنية محدبة من صخور الكريتاسى الأسفل ، وعلى ذلك تكثر فى أرضية المنخفض التلال المنعزلة التى لم تنجح عوامل التعرية على ازالتها تماماً من المنطقة العليا لمحاور الثنيات المحدبة .

ومن بين هذه التلال غرابى وميسرة ومنديشة والهفوف فى القسم الشمالى من المنخفض . وتحت أقدام هذه التلال الجبلية المنعزلة تظهر العيون المائية كما شيدت بعض الآبار القليلة العمق والتى قامت عليها أهم المراكز العمرانية فى المنخفض ممثلة فى قرى القصر والبويطى وزوبو ومنديشة . ويبدو المنخفض بيضاوى الشكل ويكاد يكون منحصراً تماماً بواسطة حافات جبلية عالية يتراوح منسوبها من ١٥٠ ــ ١٧٥ م فوق مستوى أرضية المنخفض التى يبلغ منسوبها هى الأخرى نحو ١٣٠ م فوق مستوى سطح البحر . وتتركب حافات المنخفض من صخور جيرية وطباشيرية متعاقبة فوق صخور الحجر الرملى النوبى ، وتنتشر تحت أقدامها التلال المنعزلة والمخروطات الارسابية التى تدل على استمرار التراجع الخلفى لحافات المنخفض . كما تظهر بعض الينابيع المائية بالقرب من أقدام هذه الحافات كما هو الحال فى عين جليد وعين الحصوى بالقرب من الحافات الشمالية الشرقية وعين الحايس بالقرب من الحافات الجنوبية الغربية للمنخفض . (شكل ٦) .

ويعتقد جون بول وبيدنل J. Ball and J. Beadnell. 1903 بأن نشأة هذا المنخفض تعزى إلى وقوعه فى منطقة ضعف جيولوجية واحتلال القسم الأعلى من ثنية محدبة أثرت فى تكوينات الكريتاسى الأسفل والأيوسين . وبعد تعرض أعالى الثنية المحدبة لفعل عوامل التعرية الخارجية تكونت

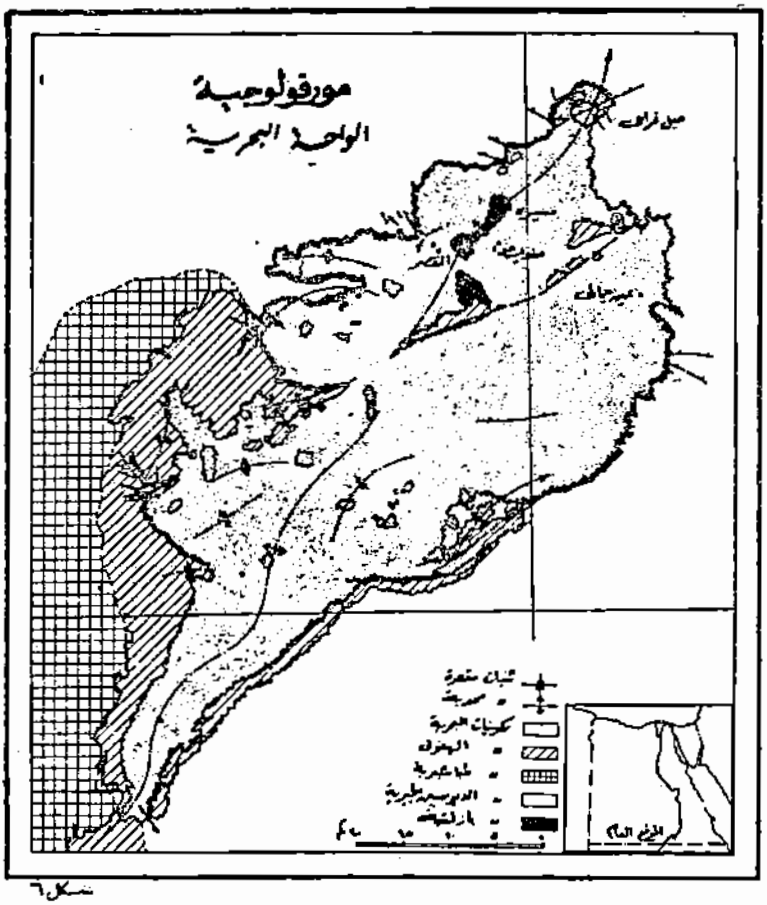

شكل ٦

بحيرة عظمى تجمعت فيها الرواسب الرملية الطينية وعظم فيها عملية الأكسدة وتكونت رواسب خام الحديد . ويرجح بأن هذه البحيرة كانت أعظم اتساعاً من مساحة أرضية المنخفض الحالية وكانت تمتد شرقاً خلال فترة الأوليجوسين وذلك تبعاً لانتشار بعض تكوينات الحجر الرملي الحديدى على طول الطريق الممتد فيما بين الواحة البحرية ومغاغة على نهر النيل : وعند نهاية الزمن الثالث وبداية الزمن الرابع انكمشت البحيرة تبعاً لانحسار مياه البحر الأوليجوسيني عن شمال مصر ، وتشكل المنخفض بالتغيرات المناخية البلايوستوسينية . الا أن أهم العوامل التى تشكله فى الوقت الحاضر تتمثل فى التجوية الطبيعية (عملية تقشير الصخر) وتراجع الحافات وفعل كشط الرياح للتكوينات الصخرية اللينة وارسابها لحمولتها على شكل كثبان رملية .

وتبلغ جملة العيون والآبار فى الواحة البحرية نحو ٢٠٤ عيناً ، ويوجد حول قرى منديشة ٧١ عيناً ، والقصر ٥٩ عيناً والزوبو ٤٢ عيناً ، والباويطى ٣٢ عيناً . (عبد اللطيف واكد — ١٩٥٦) . ومياه الواحة البحرية أقل فى درجة حرارتها ونسبة الأملاح بها إذا ما قورنت بمياه الواحة الداخلة او الخارجة ومن أجمل العيون المائية بها عين البشمو التى تتفجر من تحت أقدام حافات جيرية صخرية مكونة غديراً سطحياً ، يظهر فى مجراه شلال صغير . ومن العيون المائية الأخرى عين العسيلى وعين جهنم .

وباكتشاف خام الحديد فى القسم الشمالى من الواحة البحرية بدأت الواحة تستقبل العمال من وادى النيل وارتبطت بالوادى بالسكك الحديدية وبطريق برى ، كما شهدت الواحة بعض التغيرات العمرانية وذلك بتشيد مدن العمال واستراحات الموظفين وكلها عوامل ستربط سكان الواحة البحرية وغيرها من سكان الواحات المجاورة بالتطور الاجتماعى والعمرانى والاقتصادى فى وادى النيل .

٥ — منخفض سيوة :

يقع منخفض سيوه فى تكوينات الهضبة الميوسينية المعروفة باسم هضبة

مارمريكا على شكل منخفض عرضي يمتد إلى الجنوب الغربي من منخفض القطارة حتى الحدود المصرية الليبية تقريباً ، ويشغل بذلك مساحة تصل إلى نحو ٩٢,٠٠٠ فدان . وتعتبر منخفضات القطارة وسيوه في مصر وجغبوب وكفرة في الأراضي الليبية منخفضات شبه متصلة بعضها بالبعض الآخر وقد حفرت جميعها في التكوينات الجيرية الميوسينية . ويبعد منخفض سيوه عن مدينة مرسى مطروح في الشمال بنحو ٣٠٠ كم وعن نهر النيل في الشرق بنحو ٤٥٠ م . ومع ذلك تعد مدينة مرسى مطروح المنفذ الرئيسي لمنخفض سيوة وترتبط بالمنخفض اقتصادياً واجتماعياً .

ويحد المنخفض شمالا حافة جيرية مقوسة الشكل تمتد من حافات تميزة في الشرق إلى حافة قارة القرن في الغرب لمسافة تزيد عن ٢٥ كم . ويتراوح ارتفاعها من ١٥٠ — ٢٠٠ متر فوق منسوب أرضية المنخفض وقد اكتسبت الحافة شكلها المقوس أو شكل «حدوة الحصان» تبعاً لعمليات التراجع الخلفي المستمر للحافات نحو الشمال . وينحدر على جوانب هذه الحافة الجيرية الحائطية الشكل أودية جبلية عميقة شبه جافة تساعد بدورها على سرعة النحت الخلفي للحافات . ومن ثم تتآكل الحافة الصخرية وتترك أمامها التلال المنعزلة المقطعة منها والتي تعرف باسم (القارات) ومن بين هذه القارات من الشرق إلى الغرب قارات وأم الحويمل ، وأم الهرس، وأبو بريج والحمرا ، والبيضا ، وهليو ، وكوز الضبش . (شكل ٧)

وينتشر إلى جنوب المنخفض مساحات شاسعة من الكثبان الرملية التي تعد جزءاً من الأطراف الشمالية لبحر الرمال العظيم . كما تظهر بعض الكثبان الرملية الأنفرادية والمركبة في أرضية المنخفض ذاته وهذه الأخيرة تتغير مواضعها وأشكالها من عام إلى آخر .

وتتألف أرضية منخفض سيوة كذلك من مجموعات من الأحواض الانخفاضية (يتراوح منسوبها من ١٠ — ١٥ م تحت مستوى سطح البحر) وينفصل بعضها عن البعض الآخر ، وكثيراً مايتوسط كل من هذه الأحواض بحيرات واسعة منها بحيرة المراقى (٩ كم ٢) وبحيرة سيوة (٣٢ كم ٢)

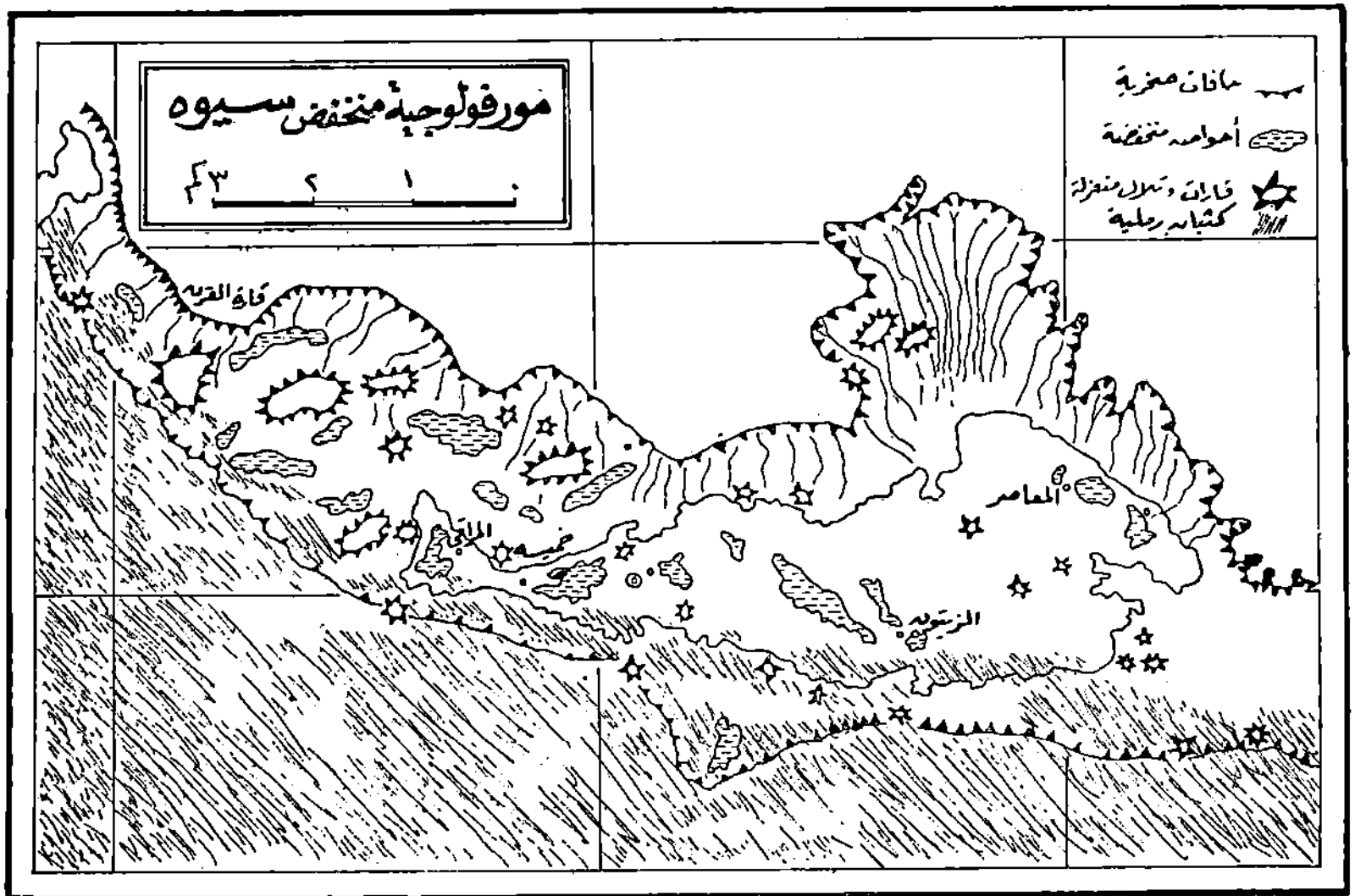
مورفولوجية منخفض سيوه
٠ ١ ٢ ٣ كم
حافات صخرية
أحواض منخفضة
قارات وتلال منعزلة
كثبان رملية
قارة القرن
المراقي
خميسه
المعاصر
الزيتون

شكل ٧

وبحيرة الزيتون (١٦ كم ٢) وتتعرض كثير من البحيرات الصغيرة الحجم فى الواحة للجفاف ، ومن ثم تترك على السطح رواسب وفرشات ملحية سميكة . وتقدر مساحة المستنقعات والبحيرات فى المنخفض بنحو ٣٠ كم ٢

ويرجح الباحثون ان نشأة المنخفض تعزى إلى وقوعه فى مناطق ضعف جيولوجية ، كما عملت التعرية الهوائية وخاصة الرياح على سرعة حفرة وتعميقه . ويلاحظ أن الأراضى المنخفضة المنسوب (—١٥م) تعد أراضى بور ، تنتشر فيها السبخات البحيرية أما تلك المرتفعة المنسوب نسبياً فتقام فوقها القرى والطرق فى حين الأراضى المتوسطة المنسواب (— ١٠م إلى خط كنتور صفر) فهى التى تستغل فى الانتاج الزراعى . وتقدر جملة الأرض المنزرعة فى سيوة بنحو ١٣٠٠ فدان يزرع منها ١٠٠٠ فدان حدائق والباقى تستغل فى زراعة المحاصيل الحقلية خاصة القمح والبرسيم والخضر (١) فى حين يمكن أن يزرع أكثر من ٢٣ ألف فدان من أراضى واحة سيوه خاصة تلك التى تقع إلى الشرق من جبل الدكرور (دولت صادق—١٩٦٢) .

ويمكن أن نميز ثلاث مناطق زراعية ،فى واحة سيوة تتمثل فيما يلى :

١ — المنطقة الوسطى الرئيسية : وتحيط بقرية سيوة وتمتد فيما بين جبل الدكرور شرقاً وبحيرة خميسة غرباً وتقدر جملة الأرض المنزرعة هنا نحو ١٠٠٠ فدان ، يزرع معظمها بالنخيل .

٢ — المنطقة الشرقية : تمتد إلى شرق المنطقة السابقة أى فيما بين قرية سيوة فى الغرب وقرية الزيتون فى الشرق وتكثر فى تربة هذه المنطقة المواد العضوية نتيجة لتحلل النباتات . وتقدر جملة الأرض المنزرعة هنا بنحو ٣٠٠٠ فدان وتزرع أساساً بالنخيل وأشجار الزيتون وبها بعض الأشجار المثمرة الأخرى مثل المشمش والتين .

---

(١) دولت صادق — ١٩٦٢ — ولكن يذكر عبد اللطيف وآخر ص ٢٤٢ بأن الأرض المنزرعة فى سيوة حسب بيانات عام ١٩٥٦ نحو ٤٥٠٠ فدان .

٣ ـ المنطقة الغربية : تمتد إلى الغرب من قرية سيوه وتتركز المناطق الزراعية حول قرى أم شندد وطعوينى والمراقى وعبد الجبار وهى أقل المناطق انتاجاً فى سيوه وتزرع أساساً بأشجار الزيتون والرمان والنخيل والتين والمشمش والعنب . وتقدر جملة المساحة المنزرعة بالزيتون فى كل أنحاء واحة سيوه نحو ٥٠٠ فدان (١) ، تنتج نحو ٢٠٠٠ طن سنوياً من الزيتون . هذا ويلاحظ أن الأرض الزراعية فى سيوه ملكاً للحكومة وللأهالى حق الانتفاع بها وحيازة ما عليها من أشجار ومزروعات .

وقد كان عدد سكان سيوه حسب تعداد عام ١٩٦٦ نحو ٥١٦٩ نسمة ويقدر عددهم فى الوقت الحاضر بنحو ٦٥٠٠ نسمة ويتجمع أكثر من ٧٥٪ منهم فى واحة سيوة نفسها وأهم المراكز العمرانية الأخرى بالمنخفض تتمثل فى أغورى ، ويقل عدد السكان فى القرى الصغيرة مثل الزيتون وأبو شروق وخميسة والمراقى على الرغم من اتساع حدائقها ووفرة المياه بها . وتتصل واحة سيوة بمنخفض قارة أم الصغير الواقعة إلى الشمال الشرقى منها بطريق برى يبلغ طوله نحو ١٢٥ كم .

٦ ـ منخفض القطارة :

يقع منخفض القطارة إلى الشرق من واحة سيوة بنحو ٨٠ كم ويمتد على شكل منخفض بيضاوى عظيم الاتساع جنوب الساحل الممتد فيما بين العلمين ورأس الحكمة بنحو ٦٠ كم ويبعد عن القاهرة بأكثر من ٢٠٠ كم ويكاد يكون المنخفض خالياً من السكان ولا يوجد فيه أى نشاط اقتصادى فى الوقت الحاضر . وقد حفر المنخفض فى تكوينات الصخور الجيرية الميوسينية وتكاد تحدد أرضية المنخفض خط كنتور صفر وعلى هذا الأساس يصبح طول المنخفض نحو ٣٠٠ كم وأقصى اتساع له نحو ١٤٥ كم وهو بذلك أكبر المنخفضات فى الصحراء الغربية المصرية . وتتمثل أعظم أجزاء منخفض القطارة انخفاضاً فى القسم الجنوبى منه حيث يبلغ المنسوب هنا

(١) عبد اللطيف واكد ـ ١٩٥٦ .

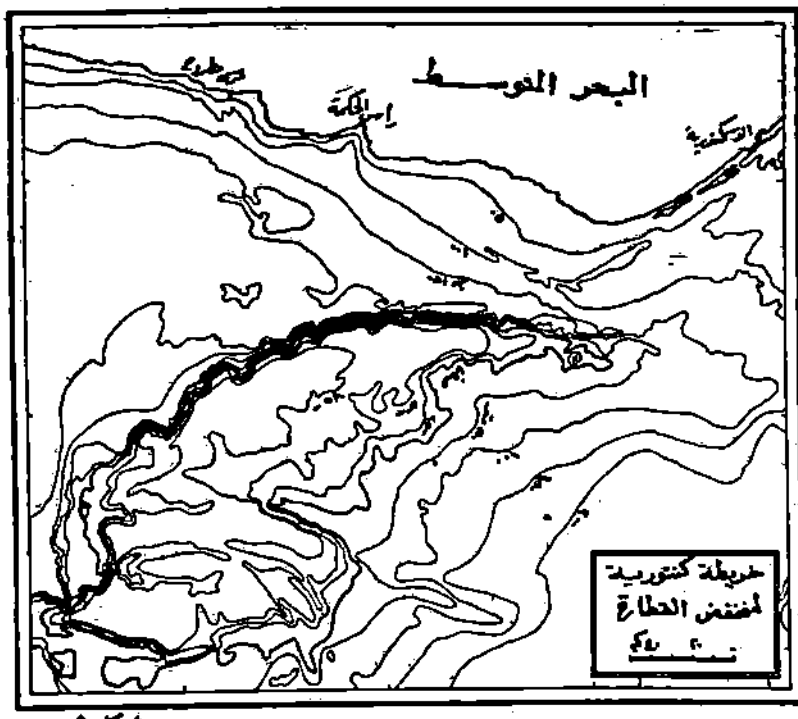

شكل ٨

نحو ـ ٧٥م وإلى جنوب واحه قارة بنحو ٣٠ كم حيث يبلغ منسوب أرضية المنخفض ـ ١٣٤ متر تحت مستوى سطح البحر ، وهو أقل مستوى للمنخفض . (شكل ٨)

ويحد المنخفض من الشمال والغرب حافات جيرية ميوسينية عالية يزيد ارتفاعها عن ١٥٠ متر فوق أرضية المنخفض ، وينفتح المنخفض على الهضبة الميوسينية من جهة الشرق والجنوب . وتبعاً لعظم انخفاض أرضية المنخفض يتعرض القسم الجنوبي منه لرشح المياه وتتكون فيه السبخات البحيرية وتنتشر فوقه رواسب طينية جيرية ، وفرشات ملحية . فى حين تنتشر الرواسب الرملية والحصوية على الجوانب الشرقية من المنخفض (شكل ٩) .

ويرجح جون بول J. Ball بأن المنخفض تكون فى مناطق ضعف جيولوجية فى تكوينات الصخور الميوسينية وتراجعت الحافات الصخرية نحو الشمال بفعل كشط الرياح المحملة بالرمال وعظم تعميق المنخفض بفعل البحيرات التى كانت تشغله خلال الفترات المطيرة من عصر البلايوسين ونتج عن ظروف الجفاف السائدة انتشار السبخات البحيرية فوق أرضية المنخفض ، كما أوضح جون بول بأن مصدر مياه المنخفض ترجع إلى الطبقات الحاوية للمياه من صخور الحجر الرملى النوبى التى تقع أسفل التكوينات الجيرية والطباشيرية الكريتاسية السفلى وتكوينات الأيوسين والميوسين . وأهم واحات المنخفض تلك التى تقع فى طرفه الشمالى الشرقى والتى تعرف باسم مغارة . .

٧ ـ منخفض وادى النطرون :

يمتد هذا المنخفض على شكل وادى طولى يقع إلى الغرب من دلتا النيل فى اتجاه عام من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى لمسافة تقدر بنحو ٦٠ كم ومتوسط عرضه نحو ١٠ كم . وتقع معظم أراضيه تحت مستوى سطح البحر بنحو ٢٣ م . وتبلغ طول المسافة بين طرفه الجنوبى الشرقى ومدينة القاهرة نحو ٨٠ كم ، ومن طرفه الشمالى الغربى حتى مدينة الاسكندرية

حوالى ٨٥ كم (محمد صفى الدين ، ١٩٥٧ ص ١٢٤) . ويبعد بئر هوكر فى القسم الأوسط من المنخفض عن طريق الاسكندرية الصحراوى بحوالى ٦ كم

وأهم ما يميز المنخفض تكوين مجموعات من البحيرات تكاد تقع جميعها على محور واحد يمتد مع الاتجاه العام للمنخفض وتشمل من الجنوب الشرقى إلى الشمال الغربى بحيرات الفاسدة (-٢٢م) وأم ريشة (- ٢١م) والرزونية وأبو جبار وحمرا والزجم ، والبيضة وخضرا . وتتركز قيمة هذه البحيرات فى النطرون الذى يتركز فى قاعها .

ويرجح بعض الكتاب بأن المياه الجوفية فى منخفض النظرون لها علاقة بالمياه المتسربة من مجرى نهر النيل ، حيث كان منسوب البحيرات يرتفع مع مجيء الفيضان كل عام . وأعتبر الأستاذ «هوكر» بأن وادى النطرون هو المكان الرئيسى الذى تنصرف اليه المياه المتسربة من القسم الغربى من دلتا النيل . ولكن هذا لا يمنع أيضاً بأن بعض مصادر المياه الجوفية فى المنخفض ترجع إلى الطبقات الحاوية للمياه فى الهضبة الغربية من مصر بل وإلى مياه الأمطار الاعصارية الشتوية التى تنساب نحو تكوينات المنخفض .

وأكد الأستاذ محمد صفى الدين (١٩٥٧) بأن المنخفض لا يمكن أن يعتبر أحد أفرع النيل القديمة ذلك لأن مياه بحيرات النطرون تنساب إلى المنخفض فى اتجاه عام من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ، وعلى ذلك لا يمكن أن تكون الأودية النهرية مسئولة عن حفر المنخفض . ويرجع ساند فورد وآركل بأن المنخفض تم حفره بواسطة الرياح .

وقد عملت هيئة تعمير الصحارى على استصلاح بقية أراضى وادى النطرون وطرح بيعها للأهالى للانتفاع بها ، وأجريت الكثير من عمليات تحسين الصرف والرى وتشجيع زراعة الخضروات والأشجار المثمرة فى أرض المنخفض وبلغ عدد سكان وادى النطرون حسب تعداد عام ١٩٦٦ نحو ١٠,٤٨٠ نسمة

(ثالثاً) الصحراء الحقيقية

فيما عدا اقليم مريوط وأراضى الواحات يمكن أن نطلق تعبير «الصحراء الحقيقية القاحلة» على كل الأراضى الأخرى من الهضبة الغربية فى مصر . وتتميز هذه الأراضى بعظم جفافها وندرة سقوط الأمطار فوقها ، ومن ثم ندرة الغطاءات النباتية الطبيعية . وقد أدى الجفاف الشديد إلى عظم تفكك التكوينات الرملية السطحية وتعرضها للتجوية الطبيعية وتفتيتها إلى حبيبات صغيرة الحجم ، وخلق المسرح الملائم لفعل الرياح كعامل نقل وارساب وعلى ذلك فان أهم مظهر جيومورفولوجى فى هذه الصحراء هو تكوين الكثبان الرملية بل البحار الرملية العظمى . ولكن ليس معنى ذلك أن هذه الأراضى لا يوجد بها سوى الكثبان الرملية بل هناك مناطق مبعثرة منها مغطاة بالحصى وأخرى بالجلاميد الصخرية كما هو الحال فى منطقة جبل عوينات فى القسم الجنوبى الغربى من الصحراء الغربية لمصر .

وبخلاف الكثبان الساحلية العرضية الموازية لخط الساحل والتى يدخل فى تركيبها نسبة عالية من التكوينات الجيرية البويضية وقشور ومفتتات الأصداف البحرية ، تمتد سلاسل الكثبان الرملية فى الصحراء الحقيقية فى هذا الاقليم على شكل خطوط ارسابية عظيمة الامتداد وتتجه فى اتجاه عام من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى مع الاتجاه السائد للرياح فوق الصحراء الغربية لمصر .

ويلاحظ بأن سلاسل الكثبان الرملية بالقسم الشمالى من الصحراء الغربية شمال دائرة عرض ٢٩° شمالا محدودة الامتداد ، أما إلى الجنوب من ذلك فتمتد السلاسل التلالية الرملية على شكل بحار من الرمال تكاد تمتد فيما بين دائرة عرض ٢٩° و ٢٤° شمالا . وأكبر هذه البحار الرملية وأعظمها امتداداً غرد أبو المحاريق الذى يمتد من شمال شرق الواحة البحرية إلى جنوب منخفض الخارجة وبحر الرمال العظيم فى أقصى غرب الصحراء الغربية .

ويعتقد جون بول J. Ball أن الكثبان الرملية تتقدم بمعدل ١٠ متر

كل عام فى الصحراء الغربية . ومن ثم فان غرد أبو المحاريق استغرق تكوينه ٣٥ ألف سنة حيث أن طوله نحو ٣٥٠ كم . ويرجح بيدنل بأن مصادر رمال هذه الكثبان تعزى أساساً إلى التكوينات المخلخلة والمفككة المشتقة من منخفض القطارة فى الشمال وتنقل مع الرياح نحو الجنوب .

أما بحر الرمال العظيم فيمتد من جنوب واحة سيوة فى الشمال حتى هضبة الجلف الكبير فى الجنوب لمسافة يزيد طولها ٥٠٠ كم ، ويتراوح اتساعه من ١٠٠ — ١٥٠ كمٌ ، وتتألف رماله من الحبيبات الرملية للهضاب الميوسينية فى الصحراء الغربية ويبلغ ارتفاع تلاله الرملية نحو ٦٠ — ٨٠م فوق منسوب سطح الصحراء . وفيما عدا اقليم مريوط وأراضى الواحات تكاد تكون بقية أراضى الصحراء الغربية خالية من السكان تبعاً للجفاف الشديد وندرة المياه الجوفية وصعوبة الانتقال فوق الأراضى الرملية .

من هذا العرض يتضح ان الصحراء الغربية تمثل منطقة هامة من مناطق أرض مصر التى ينبغى أن تولى الدولة اهتماماً خاصة لتنميتها اقتصادياً وعمرانياً واجتماعياً . فعلى مصر النامية الاستفادة من هذه المساحة الهائلة وتلك الأراضى الشاسعة بامكانياتها الاقتصادية المتعددة والتى لا يعيش فيها سوى اعداد محدودة من سكان مصر . وترى الدولة كما جاء فى ورقة اكتوبر — ضرورة تنمية هذا الاقليم اقتصادياً لعدة أسباب من بينها :

١ — تخفيف تركز السكان فى مصر والمتجمعين أساساً فى وادى النيل والدلتا (حيث يتجمع هنا أكثر من ٩٩٪ من جملة عدد سكان مصر — ٣٧ مليون نسمة — فى نحو ٣٪ من جملة مساحة مصر) ولتنظيم هذا التركز البؤرى الشديد للسكان فى منطقة «القاهرة الكبرى» التى تضم أكثر من ٧ مليون نسمة فى الوقت الحاضر أى نحو ⅕ سكان مصر . وبتنفيذ مشروعات التنمية الاقتصادية والعمرانية ، يمكن أن تظهر خريطة سكانية جديدة للصحراء الغربية ، بحيث يتجمع فى اقليم مريوط والواحات المصرية من السكان اضعاف ما يتمثل فيها فى الوقت الحاضر .

٢ – تشجيع البعثات العلمية والبحث عن البترول والمعادن المتنوعة فى الصحراء الغربية وتحسين طرق استغلالها واستغلال كهرباء منخفض القطارة وتوفير المواد الأولية والقوى المحركة التى تحتاج اليها الصناعات الحديثة فى مصر المستقبل . ومن ثم ينبغى وضع الخطط الاقتصادية لتنمية هذا الاقليم بمثابة منطقة حيوية ديناميكية من مصر عام ٢٠٠٠ .

٣ – تشجيع عمليات توطين البدو فى اقليم مريوط ، وفى بعض الواحات المصرية ، والعمل على استصلاح الأراضى الزراعية القابلة للزراعة من هذا الاقليم ، وزيادة الانتاج الزراعى ومن ثم زيادة الدخل الزراعى العام فى مصر وتنوع الانتاج الزراعى خاصة وأن دول العالم تعانى حاليا من نقص كبير فى إنتاج الحبوب الغذائية .

٤ – تشجيع رؤوس الأموال المصرية والأجنبية واستثمارها فى عمليات استغلال بعض المراكز الساحلية من اقليم مريوط فى صناعة السياحة كمصايف عالمية يمكن بسهولة أن تجتذب اعداداً كبيرة من السياح من جميع أنحاء العالم وذلك لما يتمتع به هذا الاقليم من بيئة خلابة ، وجو صحو مشمس ، ورمال بيضاء، ومياه خليجية زرقاء صافية ، ونادراً ما تتمثل هذه الخصائص مجتمعة فى مكان واحد من العالم . ويمكن القول أنه بتحسين الخدمات اللازمة لصناعة السياحة فى اقليم مريوط ، فان الدخل من السياحة فى مصر عام ٢٠٠٠ يمكن أن ينافس الدخل الزراعى أو الصناعى ، وان تمثل نسبة عالية من جملة الدخل القومى للبلاد ، وأن تحتل مصر مركزاً رئيسياً بين الدول التى تشتغل بصناعة السياحة فى حوض البحر المتوسط مثل أسبانيا ويوغوسلافيا واليونان وتركيا ، ولبنان والمغرب .

المراجع العربية

١ ـ حسن أبو العينين (دكتور)

«كوكب الأرض» الاسكندرية ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٧٤

«أصول الجيومورفولوجيا»ـ الاسكندريةـ الطبعة الثانية ١٩٦٨

«دراسات فى جغرافية لبنان» بيروت ـ ١٩٦٧

«أشكال التكوينات الرملية فى منطقة رشيد وضواحيها» المجلة الجغرافية العربية ـ العدد السادس ـ السنة السادسة القاهرة ـ ١٩٧٣

«منطقة مرسى مطروح وما يجاورهاـ دراسة جيومورفولوجية» تحت الطبع . المجلة الجغرافية العربية

دولت صادق (دكتورة)

«واحة سيوه» : الجمعية الجغرافية المصريةـ الموسم الثقافى ـ عام ١٩٦٢

«الوادى الجديد ـ دراسة جغرافية لمنخفض الخارجة» الجمعية الجغرافية المصرية ـ الموسم الثقافى ـ عام ١٩٦٥

عبد اللطيف واكد

«الصحراء» الطبعة الثالثة ١٩٥٦

على شاهين (دكتور)

«ملاحظات على جيومورفولوجية المنطقة الشرقية من اقليم مريوط» مجلة كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية ـ المجلد التاسع عشر سنة ١٩٦٥ .

محمد صفى الدين وآخرون (الدكاترة)

«دراسات فى جغرافية مصر»

القاهرة ـ ١٩٥٧ .

منشورات وتقارير هيئات :

- المؤشرات الاحصائية للجمهورية العربية المتحدة – ١٩٥٢ – ١٩٦٥
الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء – يوليو ١٩٧٠ ؛

- كتاب الجيب السنوى للاحصاءات العامة ج . ع . م
الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء – يونيو ١٩٧٠

- مختارات الاحصاءات العامة ج . م . ع . ١٩٥١ / ١٩٥٢
إلى عام ١٩٦٩ – ١٩٧٠ .
الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء – ديسمبر ١٩٧٠

- مشروعات التنمية بالساحل الشمالى الغربى
الجهاز التنفيذى للمشروعات الصحراوية منطقة الساحل الشمالى
اعداد الفونس تاد ضروس يوسف – مايو ١٩٧٢

- تعداد السكان بالعينة عام ١٩٦٦ – ج . ع . م
النتائج التفصيلية – المجلد الأول (خصائص السكان)
مرجع رقم ٠١ – ٨١١ اكتوبر ١٩٦١

- تقديرات الدخل القومى من القطاع الزراعى عام ١٩٧١ – الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء .
مرجع رقم ٠٦ – ٤١٢ يوليو ١٩٧٣

- الأقسام والمساحات المنزرعة فى جمهورية مصر العربية عام ١٩٧٠
الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء .
مرجع رقم ٠٤ – ٤١٣ يونيو ١٩٧٣

المراجع الأجنبية

BIBLIOGRAPHY

1. Abou el-Enin, H.S. "Essays on the geomorphology of the Lebanon" It is composed of 7 essays (314 pages), (Beirut, 1973.)

2. Ball, J. "Problems of the Libyan Desert". Geog. Jour. (1927) 21 - 38.

3. Ball, J., "Contributions to the geography of Egypt." Cairo, (1929.)

4. Ball, J.and Beadnell,J.L., "Baharia Oasis,its topography and geology", Cairo, (1903.)

5. Beadnell H.J.L., "Farafra Oasis, its topography and geology". Cairo (1901).

6. Blanckenhorn, M., Die Strukturlinien Syriens und das Roten Meeres. Festschr. Ferd. Richthofen, Berlin, (1893), 115—180.

7. Butzer,K.W., "On the Pleistocene shorelines of the Arabs Gulf." Egypt. Jour. Geol. vol. 68. (1960). No. 6.

8. Caton Thompson, G. "The Kharga Oasis in prehistory", Univ. of London , Atholone Press (1952).

9. El-Shazly M.M. "Geology, Pedology and Hydrology of Marsa Matruh Area" Ph. D. Thesis. Fac. Sci. Cairo Univ. (1964).

10. Fourtau R., "La region de Maryut" Bull. Inst. Egypte III (1893) No. 4.

11. Hammad, M.A.,"The geology and water supply in Ras El-Hekma Area". M.Sc. Thesis, Fac. Sci. Cairo. (1966).

12. Hume, W.F. *and Hughs*, F. "The soils and water supply of the Maryut District" Cairo (1921).

13. **Hume, W.F.,** "Geology of Egypt", Vol. I Egypt. Survey. Dept. Cairo (1925).

14. **Hume, W.F., and Little, O.H.,** "Raised beaches and terraces of Egypt". Union Geograph. Intern. Paris (1928)., 9 — 15.

15. **Mc. Burney C.B. and Hey R.W.,** "Prehistory and Pleistocene geology in Cyrenaican Libya, Vol. IV. Cambridge Univ. Press. (1955).

16. **Said, R.** "The geology of Egypt", Elsevier Press (1962).

17. **Senussi, M. Y., and A. Shata,** "Geomorphological and morpho-pedological aspects of Umm. El-Rakham area". Bull. Desert. Institute, vol XIX No.1 (1969).

18. **Shata, A.,** "An introductory note on the geology of the northern portion of the western Desert of Egypt." Publ. Inst. Desert tom.V. No. 2. Le Caire (1955).

19. **Shata,A.,** "Remarks on the physiography of El-Ameriya-Maryute Area" Publ. Soc. Geog. d'Egypt tome 30 (1955).

20. **Shata, A.** "Geology and geomorphology of Wadi El-Kharruba Area". Publ. Inst. Desert. No. 10 (1957), Le Caire.

21. **Shukri, N.M., Philip, Said, R.,** "The geology of the mediterranean Coast between Rosetta and Bardia". Part II Pleistocene geomorphology and microfacis. Bull. Inst. Egypte vol (1955). 395 — 424.

22. **Sogreah, C.;** Land development of the western desert coastal zone, a reconnaissance survey". Inter. report. of the Desert. Institute, Cairo — Egypt. (1961).

23. **Weedon, A.L.P.** "Report on Mariout District" Cairo Sci. Jour. Vol. VI No. 73 (1912).

24. **Zeuner, F.E.** "The Pleistocene Period", London (1959).

25. **Zeuner, F. E.,** "Dating the Past", London (1962).

تم بمشيئة الله طبع هذه المجلة ،
فى مطبعة جامعة الاسكندرية ،
يوم الثلاثاء ١٢ من فبراير ١٩٧٥
مراقب المطبعة
محمد يوسف البساطى

BULLETIN
OF THE FACULTY OF ARTS

Vol. XXV

1971

All requests for copies of this Bulletin should be made to the Librarian of the Faculty of Arts, Alexandria University, Shatby, Alexandria, R. A. E. Communications regarding contributions should be addressed to the Editing Board of the Bulletin.

ALEXANDRIA UNIVERSITY PRESS
1975

CONTENTS

Page

Investifgation of Some Peri-Glacially Modified Surface Features Within The Moss Valley Northb-East Derbyshire
Hassan S. Abou-El-Enin, ... 1

Re-Examination of Some Gritstone Tors of The English Pennines
Hassan S. Abou-El--Enin, ... 27

Die Kolonialpolitik Bismarcks Und Marokko (1870—1890)
Dr. Hassan Sobhy 55

The Trade Activities in The Red Sea During The Roman Empire
Dr. Yousry El Gowhary 69

A Brief Note on Two Poems
Emily Dickinson and *E.E. Cummings Dr. Nadia Bishai* .. 81

Byron And Schumann : Possible Sources of Browning's Saul'
Dr. Nadia Bishai 85

Geographic Variations of Fertility Rates in Arab Contries
F. M. Abou Aianah 103

On Caesar's Politics (A Study in De Bello Civili)
Mostafa El-Abbadi 139

INVESTIGATION OF SOME PERI-GLACIALLY MODIFIED SURFACE FEATURES WITHIN THE MOSS VALLEY NORTH-EAST DERBYSHIRE

HASSAN S. ABOU-EL-ENIN, M.A., Ph. D.

The Moss stream, an eastward-flowing tributary of the River Rother, rises to the south of Norton at a height of 630 feet O.D.,and enters the Rother to the north of Eckington (Fig. 1). Its valley has an area of about 18 square miles, within wide flattish interfluves which still have gentle valley-ward gradients. The rocks within the Moss Valley are part of the Lower Coal Measure sequence, and are formed of alternating beds of relatively resistant sandstone (the Grenoside Sandstone and the Silkstone Rock) and less-resistant shales. They are influenced in the Moss Valley area by a series of folds, namely, the Norton-Whitwell and Troway Anticlines, and Povey Syncline (Fig. 2).

According to Raistrick (1933) and Edwards (1956) among others, the area under consideration was not covered by the ice sheet of the Last Glaciatin, but certain features,perhaps contemporaneous with this glacial episode, thought to result from periglaciation(1), can be recognised.

(1) The term periglacial was introduced by Lozinski(1909), to refer to areas adjacent to the border of ice sheets. Periglacialists (e. g. Matthes 1900, Leffingwell 1915, Eakin 1961 and Fitzpatrick 1958) considered the periglacial zone as the zone in which, during any particular glacial phase, the climate favoured permanently frozen subsoil (tjaele) as is found at the present day in Greenland, Alska, northern Asia and Arctica. Three processes have been broadly accepted as the chief morphogenetic processes operating under such conditions; intense frost action, nivation and wind erosion.

They may be separately indentified as structural, erosional, and depositional features, and are the subject of the present discussion.

(A) Structural Features

1. *Cracks and Joints* :

Examination of rock exposures within the Moss Valley revealed that the rocks are heavily jointed and that other cracks are well developed. The master joints are approximately vertical and occur along the whole depth of the sections, (Plate 1) being on average about 4 feet apart.

Though these joints are initially the product of diastrophic processes, and probably related to the Permian earth movements, field investigation gave the impression that some of these joints (particularly those near to the surface) have been opend and widened by processes of freezing and thawing. These same processes might be responsible for the development of the majority of the smaller vertical and horizontal cracks within the upper part of the rocks.

2. *Superficial valley-folds* :

These comprise a variety of superficial displacements of the strata occupying the floors of lower slopes of the valleys. They may have a simple anticlinal form (Plate 2) or occur as a series of discontinous elongated domes (Plate 3). Within the Moss Valley, they were observed at ten or more place (Fig. 3), along or near to the Moss itself, particularly at the village of Ford. The general dip of the rocks to the south east of Ford is between 6° and 10° to the north east, while the axis of the small superficial valley fold, which disturbed these rocks has a general

alignment perpendicular to the Moss. The beds are arched up with one limb dipping to the south east at 23° and the other to the north west at 20°. For about 100 yards to either side of this arch, no further signs of superficial disturbance could be found, the rocks resuming thior normal regional dip. Another minor fold was however recognised about 150 yards to the west of the previous example (Plate 3). Its width was of about 20 yards, and its height was about 25 feet, and the rocks consist of alternate massive and thick beds of sandstones and relatively thin beds of shales. The photograph indicates at right, the steep dip of the beds to the south west, at the left the obliquely standing beds in the bottom of the stream, and at the top, the apex of the fold.

In the Kettering District, Hollingworth and Taylor (1946, p. 25 — 26) described the superficial folds found there as a consequence of the differential unloading of the plastic Lias Clay due to normal subaerial denudation. They suggested that as the down-cutting of a stream proceeded, the excess load on either side of a valley would cause a flowage of clay towards the area of minimum load with consequent forcing up of the rocks in the valley bottom. Shotton, (1950, p. 111) has claimed that superficial valley folds were developed when the rocks were much softer than to-day, and he believes that the only time when a softening might have been possible was after a glaciation, when the deeply frozen ground had just thawed and melting of ice lenses along the bedding planes and joints of the shales would leave them in a very unstable state. He concluded that the movements of such folds might place at a time immediately following a glaciaton.

There are no glacial features within the Moss Valley, but the development of the folds described, might

well have taken place during alternating phases of freezing and thawing, or in other words during a peri-glacial phase. Since all the superficial valley folds recognised, are located along the valley floors of the Moss and its tributaries, it is reasonable to consider their development as during the later periglacial phases of the Last Glaciation.

(B) Erosional Features

1. *Coombe-like features* :

Certain escarpments in the Moss Valley are characterized by shallow amphitheatre-like embayments which varied between 30 and 50 yards in width, and between 50 and 80 yards in length, having a back slope of 8° to 11° and a front slope of 3° to 5°. The best examples are those developed in the Ridgeway and Robin Brook escarpments to the south east of Gleadless (Plate 4). Large amphitheatre-like embayments in the escarpment of the South Downs were called by Bull (1936, 1940, p. 63), "Coombe-features" and he claimed that they may have developed from snow-filled gullies under periglacial conditions. Small (1961, p. 71) has, however, noted that features of similar form might be the result of spring sapping.

Field investigation has indicated that there were no definite water eroded channels leading from these coombes of the Moss Valley. Therefore, neither Bull's, nor Small's suggestions are wholly valid in this locality. However, the slopes at the foot of these coombes are covered by angular and sub-angular rock-fragments, which are probably the result of frost shattering and down slope movment. Presumably the fragments have been cut out of the hollow, and it may be suggested that the development of coombe-features within the Moss Valley was probably due to snow-patch action or nivation. The snow-patches may have

accumulated on initially concave slopes, gradually giving rise to shallow circular and transverse hollows within the escarpment faces. Similar features have been recognised in Arctic regions by Matthes (1900), Lewis (1936 and 1939) and McCabe (1939).

2. *Dell-like valley heads* :

The streamless vales at the heads of some of the Moss tributaries are characterised by broad, shallow saucer-like forms termed "Dellen" by Penck (1953), a term which is rendered by "dell" in the English translation of Penck's "Morphological Analysis of Landform".

However, Dylik (1952, p. 15) suggested the term "corrasion trough or niche" while Cotton (1955, p. 1028 suggested the term "corrasion valley" for such features. Within the Moss Valley such dells are usually more than one third of a mile in length. Investigation of those to the north east of Bramley Hill Farm (Plate 5) and to the east of Marsh Lane (Plate 6), has revealed the following characteristics :—

i) a shallow and broad saucer-like form.

ii) an average width of more than one third of a mile.

iii) a back slope which varies between 3° and 6°.

iv) a gentler frontal slope that varies between 1°and 3° in gradient.

v) a location on relatively less-resistant rocks.

vi) evidence of sheet-wash and soil creep, with debris containing angular rock-fragments occuring particularly on the frontal slopes.

These characteristics give the impression that the dells in the Moss Valley like coombe-features may have been extended by snow melt. During freezing phases the dells would be occupied by snow-patches. During the thawing phases, melt water would descend very slowly underneath them and as a result, the dells would be gradually deepened, attaining a relatively steep back slope and tending to form small saucer-like hollows. With later down-slope movement of congeliturabte from the higher scarp face, the dells may have been smoothed and blanketted with solifluction deposits.

3. *Rounded knob-features* :

The term smooth rounded knob was used by Cotton (1955, p. 1016), to refer to smooth rounded topped hills, modified by peri-glacial conditions. Within the Moss Valley more than a dozen examples of smooth rounded knobs have been recognised, and some of them are indicated on Figure 3. The best examples are those to the west of Highlane (Plate 7). They occupy an area of about half a square mile on the interfluvial crest of the Shire and the Moss Brooks, and vary in altitude between 600 and 650 feet O.D.

Matthes (1900, pè 176) claimed that the rounded summits, crests and spurs of the Big Horn Mountains are product of periglacial modification. Similar features have been described from New Zealand, and Central Poland by Cotton (1955, p. 101 and Dylik (1952, p. 22), respectively. The latter considered them to be denuded vestiges of diverse, mostly irrecognizable glacigenetic forms, and to be of utmost interest, being illustrative of the destruction achieved almost entirely by congelifraction. In the area under consideration, the knobs appear to be

cuestas in a late stage, their subdued form being due to their long exposure to recent peri-glacial conditions, the slopes bieng down graded by congelifraction and congeliturbation.

(C) Depositional Features

The examination of weathered material is often of importance since it may throw light on particular processes and on the approximate time taken for its production. Within the Moss Valley a thickness of regolith(1) was observed to overlie most of the rock exposures. It is usually between 5 and 8 feet in thickness, and is composed of small angular to subangular fragments of sandstone in a sandy or clayey-sand matrix. The fragments vary in diameter from 2 to 6 inches, but often have sharp edges as if they had been shattered.

It is probable that most of these rock-fragments are the product of intense forst action under peri-glacial conditions. Their main source would be the higher sandstone escarpments which bound the Moss and most of its tributaries. Most of the fragments would be broken down to small pieces with the repeated freezing and thawing and attrition during transport. However, the most significant depositional features within the Moss Valley are "head and colluvium", landslips", and "hummocky grounds".

1. *Head and colluvium* :

The term "head" is broadly used by British writers to refer to soliflual deposits. In America the term

(1) The writer uses the term "regolith" to refer to the superfical blanket of debris, including therefore materials weathered in situ, head, and the soil or solum.

"solifluction" which interoduced by Anderson (1909), is extensively used to refer to the downslope movement of lubricated debris and fragments under periglacial condition. An excellent historical account of the mapping and description of head has been given by Dines et al (1940. p. 198 — 226). He defined "head" as superficial deposits of a structureless and rubbly character that can be classed either with true glacial deposits or with river deposits. They are specially noticeable beyond the southern limit of glaciation, but they also sometimes occur within the glacial regions. Consequently, the writer uses the term "head" for anamolous deposits of heterogeneous unsorted, nonstratified materials of local derivation, mainly found in nonglaciated areas. Such deposits were recognised in several places within the Moss Valley (Fig. 3).

Plate 8, shows an exposure of head to the west of Dolves Wood on a very steep slope (about 30°) at the edge of a sandstone quarry,. The head is mainly composed of large angular blocks, flakes and chips of both hard and soft sandstones. The angular blocks vary between 4 and 16 inches and in thickness between 1/2 and 1 inch. Cracks within the fragments and their sharp edges suggest their producion by frost-shattering. This rubble is unsorted and is set in a matrix of soft yellowish and light-brown silty sand.

The most interesting exposure of head within the Moss Valley was examined in 1962, in a trench to the south of Plumbley village. The deposit was of unsorted, non-stratified, angular rock fragments, mainly of sandstone in a matrix of weathered silty sand, and included two thin black zones of organic material (about 1 inch in thickness). It could be suggested that the black layers represent warmer phases alternating with periods of periglaciation,

that the Moss Valley was affected by at least two periglacial phases during the Last Glaciaion.

Since congelifraction and solifluction are very active underperiglacial conditions (Bryan 1934 and 1946), the Moss Valley surface was presumably somewhat reduced in height, though the amount of lowering is difficult to assess. A minimum estimate may be obtained from a modern example. At the foot of the escarpment to the east of Carterhall Farm (Plate 9) debris has accumulated behind stone walls, which are more than 500 yard long and about 10 feet high and were constructed about 200 years ago. The debris has been derived from a field of about half a square mile in an area on the escarpment. Present day plughing of the field leads to a fairly high rate of soil creep, and it would not seem unreasonable to assume that far more debris and regolith were removed from the slopes under periglacial conditions.

2. *Landslips and Hummocky Grounds* :

Within the Moss Valley landslips were observed on the western side of Hemsworth Brook, and on the southern side of the Moss (Fig. 3). In both of these localities the downslope movement of the landslips is with the dip. Three successive slip mounds and scars were recognised at the first locality, while in the second they seem to have been smoothed a little by later soil creep and sheet wash and to have been partially destroyed, or reduced in area, as a result of lateral erosion of the Moss stream.

Similar features have been described by Smith (1936 and 1949, p. 851) and Bass (1954, p. 15), both of whom considered them to be the product of periglacial condition. Nivation and solifluction might have been

important agents in the production of the small Moss Valley landslips. As a result of nivation the slopes were probably steepened in places with melting of snow and ice, when the rocks may have become saturated with water and the slopes rendered unstable, downslope movement may have resulted forming small landslips.

Areas of hummocky ground have been observed within the Moss Valley on slopes between 3° and 10°, where the surface is composed of small mounds of mainly fine sand and silt covered by grass. Some of these mounds are ellipsoidal, while others are more linear in form. Similar features have been described by sharp (1942, p. 298) in the Wolf Greek Valley, who considered them to be the product of differential freezing and thawing. In the Moss Valley several possible origins may be suggested :—

i) former coal mining;
ii) soil creep on steep incised valley sides;
iii) freezing and thawing processes under periglacial conditions.

Since the hummocks occur over relatively wide areas, usually more than five acres, it is difficult to consider their origin as being due to the effect of former mining. There seems no reason either why recent soil creep should give such locallized features. Thus, due to their location near to, and their association with the landslips (Fig. 3), it may be that the third suggestion is the most likely.

Modification of the surface configuration under periglacial conditions

Though geomorphology deals with the study of the surface of the earth, the study of the surface as a whole is often neglected, attention being paid mainly to specific

features. An attempt is made here, however,to show how far the surface as a whole has been modified under periglacial conditions. Three generalized units of the land surface of the Moss Valley may be recognized.

1. The highest unit, comprising the interfluvial slopes of the Moss Valley, is gently undulating. The average valley-ward slope is no more than 2°, and the accumulations of regolith in some localities, particularly down the dip slopes and at the foot of some of the cuestas, give the impression that the surface has been smoothed over by processes of solifluction and soil-creep. These carry several surface forms of late mature stage such as the smoothed rounded knobs and subdued cuestas.

2. The intermediate unit consists of the rather steeper slopes descending towards the bottom of the valleys. The slopes vary between 3° and 6°, and they have been less modified under periglacial conditions, being less smooth and consisting of alternating convex and concave breaks of slope. The coombe features, head, and dellen tend to be concentrated in this unit.

3. The lowest unit of the surface comprises steeper slopes adjacent to the valley bottom. They vary between 4° and 12°, and are the least modified by periglacial conditions. In some areas the sandstone escarpments form sharp convex-concave breaks -of-slope, but, certain periglacial features are restricted to this unit, namely landslips, hummocky grounds and superficial valley folds.

The surface of the Moss Valley therefore, has to some extent been reduced and smoothed by periglacial processes. Snow patches probably occupied surface concavities during the freezing phases, and most slopes were affected by solifluction, during the thawing phases. In other words, periglacial processes have contributed to

the detailed form of the Moss Valley, the major elements of which were already in existence, and periglaciation has meant a modification to existing forms rather than the production of wholly new features.

Summary

Periglacial conditions prevail under a very cold climate and involve alternating freezing and thawing phases. These particular conditions are believed to have occurred in the Moss Valley at times of maximum or near maximum glaciation. Three processes might be considered to be the chief geomorphogenetic processes operating under these conditions, namely, intense forst action, nivation and wind action.

Within the Moss Valley, three groups of features are thought to have been modified by or to have resulted from periglaciation. They are referred to as structural, erosional and depositional features, and all must be considered as fossil-forms since they are not the product of the present day climate.

Recognition of these specific surface forms has contributed to an assessment of the modification of the surface configuration of the Moss Valley under periglacial conditions. The surface, as a whole, may be thought to comprise three units having regard to the variation in surface form. The highest unit is extensively smoothed and flattish having average slope of about 2° and incorporates surface-forms of late mature stage. The intermediate unit is composed of a seris of slopes of between 3° and 6°. It also includes some periglacially modified features such as head, coombe-features and dellen. The lowest unit, of steeper slopes between 4° and 12°, near the valley bottom includes landslips, hummocky grounds and superficial-valley folds.

BIBLIOGRAPHY

Abou-el-Enin, H. S. "The geomorphology of the Moss Valley with some consideration of its wider regional significance."
Unpublished (M.A.) Thesis, University of Sheffield. (1962).

Anderson, J. G. "Solifluction, a component of subaerial denudation."
Journal of Geology, Vol. 14 (1906), 91 — 112.

Bass, M. A. "Study of the characteristic and origin of some major area s of landsliding in the Eastern Pennines and Isle of Wight."
Unpublished (M.A.) Thesis, University of Sheffield. (1954)

Bryan, K. "Geomorphic processes at high altitudes".
Geographical Review, vol. 24 (1934), 655—656.

Bryan, K. "Cryopedology, the study of frozen ground with intense frost-action with suggestion of nomenclature."
American Journal of Science, Vol. 244 (1946), 622—642.

Bull, A. J. "Studies in the geomorphology of the South Downs."
Proceedings of the Geologist's Association, Vol. 47 (1936), 99.

Bull, A. J. "Cold conditions and landforms in the south Downs."
Proceedings of the Geologist's Association, vol. 51 (1940). 63 — 70

Cotton, C. A. and TePunga, M.T. "Solifluction and periglacially modified landfrom at Wellington, New Zealand.".
Transactions of the Royal Society of New Zealand, vol. 82 (1955), 1001— 1031.

Dines H. G. et al. "The mapping of head deposits."
Geological Magazine, Vol. 77 (1940), 198—226.

Dylik, J. "The concept of the periglcial cycle in Middle Poland." Bulletin de la Societe des Sciences et des lettres de Lodz, class III, vol. 5 (1952), 1—29.

Eakin, H. M. "The Yokon — Koyukuk region — Alaska."
United States Geolgical Survey, Bull. 631 (1916). 67 — 82.

Edwards, W. "Sheffield and its region".
Handbook of the British Association for the Advancement of Scieee. (1956), 3—23.

Fitzpatrick, E. A. "Introduction to the priglacial geomorphology of Scotland."
Scottish Geographical Magazine, vol. 74 (1958), 28 — 36.

Hollingowrth, S. E. and Taylor, J. H. "An outline of the geology of the Kettering District." Proceedings of the Geologist's Association, vol. 57 (1946). 1— 30.

Leffingwell, E.K. "Ground ice wedges, the dominant form of ground ice in Northeré n Alaska.".
Journal of Geology, vol. 23 (1915), 633—654.

Lewis, W. V. "Nivation, river grading and shoreline develoment in south-east Iceland Geographical Journal vol. 88 (1936), 431-447.

Lewis, W. V. "Snow-patch erosion in Icland."
Geographical Journal, Vol. 94 (1939), 153—160.

Matthes, F. SR "Glacial scupture of the Big Horn Moutains, Wyoming" 21 st Annual Report, United states Geological Survey, Part II R(1899—1900),

McCabe, L. H. "Nivation and Corrie erosion in West Spitsbergen."
Geographical Journal vol. 94 (1939) 447—465.

Penck, W. "The morphological analysis of landforms."
Translated by Hella Czech and Katherine Boswell, London (1953).

Raistrick, A. "The Glacial and Post Glacial Periods in West Yorkshire."
Proceedings of the Geologist's Association, vol. xliv (1933), 263.

Sharpe. R. P. "Soil structure in the Sainr Elais Range-Yukon Territory."
Journal of Geomorphology, Vol. 4 (1942), 274 — 301.

Shotton, F. W. and Wilcockson, W. H. "Superfical valley folds in an open cast working of the Barnsley Coal.".
Proceedings of the Yorkshire Geological Society, vol 28 (1950), 102 — 111.

Small, R. J. "The morphology of the Chalk escarpment."
Transactions and Papers of the Institute of British Geographers, Vol. 29 (1961), 71 — 90.

Smith, H. T. U. "Periglacial landslide topography of Conjlon Divide — Rio Arriba Country — New Mexico."
Journal of Geology, Vol 44 (1936), 836 — 860.

Smith, H. T.U. "Physical effects of Pleistocene climatic changes in non-glaciated areas Geolgical Society of America, Bull. 60 (1949), 1472

Zeuner, F. E "The Pleistocene Period."
London, (1959).

Plate (1) : An exposure of Silkstone Rock on the eastern side of Sheffield Road to the south of Mosbrough.

Plate (2) : A superficial valley fold to the south east of Ford.

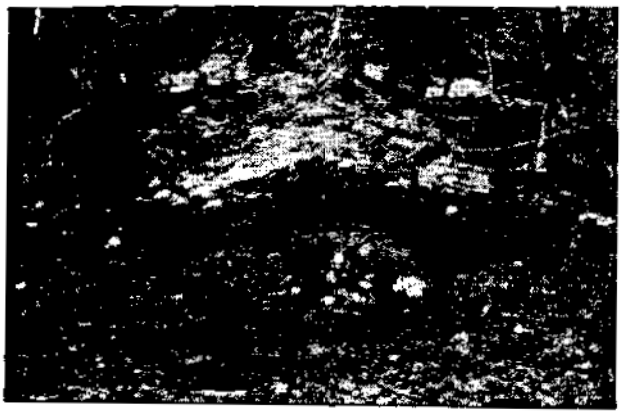

Plate (3) : A superficial valley fold to the south east of Ford.

Plate (4) : Coombe-features on the eastern valley side of Robin Brock — south east of Gleadless.

Plate (5) : Dell like valley head at Bramley Hill Farm.

Plate (6) : Dell like valley head to the east of Marsh Lane.

Plate (7) : Rounded knobs to the south west of Highland.

Plate (8) : Head deposits to the east of Doves Wood.

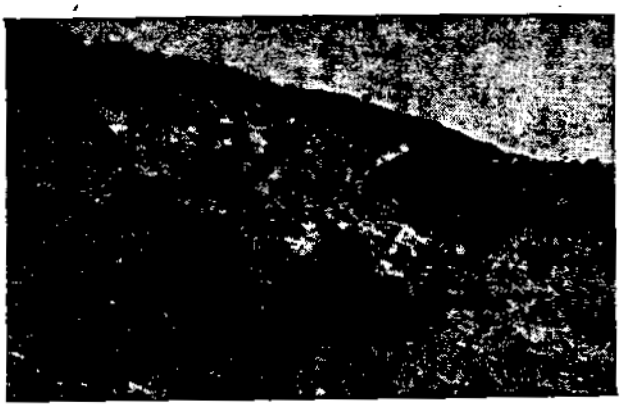

Plate (9) : Colluvial deposits to the east of Carter Hall Farm.

RE-EXAMINATION OF SOME GRITSTONE TORS OF THE ENGLISH PENNINES

By

HASSAN S. ABOU-EL-ENIN, M.A., Ph. D.

The term "tor" is generally used to refer to an isolated mass of weathered rock, left prominent upon the sides of summit of a large rounded hill or on flattish watersheds. Linton, D. L. (1955 p. 476) has used the term scientifically, but defines it genetically on the basis of his understanding of genesis.

> "A tor is a residual mass of bedrock produced below the surface level by a phase of profound rock rotting effected by groundwater and guided by joint systems, followed by a phase of mechanical action".

Many outhors have rejected Linton's genetic definition of tors (e.g. S.E. Hollingworth and W.V. Lewis, in the discussion of Linton's paper, 1955). Palmer and Neilson (1962 p. 317) have however given a different genetic definition.

> "A tor is a residual upward projecting fragment of naked bedrok, the result of differential weathering and mass movement".

This later definition resemebles that propsed by Pullan (1959).

Since neither the origin nor the age of the tors are well understood, it is perhaps more reasonable to use the

term only to refer to the shape and form of such features on the ground. The writer, therefore, considers that,

> "A tor is rock eminence standing isolated or as one of a group either in a summit position on a valley side".

This definition differs with that suggested by Ford (1963 p. 149), since he considered the castellated escarpments of 200 feet or more in height and up to half a mile in length to be true tors. Before reviewing hypotheses concerning the origin and age of tors, it is convenient to examine the shape, form and general morphological characteristics of such features in an area of about 200 square miles on the south eastern flank of the Pennines. The area is drained by the Sheaf, Upper and Middle Don streams, and lies in the County of Yorkshire-England.

The rocks in the area under consideration are mainly members of two major groups of the upper Carboniferous system, the Millstone Grit Series, and the Coal Measures. The former emerge from beneath the latter along the eastern flank of the Pennines, and comprise beds of gritstones, sandstones, shales and mudstones that total about 2000 feet in thickness. The Lower Coal Measures are formed of alternating beds of resistant sandstones and less-resistant shales, intercalated with frequent coal-bands and having an average thickness of about 1600 feet. The Lower Coal Measures represent a part of the total Coal Measures sequence outcropping on the eastern flanks of the Pennines and occupy a west central position in relation to the Yorkshire, Derbyshire and Nottinghamshire Coalfield. Though exposed in the area under consideration, further east their eastern margin is concealed beneath the Mesozoic formation.

Morphological characteristics of tors in the area under consideration

Field examination of tors has revealed that they are mainly confined to the gently-dipping outcrops of the Millstone Grits. An analysis of 66 major tors and tor groups indicates that the Kinderscout Grit yields 61 per cent of the tors, while the Middle Grit and Rough Rock groups contain 35 per cent and 4 per cent respectively. No tors have been identified on Coal-Measures Rocks, even though the sandstones of the Coal-Measures and the the gritstones of the Millstone Grits are both current-bedded, variabl in texture, generally resistant or very resistant to erosion and have similar mineralogical compositions. Measurement of joint directions in these types of rocks, indicates the occurrenc of two main groups of joints intersecting at an angle about 110°to 130°.

Since the Kinderscout and Rivelin Grits yield about 96 per cent of the tors in the area, it may be concluded that the nature of the jointing, the texture of the rock, and the altitudinal range at which the rocks are exposed are among the chief factors influencing the development of tors. On these rocks the joints are found to be more open, reaching in places about 10 feet across and penetrating very deeply. Furthermore, both the kinderscout and Rivelin Grit are more thickly bedded, coarser in texture, conglomeratic and generally felspathic in nature compared with the relatively thinly bedded medium grained sandstones of the Lower Coal Measures.

Tors vary in shape, and joints are the main structural factors controlling their shape. Where the joints are very closly spaced and comprise deep vertical fissures,

tower-like tors such as, Head Stone, and Howshaw Tor, are produced (*Plates* 1 *and* 2). In lamellar structure (i.e. where the pseudobedding is closely spaced, and the vertical jointing is not well developed), tors may become more tabular in shape. Where the lamellar structure is steeply inclined and vertical joints are developed in one major direction, then rounding is considerable on different sides and large dome-shaped tors usually result. Such an example accurs about 100 yards to the west of Head Stone on the southern valley side of River Rivelin.

Tors are also confined by altitudinal range in the area under consideration. They are never found below 900 feet O. D. though beds of both Rivelin Grit and Rough Rock occur below that height. For instance, tors-formed of Kinderscout Grit are seen at heights above 1200 feet O.D., while tors of Middle Grit and Rough Rock Groups are at heights not below 900 feet O.D. It is considered that the areas below 900 feet O.D. were probably less exposed to very cold humid climate of the Pleistocene Periglacial and Postglacial conditions.

Field examination has also indicated that at least 80 per cent of the tors examined stand on the primary watershed of the Derwent-Don basins. (Fig. 1). Valley side tors are less developed, none occuring within the Kinderscout Grit, but in the Middle Grit and Rough Rock outcrops, valleyside tors represent a half of the total in the former and all those in the latter. (Fig 2). Furthermore, no summit tors(1) in any kinds of rocks are

(1) Isolated summit tors are considered to be extensively periglaciated, while valley side tors are perhaps less modified by such conditions since most of them stand in groups and are commonly still attched to free-faces.

found below 100 feet O.D., while 90 per cent of the tors stand at an average height of 900 feet O.D., were valley side tors. Derwent Edge, which stands more than 700 feet above the level of the Ladybower Reservoir, in a distance of less than one mile, carries the best developed, and about a half of the total tors examined. The edge is formed of resistant bands of kinderscout Grit, resting on shales, dipping very gently at 2° to 5° towards the east and north-east. Along the axis of the Rivelin Anticline, Ladybower Brook is deeply incised, separating Derwent and Bamford Edges.

Figure 3, shows the relationship of eight groups of tors on Derwent Edge to surface configuration, drainage and underlying geology. All but the "Cakes of Bread" tors (Plate 3) are situated on the fringe of the Derwent Edge which is not dissected by streams or vales (Plates 4 and 5). Cakes of Bread tors are, however, situated on a spur like-feature bounded on the north and south by the upper tributary streams of Strine Dike. The following is a description of selected groups of tors in the area under consideration :—

1) *The White Tor Group* :

The base of this group of tors generally stands at a height of 1530 feet O.D. overlooking the deep valley of the Derwent. However, they stand at least 15 yards back from the break-of-slope marking the eastern valley side of the Derwent, on the summit surface (Plate 6). They are mainly cubic tors varying in height from 15 to 35 feet, the whole group having a relative extent of about 48 yards. The group is influenced by a series of joints of which two major sets intersecting at an angle of 120°are predominant. The vertical joints occur along the whole height

of the tors and vary in width from a few inches to open joints of more than 6 feet and they are about 6 to 10 feet apart. (Fig. 4) The tor-forming rocks are strongly current bedded which controls the differential erosion (Plate 7). In view of surface morphology, the height of the tors, and the rocks exposed immediately below on the valley side, the tors in this locality have been fashioned from a gently-dipping thick bed of gritstone.

2) *The Dovestone Tor Group* :

About 150 yards to the north of the White Tor, the largest group of tors, namely Dovestone Tor, occupies the western margin of the summit surface and stands abruptly on its fringe, overlooking the deep and steep eastern valleyside of the Derwent. (Plate 8). The western part of this tor group stands at a height of 50 feet above the surrounding ground, but the constituent blocks lower towards the east and pass beneath the surface at their extreme eastern margin. The tors here have similar geological characteristics to those of White Tor, and are also influenced by two major sets of open joints intersecting at about 115°. Immediately, below the tors, several blocks have fallen onto the steep valley sides.

3) *The Hurkling Stone Tors, Back Tors, Howshaw Tors and Low Tors* :

These occupy the southern and northern margins of Derwent Edge, and are grouped together, because they are of similar shape and form,and stand in analogous locations. (Fig. 3). The lowest of this group "The Hurkling Stones" stands at a height of 1400 feet O.D., while the highest „Back Tors" are at a height of 1725 feet O.D. However, they stand between 10 to 30 feet above the surrounding ground but are lower and smaller

in extent than those of the white and Dovestone tors described above. Their smaller extent may be partly related to the variation in thickness of the grit bands and /or to the amount and degree of weathering and erosion.

In the field the tops of tors show evidence of differential weathering as a result of the variable lithological characteristics of the rocks. On the top of both the Back Tors (Plate 5) and Howshaw Tors groups (Plate 2) good examples of differentially weathered tower-like tors occur. Below each of the group of tors, structural benches have also been observed as a result of the alternating resistant gritstones and less-resistant shales (Plate 9) Thin sandstone bands forming the front edges of the benches usually support the development of small low tors, or act as constant sources of debris to the valley bottom by creeping blocks and solifluction deposits (Abou el Enin, 1964).

The rocks giving rise to these tor groups, have similar characteristics of lithology and structure as those of white and Dovestone Tors, mentioned above. The majority of the tors are extensively weathered and during heavy rainfalls water runs in furrows down the tors, and stand behind an "apron" of detritus from them. Sheltering animals probably influenced the apron's shape (Palmer, 1961). Such examples have been recoginsed at Back Tors and Low Tors (Plate 10).

4) *The Wheel Stone Tors* :

This group of tors varies in shape from the groups discussed above. They do not stand on the surrounding surfaces as tower-like features but are actually composed of a large heap of unsorted

blocks, that stand a few feet (i.e. about 15 feet) above the ground. Some of these blocks appear to be in situ and partially rooted in the ground, while others show evidence of downslope movement that has become arrested. Field examination of these blocks indicates that they are frost shattered, having sharp and steep edges, and are comprised of conglomeratic gritstones. It also appears that the rocks in this location are more heavily joined and cracked than those in the White or Dovestone Tors. (Plate II, and Fig. 4).

5) *The Cakes of Bread Tors* :

This group of tors is not situated on the fringe of the Derwent Edge, but is found on a spur-like feature bounded by valleys. The tors in this locality are composed of five individual tower-like tors, which are about 4 to 10 yards apart. They vary in height from 7 to 20 feet above the surrounding flattish surface and all are strongly current bedded and modified by recent weathering. Differential erosion indicates vertical and lithological changes in the rock bands of the tors.

Similar examples of tors are found at Ox Stones, half a mile to the south-west of Ringinglow (Plate 12) and at Head Stone, about one mile to the west of Rivelin Dams. In these localities good examples of current bedded, frost shattered and extensively weathered tower-like tors, are well developed on spurs bounded by shallow valleys.

Origin And Relative Age Of The Tors

A) *Previous Explanations.*

As mentioned in the preceding account, the term "tors" was introducd by Linton in 1955. However, similar

features, named as "Pillar rocks", were noted by the 19th Century geologists who attributed their origin either to the work of marine planation or to subaerial erosion.

Mackintosh (1865) considered the pillar rocks to be sea-stacks, and could only satisfactorily explain their shape by marine denudation. Another group of geologists considered tors to be the result of atmospheric denudation. De-la-Beche (1853), noted that tors resulted from differential weathering, and Geikie (1882) accepted such views. Wynne (1867) differentiated hetween "true tors" developed inland, and "sea stacks" occuring on the sea-coast. Later Miss Dale (1900) examined tors in the Millstone Grit rocks of Derbyshire — Yorkshire, and she noted that they are produced hy wind abrasion.

A periglacial origin for the tors, was first advanced by Albers (1930), who claimed that the Dartmoor tors were completely like the "ruins" of Spitzbergen, described by Hogbom (1914) and were similarly due to the splitting action of frost and to movement occasioned by solifluction.

However, the present views regarding the origin and age of tors in the British Isles are mainly those of Linton (1952, 1955 and 1964) and Palmer (1956, 1961 and 1962). Linton, has concluded that tors, corestones, and possibly other residual rock-forms are the result of a two-stage process, the earlier stage, being a period of extensive sub-surface rock rotting whose pattern is controlled by structural considerations, and the later stage being a period of exhumation by removal of the fine-grained products of rock decay. He has also claimed that,

> "The deep rotting responsible for tors must be of interglacial ... but the possibility is not

> excluded that the period of rock rotting was in fact much earlier, possibly Late-Tertiary. This possibility that the weathering implied by the upland tors in late-Tertiary is attractive because of the known warmth of our Pliocene climate".

Linton has also suggested that what he termed "the basal platforms", represents the position of the water table during the period of rock decompositon, but King (1958) has pointed out that the platforms are however, too smooth and regular, and contrast too abrupty with the tors, to be related to such a fluctuating datum. King (1958) has also noted that the "sky line tors " or summit tors" can be observed forming under surface drainage and mass movement without deep weathering. However, Linton in 1964 has rejectd any other possible origin for tors and noted that,

> "...the hypothesis I put forward in 1955 for the British tors, may be regarded as being also the best available for the upland tors of the grit-stone Pennines.

Though Linton has recorded deep weathering in several parts in the British Isles, no proof has been offered of their Tertiary origin. Furthermore, in the area under consideration, no "deep rotting", of Tertiary age has been recognised underneath the solifluction deposits. Ford (1963 p. 153) has also concluded that the dolomite tors of Derbyshire can-not entirely be considered parts of a senile landscape of Tertiary origin.

On the other hand, Palmer (1961) has also suggeted two stages in tor formation. First, the chiseling of

the tors out of hard rock. Secondly, the subsequent modification of the tor by subaerial denudation into the present form. He has, therefore, claimed that the Pennine tors are not corestones, but are apparently a transient feature produced in the "Periglacial period".

B) *Views Of The Present Writer*

In the preceding account it has been shown that all the tors stand on bedrock and are heavily jointed. The open joints exhibited in every free-face are smooth and frost shattered. The vertical joints are more important than horizontal weakness for most spilting has been vertical. The joints have been enlarged and are wider at the top of the rocks, and the vertical joints probably extend into the ground. Where solifluction and peat deposits have been removed, joints near to the surface are found to be unweathered, fresh, and only narrow fractures.

The tors are believed to be one of the chief sources of rock creep and solifluction deposits of large blocks (type 2 solifluction deposits ... see Abou el-Enin, 1964, 1966). The majority of tors are surrounded by large frost shattered blocks resting on a thin mat of peat. Furthermore, chemical weathering is not really significant in the production of tors, though it is one of the probable factors forming furrows (Fig. 4) and pot-holes on the tor's blocks. The tors are still being modified under the present conditions. Recent weathering, strong wind action, and heavy rainfall, all cause slight modification on the tors and facilitate the rock-fall downslope.

It is believed that tors were produced under different climatic conditions to these of today. The climate would seem to have been very cold, wet and characterized by successive freeze-thaw actions. Such conditions occu-

rred under the peri-glacial conditions of the Last Glaciation. It is therefore, considered that the tors are fossil features related to such conditions. According to the altitude, thickness and lithological characteristics of the gritstones in the area under consideration, it is thought that the free-faces of the gritstone bands have been subjected to more intense periglaciation than those of the comparatively narrow bands of sandstones exposed on lower ground. As a result of the successive freezing and thawing action on the scarp faces formed in gritstones, joints have been opened and widened and blocks have subsequently been split. Great amounts of rock fragments fell down the free-faces and moved down slope, causing the lowering and rapid retreat of the scarps.

During the cold wet phases of the Post-glacial period, congelifraction in the free-faces continued their development and tors were subsequently lowered in height, reduced in size and isolated. Where the tors were developed in extensively jointed rocks, frost action completely destroyed them, giving rise instead to residual masses of large blocks or to boulder fields.

It is therefore belived that the tors in the area, are fossil features, having developed in periglacial times and having survived Postglacial conditions. Many other tors probably once existed, but have been completely destroyed, their products forming solifluction deposits and boulder fields.

The amount of lowering of the surface under periglacial conditions is very difficult to assess. Thought it is taken for granted that free-faces and surface convexities are exposed to erosion and the lower slopes and

surface concavities to depostion, the deposited materials on the lower slopes have been eroded by streams or partially removed by subsequent erosional processes.

With regard to the height (i.e. above the surrounding ground) of free-faces and tors, and the location of the valley side tors to the associated free-faces, it is fair to assume that at least 40 feet of the upper part of the rocks have been subjected to erosion and weathering under periglacial and Postglacial conditions. Consequently, the whole surface configuration has generally been reduced by at least 15 feet and the scarps have retreated towards the dip slopes, probably by as much as 20 to 30 yards.

Since the majority of tors in the Sheaf, Upper and Middle Don Basins are developed on gently inclined structures, one can illustrate the probable stages in the evolution of tors on such structures (Fig. 5) Free-faces are considered to be exposed to frost action under periglacial conditions. Though active ground on the top of "permafrost" is broadly considered to be of about 10 feet in thickness under such conditions, frost action might, in places, reach greater depths (i.e. up to 35 feet) as a result of uneven thawing. Joints would facilitate the work of frost action and congelifraction. Successive frost action, solifluction, mass movements, differential weathering and erosion may then have produced the tors from the frost shattered heavily jointed free-faces. Destruction of the original free-face was such that they now appear as isolated blocks on the top of the present free-faces higher than the surrounding ground (Figure 5c). By the end of Pleistocene periglacial conditions, tors had become reduced in height and extent and the surrounding slopes were completely covered with frost shattered blocks which had fallen from the tors and free-faces and moved

downslope (Fig 5 D). A later stage may be the destruction of the heavily jointed parts of the tors and the removal of rock-fragments downslope (Fig. 5 E) However, the cold wet climatic conditions of Postglacial time might also have caused the complete destruction of some tors, giving rise to residual blocks or boulder fields accumulated in places on a thick blanket or on a thick sheet of solifluction deposits of very small angular sand- stone fragments. (Fig. 5 F.).

It is therefore, believed that the uplands in the area (i.e above 900 feet O.D.) have been more extensively periglaciated than the lowland (Fig. 1). Comparatively thickly jointed grits were extensively frost shattered and subjected to the successive work of congelifraction and congeliturbation leadig to the splitting of the free-faces and the shaping of isolated tors. Some of the latter have been destroyed or modified in shape during Postglacial time. In other words, Pleistocene periglacial conditions gave rise to the construction and developement of tors, while the modification of tors under Postglacial climatic conditions, caused their mature and subdued form (i.e. large heap of blocks on surface slopes). The tors are not developed within the Coal-Measure sandstones in the lowland, and this may be related to some of the following points :—

a) The relative thinness of the Coal Measure sandstones.

b) The finer texture and closer jointing of these sandstones.

c) The lower altitude at which the resistant rock stand.

d) The shorter length of time to which the sandstones were exposed to periglaciation.

e) The lower intensity of periglaciation.

On the other hand, tors have survived in different forms on the gritstone country because of one or more of the followings :

a) The cessation of the processes of periglaciation before their complete destruction.

b) The present isolated tors might be less extensively jointed than the surrounding split blocks.

c) The relative thickness and lithological characteristics of individual band of rocks forming tors.

d) The short priod of the Postglacial, with its moderate climatic conditons, has been unable to destory all tors completely.

Therefore, the results of the present investigation support Palmer's view on the origin and age of tors.

BIBLIOGRAPHY

Abou-el-Enin, H. S., "An examination of the evolution of surface forms with a particular reference to the Quaternary Era". Ph. D. Thesis, Univ. Sheffield (1964).

Abou El-Enin, H. S., "Glacial and associated features in southwest Yorkshire" Bull. Fac. Arts. Alex. Univ. (1966), 17 — 33.

Dale, E., "The scenery and geology of the Peak of Derbyshire", London(1900).

De-La-Beche, "The geological observer" Vol. 2 (1853) London.

Ford, T.D., "The dolomite tors of Derbyshire", E.M.G., vol.2., No.19(1963), 148—154.

Geikie, J. "Text book of geology" London (1882).

King, L.C., "Correspondence on the problem of tors". Geog. Jour., Vol.124. (1958), 289 — 291.

Linton, D.L., "Significance of tors in glaciated lands", The 17th Inter. Geog. Cong. Washington (1952).

Linton, D. L., "The problem of tors" Geog. Jour., Vol. 121 (1955), 470 — 481.

Linton, D. L "The origin of the Pennine tors — an essay in analysis", Ann. Geom. Band 8 (1964), 5 — 24.

Mackintosh, D. E., "A'tourist's notes on the surface geology of the Lake District", Geol. Mag. Vol. 2 (1865), 299 — 306.

Palmer J., "Tor formation at the Bridestones in north-east Yokshire..." Instit. Brit Geog., vol. 22 (1956), 55 — 71.

Palmer, J. Gritstone tors of the English Pennines" Ann. Geom., Vol 5(1961)37—52.

Palmer, J., *and Neilson,* **R.A.,** "The origin of granite tors on Dartmoor Devonshire P.Y. Geol. Soc., Vol. 33 (1962), 315 — 339.

Pullan, R.A., The geomorphology of Mid-Whrafedale with special reference to periglaciation", Unpublished M. Sc. Thesis, Univ. of Birmingham, (1954).

Wynne, A. B., "On denudation..." Geol. Mag. Vol. IV. (1867), 3 — 10.

(1) A tower-like tor at Head Stone on the southern valley side of Rivelin.

Note : a) Rock falls off the tor block,

b) Development of furrows on the upper part of the tor, cutting across the bedding plane

(2) A tower-like tor at Howshaw tor, on Derwent Moor.

(3) Cakes of Bread Tors, situated on a spur-like feature on Derwent Moor.

(4) General view of white and Dovestone Tors, situated on the fringe of Derwent Moor and overlooking the deeply, incised valley of the Derwent.

(5) A differentially weathered tower-like tor, at Back Tor, situated on the fringe of Derwent Edge.

(6) The White Tors, stand at a height of about 1530 feet O D., on Derwent Moor.

(7) A side view of the white tors, indicating the current bedding of the rocks and their modification by differential weathering..

(8) Dovestone tor, situated on the fringe of Derwent Moor.

Note: a) Differential weathering and erosion of the tors.
b) The characterisics of the interfluve's and valley side's slope profiles.

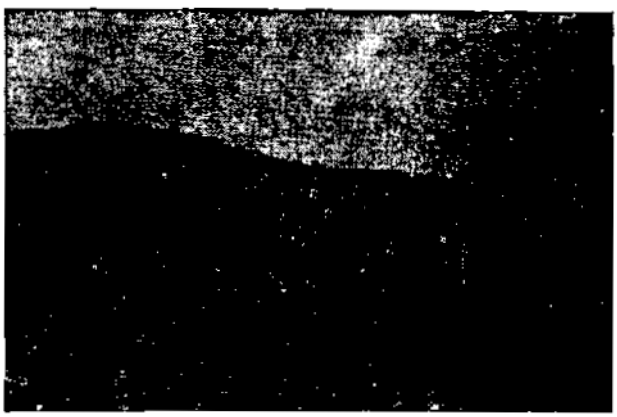

(9) Tor like features on Derwent Moor, occupying the convexities of the structural rock benches.

(10) A tor-like feature, near to Back Tor on Derwent Moor, exhibiting furrows and pot holes.

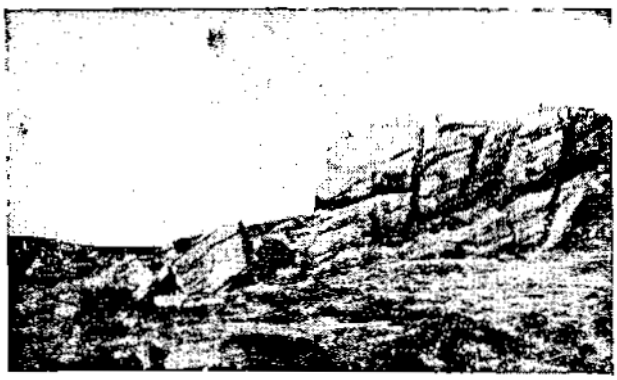

(11) Wheel Stone Tors on Derwent Moor.

(12) Ox Stone Tors, situated on a spur at 400 yards to the south of Ringinglow.

Note : a) The current bedding of the rock.
b) The occurrence of a pot-hole on the top of the tor.

DIE KOLONIALPOLITIK BISMARCKS UND MAROKKO (1870—1890)

Von

Dr. HASSAN SOBHY

Obwohl Bismarck zuerst nicht zu den Vertretern einer Politik der Ausbreitung oder Kolonisation gehörte, traten später Ereignisse ein, die ihn zu einer Anderung seiner Absichten veranlassten. Das deutsche Volk richtete sich nicht nach Bismarcks früheren Ansichten. Es fanden Auswanderungen statt, und es wurde deutsches Kapital im Ausland angelegt. Händler von Bremen und Hamburg finden sich an den Küsten Afrikas und des pazifischen Ozeans. Die deutschen Missionare verbreiteten sich in der ganzen Welt. Der deutsche Nationalismus befestigte und steigerte sich nach dem berühmten Sieg von Sadova und Sedan und nach der deutschen Uberlegenheit in der Konferenz von Berlin im Jahre 1878. Das ermutigte die Deutschen zur Auswanderung und Kolonisation. Dazu fühlte Bismarck sich über die Stellung seines Landes in Europa beruhigt, nachdem es seine Verhältnisse mit der österreichisch-Ungarischen Monarchie im Jahre 1879 vollständig, und mit Russland im Frühling des Jahres 1881 und dann im Jahre 1884 und mit Italien im Frühling 1882 befestigt hatte. Es war damals klar, das es keine Möglichkeit gab, die Fanatiker, welche für die koloniale Ausbreitung sprachen, zum Schweigen zu bringen. Insbesonders entwickelte sich der sich der deutsche Kolonialverein im Jahre 1884, und die Kolonial-Zeitung wurde gegründet. Bismarck stand den vollendeten Tatsachen und einer neuen wirtscha-

ftlichen Lage seines Landes nach dem Jahre 1884 genenüber. Der deutsche Handel entwickelte sich in übersee und die wirtschaftlichen Interessen breiteten sich stark aus. Auch vermehrte sich die Abhängigkeit Deutschlands vom Import der Rohstoffe aus dem Ausland und vom ausländischen Markt für den Export seiner Industrie. Deutschland fühlte den Ansturm und die Kraft der neuen Industrie lange Zeit, nachdem England und auch Frankreich es empfunden hatten. Die deutschen Städte, wie Hamburg, Bremen, Köln und Frankfurt, zahlen nun zu den wichtigsten wirtschaftlichen Zentren der Welt und die Handelskammern der deutschen Städte stehen einer Kolonialpolitik bei ,die für ihren Handel nützlich ist.

Das bewegte Deutschland einer neuen Kolonialpolitik zu folgen und bestimmte Bismarck, seine Haltung gene den Imperialismus abzuändern. Der deutsche Reichskanzler fand, dass Kolonisation sehr wiching für Deutschland geworden war. So ist jetzt Bismarck bereit, die Kolonisationsfrage zum Verhandlungsgegenstand für sein Verhältnis zu den europäischen Mächten, besonders den Kolonialmächten, zu machen, Deswegen bestand Bismarck darauf, den Staatsschutz auf einige deutsche Unternehmungen in Afrika auszudehnen. Er verteidigt kräftig die Handelsinteressen seines Landes in Westafrika, besonders nachdem das Gladstone-Kabinett, das im Anfang des Jahres 1884 regierte, die deutschen Kolonisten in Westafrika und auf den Inseln von "Fiji" und "Samoa" behindert hatte, und nachdem die englische Presse die deutsche Kolonialpolitik energisch anzugreifen begann. Die Engländer fürchten, dass Deutschland ernstlich an Kolonisation denken könnte und sind wegen der Fortschritte, welche die deutschen Händler und Missionare

gemacht haben, in Sorge. Jetzt betrachten sie die Deutschen als gefährliche Konkurrenten. Die englische Haltung erregte den Zorn der deutschen Imperialisten und die deutsche öffentliche Meinung wurde beunruhigt. Die deutsche Presse griff die Politik Englands und die englische Presse an. Bismarck geriet in grosse Erregung und versorgte persönlich die deutsche Presse mit starken Artikeln gen England. Er benützte die Agyptische Frage als Drohung gegen England.1)

Trotzdem leugnete Deutschland bisher seinen Wunsch oder seine Absicht, neue Gebiete zu erwerben. Im Mai 1884 sagt Bismarck zu dem französischen Botschafter in Berlin, dass Deutschland nicht den Wunsch habe, Kolonien zu gründen, aber seine kommerziellen Unternehmungen dürften ihre Vorrechte nicht verlieren.2) In der Tat aber traf das nicht zu. Deutschland begehrt jetzt einige Gebiete in Afrika, um sie dauernd zu besetzen. Es erklärt sein Einverständnis zu einer gemeinsamen Regelung, welche die Regierungen in bezug auf die Gebiete in der Welt treffen sollen, die noch nicht von einem gesetzlichen Staat erobert wurden. Und so entsteht der Gedanke, die Berliner Konferenz im Jahre 1884 abzuhalten, um Afrika Zu teilen. Deutschland brachte wegen seiner neuen Kolonialpolitik diese Idee auf. An dieser Konferenz nahmen alle europäischen Staaten, ausser der Schweiz, und ausser den vereinigten Staaten teil. Sie alle versammelten sich, um ihre Spannungen friedlich zu lösen und die "Einflusszonen" unter sich zu teilen. Die Konferenz endet mit der Aufteilung Afrikas zwischen den Staaten. Afrika hatte danach keine unabhängigen

1) Safwat, Moh. : Die Englische Besetzung Aegyptens, (arabisch)Kairo 1952. P. 141/142.

2) Doc. Dip. Fr., 1êre S., T. 5, no.270 — De Courcel an Ferry, 14. Mai 1884.

Staaten auBer Ethiopien und Marokko. Ersteres wurde von Italien begehrt, und auf das zweite hatte Frankreich sein Augenmerk gerichtet, seit es sich in Algier festgesetzt hatte. Und in weniger als zwei Jahren wurde Deutschland zur drittstärkstön Kolonialmacht in Afrika.

Mit dem Eintritt Deutschlands in das Feld der Kolonisation nahm Deutschland an der Weltpolitik teil. Die europäische Geschichte ist nun nicht mehr nur rein europäische Geschichte für Deutschland. Es betrachtete nicht mehr den europäischen Kontinent als das einzige Gebiet für seine politische Tätigkeit. Diese Änderung in der deutschen Politik war eine Folge der Entwicklung, die Deutschland von seiner früheren Politik entfernte.1) Und deswegen sagt der deutsche Kaiser, dass die Deutschen für die Welt wie das Salz für die Suppe seien2).

Ungeachtet Deutschlands neuer Kolonialp Politik fuhr es während und nach der Berliner Konferenz fort, den französischen Plänen ausserhalb Europas beizustehen. Die neue Deutsche Politik anderte nicht Bismarcks Politik gegen Frankreich. Im Jahre 1884 findet Frankreich Beistand bei der deutschen Regierung. Bismarck wollte eine deutsch-französische Einigung in bezug auf die Kolonialfragen und die ägyptische Frage erreichen. Frankreich, mit Ferry an der Spitze, bewillkommnete diese Idee, weil Ferry einer der grossen Vertreter der Kolonisation war. Aber Ferry konnte nicht zu weit gehen, um sich mit Deutschland zu einigen. Die Politik Ferrys fand nicht die einhellige Zustimmung der französischen öffentlichen Meinung. Die Politik der Annäherung

1) Cambridge Modern History. Cambridge 1934, Vol. 12, P. 168 (Artikel von "Onken H.").

2) Veill Georges : L'Europe du 19ème Siècle et l'Idée de Nationalité. Paris 1938, P. 317.

hatte nicht das Vertrauen der französischen Mehrheit. Die persönliche Meinung des französischen Botschafters in Berlin, De Courcel war, dass es das Ziel Bismarcks sei, England zu demütigen und Frankreich als Mittel dafür zu gebrauchen.1)

Trotz ihrer neuen Kolonialpolitik blieben die Deutschen im allgemeienen in guten Beziehungen mit den Engländern. Das geht auch konform mit der deutschen Politik, die Frankreich zu isolieren trachtet. Britannien verstand auch vollkommen, dass es Frankreich oder Russland nicht zu fürchten brauchte, solange es in freundlichen Beziehungen mit den Dreibundstaaten stand. Dazu bedürfte England auch des beistandes von Deutchland für seine Stellung in Ägypten. Bismarck blieb in guten Beziehungen mit Britannien bis zu seinem Rücktritt. Und der englische Imperialismus befolgte in der Zeit zwischen 1885 und 1891 denselben Weg, dem auch die englische Politik von 1882 bis 1885 folgte, d.h., die Freundschaft mit dem Dreibund zu suchen und sich von Frankreich und Russland zu entfernen. Deutschlnds gute Beziehungen mit England und die Freundschaft Englands für Deutschland erwiesen sich deutlich auf der Eröffnung der Berliner Konferenz. Der englische Delegierte erklärt am 3. Dezemher 1884, dass die Ansichten Englands denen der deutschen Regierung entsprächen.2)

Diese guten deutsch-englischen Beziehungen waren Frankreich sehr unangenehm. Wenn die französische Presse wegen einer Spannung mit England in Unruhe gerät, dann spricht sie nicht vom Dreibund, sondern vom "Vierbund".3) In der Tat vermied England jede Sch-

1) Safwat Moh. : Idem. p. 83

2) The Times (die englische Zeitung), 4. Dezember 1884.

3) Grey of Fallodon : Twenty five Years (1892 — 1914) Vol. I, London 1935, PP. 47 — 48.

wierigkeit mit den Dreibundstaaten, besonders Deutschland. England versuchte nie ein Gegengewicht für den Dreibund in Europa zu schaffen, obwohl er nach dem Jahree 1886 der beherrschende Faktor und der kräftigste politische Block in Europa blieb. Diese freundschaftliche englische Politik widerspricht der berühmten Theorie, dass es immer die Tendenz der englischen Politik war, das Gleichgewicht der Kräfte in Europa zu erhalten. Es war auch eine klare Wahrheit, die Französen waren auf England eifersüchtig und beneideten es wegen seiner Stellung im Mittelmeer. Damit war die Politik Frankreichs im Mittelmeergebiet gegen England im 19. Jahrhundert festgelegt. Es war die überzeugung der Franzosen, dass die englische Besetzung Ägyptens das internationale Gleichgewicht im Mittelmeer umgestürzt hatte. Die englische Kontrolle über das Ost-Mittelmeer und den Seeverkehr nach dem Osten und Indien wurde vollständing. So erhob Frankreich Widersprüch gegen die englische Kolonialpolitik ausserhalb Ägyptens. Es näherte sich auch Deutschland, seinem traditionellen Feind, um es gegen England aufzubringen und ihm Englands schlechte Absichten verdächtig zu machen.

Deshalb verursachten die gespannten Verhältnisse zwischen Frankreich und England, wie Lord Rosebery sagt, viele Belästigungen für die Engländer. Frankreich "verlangt von England etwas,das es nie geben kann, dann beklagt Frankreich sich und sagt : Sie tun nichts für uns." 1) Frankreich bereitet England Verdruss, wie Salisbury sagt, so wie z.B. die französische Stellung in Marokko, wo "Frankreich auf dem Weg ist, das Land Stück für Stück zu verschlingen und nach kr Eroberung Tangers trachetet."2) Salisbury sagt auch, dass es

1) Wilson, Beckles : L'Ambassade de l'Angleterre à Paris (1814 — 1920) Paris 1929, P. 227 (Rosebery an den englischen Botschafter in Paris, 10. August 1886).

2) Idem, P. 228 (Salisbury an Lyons, 5. Februar 1887).

schwer sei, auf die Hoffnung eines neuen französisch-deutschen Krieges zu verzichten, damit es ein Ende mit den dauernden franzosischen Begirden habe.

In bezug auf die französischen Unternehmungen ausserhalb Frankreichs kann man sagen, dass bis zum Jahre 1887 Frankreich auf keine Hindernisse von deutscher Seite traf, sondern vollkommenen Beistand fand. Aber England war es, das Schwierigkeiten für Frankreich in Nordafrika, besonders in Marokko, schuf. Der englische Ministerresident in Tanger, Sir Drummond Hay, fühlte die französische Gefahr für das Land. So bemühte er sich, die Franzosen aus dem Lande zu entfernen. Sir Drummond, wie Johnston1) sagt, bewahrte Marokko nicht nur von dem französischen und spanischenEindringen, sondern er schuf fast dieselbe Atmosphäre auch in Marokko wie Sir Richard Wood in Tunis. So griff die französische Presse diesen englischen Ministerresident inTanger dauernd an. Die Zeitung2) "Goulois" z.B. brachte einen Artikel am 8. Mai 1884, in dem er verspottet wird. Darin heisst es, dass er sein Möglichstes als Vertreter für England getan habe, aber er habe es nicht verstanden englische Staatsangehörige nach Marokko zu ziehen. Ferner hiess es auch, dass er ein ehrenamtlicher Angestellter sei, aber dass er nur für seine besondere interessen arbeite, dass er Grundstücke und Bergwerke im Landesinnern bekommen habe, und dass er als Wein-und Möbelhändler den marokkanischen Hof versorge.

In seinen Vereinbarungen mit Bismarck im Jahre 1887 Versuchte England den Status quo im Mittelmeer zu

1) Johnston, H. : History of the Colonisation of Africa by alien Races. Cambridge 1905, p. 121.

2) Doc. Dip. Fr., 1ère S., T. 5 no. 280 — Note von dem britischen Botschafter in Paris an das französische Ausserministerium.

erhalten. Diese Vereinbarungen waren meistenteils gegen die französische Ausbreitung in Nordafrika gerichtet, weil die englische Marinebehörde fürchtete, dass Frankreich einen Stützpunks in Sabta gründen werde.1) Die Aussenpolitik eines Staates wird im allgemeinen von den Meinungen seiner militärischen Fachleute beeinflusst. Die Engländer glaubten, dass die französischen Aktionen sehr weit von der Achtung des Status quo im Mittelmeer entfernt seien. Das vermehrte die Entfremdung zwischen England und Frankreich.

Aber Deutschland blieb nicht lange dabei, Frankreich ausserhalb Europas beizustehen. Italien erneuerte seine Zugehörigkeit zum Dreibund im Jahre 1887. Es einigte sich damals mit Deutschland und österreich in einiger Hinsicht. So versprach Deutschland Italien, seinen Ansprüchen auf Tripolis beizustehen und die Ansprüche Frankreichs in Marokko zu hindern. Auch schloss Spanien eine Vereinbarung mit dem Dreibund am 4. Mai 1887, die es mit dem Bund indirekt verband. Wenn wir die sich entwickelnden Interessen Deutschlands im Ausland zuzüglich in Betracht ziehen, konnen wir das plötzliche Erscheinen Deutschlands, als gefährlicher Konkurrent für Frankreich in Marokko, nach diesem Datum erklären. Es ist richtig, dass Bismarck bis zu seinem Rücktritt Marokko nicht ernstlich zu besetzen versuchte. Deutschlands Haltung gegen Marokko wird durch das erklärt, was Bismarck früher, im Jahre 1885, darüber gesagt hatte : "Mein Ziel ist der regierende Händler und nicht der offizielle Beamte."2) Aber natürlich hinderten diese Ansichten die Deutschen nicht,

1) Marder A., British Naval Policy (1880 — 1905) Mass. U.S.A. 1940, P. 271.

2) Marriott, J.A., : Europe and Beyond. London 1946, P. 86.

ihre Interessen für Marokko in einer Weise zu vermehren, die ihren Wunsch nach Besetzung des Landes zeigte.

Auch die deutsche öffentliche Meinung zeigte klar ein lebhaftes Interesse für Marokko. Die Zeitung "Export"1) bemüht sich, die deutschen Unternehmungen im Ausland zu erforschen. Sie richtet einen Aufruf an das Volk, um das Thema „Warum Marokko sehr wichtig für die wirtschaftlichen deutschen Interessen ist" zu erforschen. Die Zeitung beabsichtigt auch, einen tatkräftigen Mann nach Marokko zu schicken, damit er in einem Jahr die Entwicklungsmöglickkeiten für den deutschen Handel, die Industrie und die Naturwissenschaft in Marokko und die Schiffahrt in den marokkanischen Höfen studiere2).

Die deutsche öffentliche Meinung erklärt, dass ihr Interesse für Marokko, wegen seiner Rückständigkeit und seines Bedürfnisses nach jemand, der es gut entwickeln könne, verursacht wird. Sie sagt auch, dass Marokko ein gebildetes Volk braucht, um es zu leiten. Aber die deutsche öffentliche Meinung wagt nicht wegen politischer Betrachtungen die Eroberung Marokkos zu verlangen. Sie war der Ansicht, dass keine Macht zu diesem Wagnis bereit sei und Marokko erobern könne. Weder Frankreich noch Spanien sind dazu fähig. England darf, nach der deutschen Ansicht, wegen seiner Seemacht nicht so sorglos sein Marokko in die Hände einer Macht, die eine wichtige Rolle in der Konkurrenz um die Herrschaft im Mittelmeer spielen könne, fallen zu lassen. So ist es vorteilhaft für den Handel Englands, dass Marokko unabhängig bleibt. Die deutsche öffentliche Meinung weiss sehr wohl um die

1) am 23. April 1889 — Übertragung von Doc. Dip. Fr.
2) Doc. Dip. r., 1ère S., T. 7, no 365 — Herbette an Spuller, 26. April 1889.

Wichtigkeit der Stellung Marokkos für das Gleichgewicht der Mächte im Mittelmeer; was Italien anlangt, so liegt es in der Mitte des mittelmeerbeckens und hat da wesentliche Interssen. Tunis und Tripolis lagen im Gebiet seiner Wünsche. Die Ausdehnung dieser Wünsche auf Marokko bringt Italien in Kampf mit den konkurrierenden französischen und britischen Interesen. Was Deutschland betrifft, darf es, nach der Ansicht der deutschen öffentlichen Meinung, seine Wünsche, Marokko zu besetzen, eben für kurze Zeit zurückstellen.

Was die Kolonialtätigkeit der Mächte in Marokko anlangt und die Einwanderung nach dem Lande, ist die deutsche Presse der Ansicht, dass weder Frankreich noch Spanien etwas damit zu schäffen hätten. Für England und Italien sei die Einwanderung nach Marokko möglich wenn der Einwanderungsstrom des ersteren nicht nach Kanada, Vereinigte Staaten, Australien und Südafrika gerichtet wäre, und des zweiten nach Südamerika. Deutschland dagegen hat recht, eine Einwanderung nach Marokko durcnzuführen, weil das Auswanderungsbedürfnis jetzt in Deutschland sehr stark ist und Marokko die Tätigkeit der deutschen Einwanderer noch einsaugen kann.

Diese neuen Absichten Deutschlands gegen Marokko waren vielleicht die Motive für die Ausführungen eines französischen Schriftstellers, der sagte, dass Deutschland, weil es wollte, dass seine Staatsangehörigen seinen Einfluss in Marokko vertraten, der wirkliche Sieger in der Madrider Konferenz vom Jahre 1880 ist. 1) Und da hat er recht. Es ist wahr, dass Deutschland in der Konferenz kein Interesse für Marokko zeigte und sich begnügte, die Absichten Frankreichs immer zu begünstigen, aber man

1) Hardy : Histoire des colonies Françaises. Tom 3. Paris 1931, P. 141.

darf nicht vergessen, dass die Gewinne Frankreichs, als Gewinne auch für Deutschland betrachtet werden müssen, wenn Deutschland später Interessen in Marokko hatte. Und so bekam, hinter einem Vorhang von Desinteresse, Deutschland einen Gewinn, dessen Wert später erkannt wurde.

So endlich erkannte Deutschland die Wichtigkeit Marokkos für seine Interessen als industrieller und kommerzieller Staat, der nach der Bildung einer Marine und strategischen Kraft trachtet. Der Besitz Marokkos wurde für Deutschland seher wichtig. Die neuen Kolonialabsichten Deutschlands, seine kommerzielle Politik und sein Wunsch, für seine neuen Interessen und seine Kolonie in Südafrika zu sorgen, beeinflussten seine Beziehungen mit Marokko. Im Jahre 1888 verlangte Deutschland vom marokkanischen Sultan, ihm eine Meeresbucht abzutreten. Es wollte eine deutsche Station an der Mittelmeerküste errichten, aber der Versuch scheiterte kläglich. Der Sultan fürchtete andere ähnliche Forderungen von den anderenMächten gestellt zu erhalten1) Diese Forderung widersprach auch der Politik des Moulay Hassan (1873—1894), der energisch versuchte eine wirkliche Reform in seinem Land zu realisieren und es vor dem ausländischen Einfluss zu retten. Deswegen wollte der Sultan nie irgendeinen Teil seines Landes Ausländern gewähren.

Trotzdem breiteten sich Gerüchte aus, die über die Konzession von einigen marokkanischen Ländereien an Deutschland sprachen. Das "Berliner Tageblatt"2) brachte Nachrichten über eine Konzession, die De-

1) Doc. Dipê Fr., 1ère S., T. 7 no 132 — Feraud an Geoblet, 31. Mai 1888
2) Idem no 331 — Herbette an Goblet, 22. Februar 1889.

utschland einen Teil der Meeresküste zwischen Melilla und der algerischen Grenze einräumte und auch einen Hafen auf den Westinselen bei "Mogador" am atlantischen Ozean. Diese Nachrichten erregten den Zorn sowohl von Frankreich als auch von Spanien. Frankreich fürchtete wegen seiner Stellung in Marokko und seiner dortigen Interessen diese neue, gefährliche Konkurrenz. So beeilt sich der französische Ministerresident in Tanger, den Sultan zu treffen, und die Situation zu klären. Aber der Sultan dementiert diese Gerüchte. Damals plante Frankreich, einige marokkanische Oasen, die an der Grenze lagen, mit der Einwilligung des Sultans zu besetzen, um seine algerischen Grenzen zu erweitern. So stand der französische Minister der Haltung des Sultans gegen die deutsche Forderung bei.)Er beteuerte ihm "die guten Gefühle Frankreichs" gegen Marokko und sagte, dass der Sultan nicht nur mit Worten Frankreichs, sondern auch mit seinem Eintreten rechnen könne, das diese beweisen solle.1)

Auch Spanien wurde wegen dieses Gerüchtes sehr beunruhigt, obwohl es mit dem Dreibund seit dem Jahre 1887 in indirekter Weise verbunden war. Spanien hatte seine Besitzungen an der Mittelmeerküste inMarokko. Es hatte auch Interesse und Einfluss im Lande. Es begann Deutschland als Gefahr für das Land anzusehen und erkannte, dass die Deutschen enratlich nach demBesitz des Landes trachteten. Die Spanier glaubten, dass diese Nachrichten, von den Agenten des Reichskanzlers ausgestreut würden, um die deutsche öffentliche Meinung auf solche Aktionen vorzubereiten, oder um den englischen Beistand für solche Handlungen zu gewinnen und vielleicht,

1 Doc. Dip, Fr., 1ère S., T. 7 no 389 — Patenôtre an Spuller, 29. Mai 1889.

um Spanien einzuschüchtern.1) Deswegen beginnt die spanische Regierung gegen Deutschland sehr vorsichtig zu werden.

Im Jahre 1890 konnten die Deutschen eine kommerzielle Einigung mit Marokko abschliessen, damit die Deutschen im Innern des Landes Handel treiben konnten. Diese Einigung war anderen Verträgen ähnlich, die Marokko mit England im 18. Jahrhundert geschlossen hatte.2) Im gleichen Jahre war durch eine Hamburger Vereinigung eine direkte Dampferverbindung Hamburg-Marokko geschaffen worden.

Die Beziehungen zwischen Deutschland und Marokko waren im allgemeinen freundlich. Der marokkanische Sultan fürchtete die Deutschen nicht so wie seine direkten Nachbarn, die Franzosen und die Spanier. Er verhandelte mit den deutschen Krupp-Werken, die ihn mit Geschützen und Munition zur Verteidigung und zum Schutz der Häfen versorgten. Deutschland bietet Marokko seine Dienste an und erklärt, dass Marokko sich auf Deutschland verlassen könne. Als der Sultan z.B. eine Mission zum Kaiser Wilhelm sendet, um ihm zu seiner Thronbesteigung zu gratulieren, empfängt der Kiser die Mission freundlich. Er ersucht die Mission dem Sultan zu sagen, dass er wie der "Rubin" auf dem Herzen des Kaisers ist, und dass er auf die Hilfe des Kaisers vertrauen kann, wenn er ihrer bedürfe.3) Das erzählte der mrokkanische Sutan dem französischen Ministerresidenten in Tanger.

---

1) Idem no 333 — Herbette an Spuller, 32. Februar 1889.

2) Lavisse Ernest et Rambaud A., : Le Monde Contemporain (1870 — 1900) Paris 1925, P. 892.

3) Doc. Dip. Fr., 1ère S., T 7, no 389 — Patenôtre an Spuller, 29. Mai 1889.

THE TRADE ACTIVITIES IN THE RED SEA DURING THE ROMAN EMPIRE

By

Dr. YOUSRY EL GOWHARY

The aim of this paper is to show the importance of the Red Sea as a navigable highway during the "Pax Romana", as well as to focus and interpret the effect of sea commercial activities on the role which was played by the Romans in south western Asia especially in Arabia Felix.

Historical background :

Prior to the Roman time Arabia Peninsula was mainly the arterial commercial route between the Monsoon land in the East and the Mediterranean area in the west. The Red Sea was also the transit navigable trade way between the tropical area in East Africa and the coast of the Mediterranean sea.

The Port of "GERRHA", which was situated near the recent site of "el Akir" or "Ojair", on the Arabian Gulf, was the gateway of the Monsoon land's goods, which were sent via the caravan route through Huful and Najran to Marib. Adena "aden" was the receiption Port of African goods which were transported by sea to the countries of the Mediterranean Sea.

The Arabs were able to monopolize the trade within the Arabia Peninsula until the first century A.D. when the Greeks and Romans diverted the Indian trade routes towards the Red Sea and Egypt.

The conflicting powers : Map (1)

The Red Sea was a meeting place and an overlapping area between the conflicting powers of the east and west during the «Pax Romana» The Romen authority represented the western power while the Eastern power centralized in Persia. Each of these powers tried to overbring Arabia and its people under its influence in order to capture, monopolize and restore the trade activities in the Red Sea.

The first and main power that of the Romans was centralized in the land of Pharaohs. They classed Egypt not as a province but as the property of the Emperor.

Internal trade was active but slow, land transport moved on animals. Much traffic went by inland waterways. Agreat canal, 150 feed wide was dug and completed in TRAJAN'S reign (1), it connected together both the Mediterranen Sea and the Indian Ocean through the Nile and the Red Sea, from whose ports at Arsinoe "Suez"(2), Myes Hormos and BERENICE ships left daily for Africa and India.

Across the Red Sea from Egypt lay Arabia Peninsula. Neither the pharaohs nor the Achaemenids nor the Romans had been able to conquer the mysterious peninsula. The Greeks and Romans however divided Arabia in their writings into three main physical sectors which corresponded with the political divisions of Arabia during the first century A.D. These sectors where :

A) *Arabia Deserta* which included most of the penisula and knew only Arab nomads.

B) *Arabia Petraea* or Arabia Petrix was situated in the northern fringe to the south west of the Syrian desert. Here the Nabatean arabs established a kingdom that slowly grew rich on passing caravans, until its rule extended from LAUKE KOME on the Red Sea along the eastern border of Palestine through GERASA and BOSTRA to DAMASCUS. During the first century A.D. Petra became the node of Arabia trade owing to its situation as a trading centre on the caravan routes between Mesopotamia and Yeman as well as between Syria, Palestine and Egypt.

The Nabateans gained wealth from commerce, so when the Ptolemies tried to monopolize the navigale trade and capture the Commercial activities in the Red Soa by establiohing many post points and perts on its coast, and by impraving their friendship with the arabia felix people, the Nabateans realised the danger of commercial newcomers in the Red Sea and tried to attack the Ptolemies intersts in the area and sometimes they put their hand on their goods. Accordingly Ptolemy Philadelphus, King of Egypt, devoted him self to promote Egyptian commerce and built a great fleet of three tons burden to guard the Ptolemies trade. The result was that Egypt became secure against the Nabatean raids and ptolemy maintained his control over the northern section of the Red Sea as the Gulf of Aqaba (3).

However, under King Aretas IV, King of Saba (9.B.C — A.D. 40),the country reached its zenith, Petra became a Hellenistic city, arabic in speech, Greek in art. After Trajan annexed Arabia Petraea into the Empire, Bostra became

the capital of province of Arabia and raised in its turn the architectural symbols of wealth and power. Petra decayed as Bostra and Palmyra became the cross-roads of the desert caravans.

C) *Arabia Felix* In the south west of Arabia Peninsula a mountain range and its streams gave milder temperature and fruitful vegetation to the Yeman of today. In this Area the Kingdom of Saba flourished, the Sheba of the Bible, so rich in frankincense, myrrh, cassia and cinnamon, aloes and nard, senna and gum and precious stones that the Sabateans could build at Marib and elsewhere cities proud with temples. The arab merchants sold arab products at high prices and carried on caravan tade with northwestern Asia and an active commerce by sea with Egypt, Parthia and India.

During the reign of the first kingdom of Himyarite in Yeman (115 B.C — A.D. 30) Agustus, the Roman Emperor sent in 25 B.C. the governor of Egypt, Aeluis Gallus, to annex the Kingdom to the Empire in order to capture the trade routes which were monopolized by the kings of Saba (4) as well as to guard the commercial activities in the sea from the pirates. The Nabateans promised to aid the Romans' expedition ... which started from Leuke Kome and then by land route through Hijaz and Marib. the capital of the Himyarite Kingdom (5). Hence it was not very far to the Incence land of Hadramout but the Roman general disillusioned as to the reputed wealth of Arabia Felix. marched back to the coast and left the Arabs to themselves (6).

However, the legions failed to take Marib and returned to Egypt decimated by disease and heat. (7) Augustus contented himself with destoring the Arabs of Adana "Aden" and thereby secured control of the trade between Egypt and India. He tried also to gain the friendship of Arabs. This point is reported in a book "Periplus Mares ERYTHRAEI (8) which pointed out that the Romans signed an agreement with the King of Saba who had a large area of land which extendes on the Red Sea, Hadramout and the east coast of Africa (9).

Under Augustus the navigable canals of Egypt were cleaned out and military operations were conducted on both sides of the Red Sea to check raiding and piracy. Trade with India flourished and Strabo reported that 120 ships were engaged in it (10).

About the middle of the first century A.D., a sea captain named Hippalus discovered the voyages that could be made from the Red Sea to India out of sight of land, thanks to the steady Monsoon winds. As a result of this discovery trade with India increased to such extent that Pliny bewails huge sums spent upon eastern luxuries (11). Large quantities of Roman coins have been discovered in southern India whence came spices and pearls, while silk, perfumes and ivory also reached Rome via the Red in considerable quantities.

The Abyssinians :

During the second Himyarite kingdom (A.B.300

— A.D. 525) the Abyssinians invaded and colonized for the first time Arabia Felix in A.D. 340. The period between A.D. 20 and A.D. 370 is not clear in the history of southern arabs. The history books, therefore did not report the first Abyssinian colonization. The only reference to this historical event came through some writings belonging to the ancient kingdom of UXOM.(12).

Some writers suggested that the economic aspect was the main reason behind the Abyssinian colonization which was a reaction (13) against the Himyarites who used to attack Abyssinian's trade in the Red Sea during the first century A.D. However, the factor was that the Abyssinians came to the Red Sea as a new commercial power at the time of the Roman Empire. At the same time the celebrated dam of Marib was demolished in 446 A.D. Some authors reported that the decline of the dam was due to the divergence of trade from Marib route to the navigable route of the Red Sea as well as to the commercial influence of the Romans in the area. So the the Himyarites lost their source of wealth and neglected the "sadd" which consequently declined and was demolished.

The first Abyssinian colonization did not survive more than thirty years the people of Yeman were able to liberate thier land between the years A.D. 300 — A.D. 378.

The second Abyssinian expedition to Arabia Felix during the Roman time was in A.D. 525. Some Arabic references mentioned that the Romans asked the king of Abyssinia for religious reasons to invade the Yeman but the real aim was a political and economic one. The Byzantine purpose was to preserve the monopoly and

control of the trade route to the Indian Ocean via the Red Sea and to extend accordingly its political power over the Arabs in order to back its policy against the Persians. At the same time the Abyssinians were eager to secure their trade against the Arab pirates. So both the Romans and Abyssinians had a serious political and economic interest beside the religious aim to capture Arabia Felix.

Some historians reported in their writings that the the king of Abyssinia ordered the Abyssinian viceroy in Yeman, Abraham or Aramios, to invade the Sassanid dynasty in Persia in A.D. 520 (14) and to extend his aid to the Romans. Abraham took the caravan routes which led to Syria via Mecca but his expedition failed and returned back to Yeman.

The Persians :

After the death of Abraham's son, Santurces (15) governed the Yeman and treated her people badly. So one of the national leader of Yeman, namely Saif Ibn Zee Yazin went to the Byzantine Emperor and asked for help against the Abyssinians. The Emperor Justinian promised to aid his people in order to secure the Roman economic and political interest in the Red Sea and Yeman. In fact Justinian did not offer any aid to the people of Yeaman so they turned for help to the oriental power (that of Persia) where Emperor Keisra Ano Shirwan (Cyrus) A.D. 531 — A.D. 578) sent an expedition to liberate Arabia Felix from the Abyssinain influence. Consequently the Persian's inetrest incerased in the area after they mastered the Red Sea and the navigable trade route to India as well as the caravan route of Hijaz. Moreover they extended the area of their commercial

influence along and accross the Red Sea by invading Egypt and Syria in A.D. 614.

Hence, the sphere of the Roman trade activities shrank in the Red Sea and in southwestern Asia and never extended again to the Yeman which fell under the Islamic influence.

The commercial goods : Map (2)

The vessels travelling through the Red Sea during the "Pax Romana" carried a multi-goods from all parts of the Roman world, from the Roman Empire itself and from outside the Empire.

To Rome and the west, came from Arabia, incense, gum aloes myrrh, laudanam, ginger; cinnamon and precious stones from Ethiopia and from east Africa ivory, apes, tortiose shell, rare marbles obsidian, spices and Negro slaves; from central Africa, wild beasts from the Aarea,; from Parthia and Persia, came rare essence; from Egypt corn, papyrus linen, grass; jewellery, granite, basalt, alabaster and porphyry; from Palmyer came textiles, perfumes, drugs.

In addition to all this, manufactured or raw silk, came from China through Parthia or India; from India came pepper, spikenerd and other spices (16) herb , ivory, ebony, sadalwood, indigo, pearls'sardonyx, onyx, cosmetics textiles, tigers and elephants.

In return to the East, the Romans exported carpets, jewels, amber metals, dyes, drugs and glass. Chinese historians speak of an embassy coming by sea to the Emperor Huan-ti in 166 from the Emperor "An-Tun" — Marcus Aurelius Antoninus (17).

India imported also from Rome via the Red Sea and the Egyptian ports a modest quantity of wine & metals.

Conclusion :

The trade activities in the Red sea during the Roman Empire were so important in determining the political history of the area bordering the sea as well as the "raison d'ètre" of the struggle between the various conflicting powers in order to master Arabia Felix, the Felix, the southern gate of the Red Sea.

REFERENCES

1. **Durant, w., Caesar and Christ,** the story of civilization, part III, N.Y., 1944, p. 499.
2. **Jones, A.H.M.,** The cities of eastern Roman provinces, OXFORD 1937, p. 259.
3. **Durant,** The Life of Greece, N.Y., P. 590.
4. **Mohamed, Fahmy,** Muslim sea power in the eastern Mediterranean Cairo. 1966, P. 41.
5. **Sykes,** Sir percy, A history of exploration, London, 1949. P. 39.
6. This expedition enabled Ptolemy to enumerate the towns and villages of Arabia Felix with Rome accuracy.
7. **D. G. Hogarth,** Arabia, Oxgord, 19322, P.S.
8. This was a book by an unknown author giving commerial information. It was published about A.D. 60.
9. **AbdelAzizSalim,** TARIKHelArabFielGahlya, Beirut, 1970P.116(in Arabia).
10. **Durant,** P. 239 — sea also Strabo, The Geography of straho trans., Jenes (A.L) London, 1949.
11. **Sykes,** op. cit., P. 41.
12. **El Yackoby,** Tarikh el Yackoby, IRAQ (In arabic)
13. **Abdel Aziz Salim,** op. cit. P. 121.
14. **Richard Bell,** The origin of Islam in its Christian environment, London, 1926, P. 40.
15. **Abdel Aziz Salim,** op. Cit., P. 144.
16. The same that columbus would seek in his journey.
17. **Durant,** op. cit., P. 329.

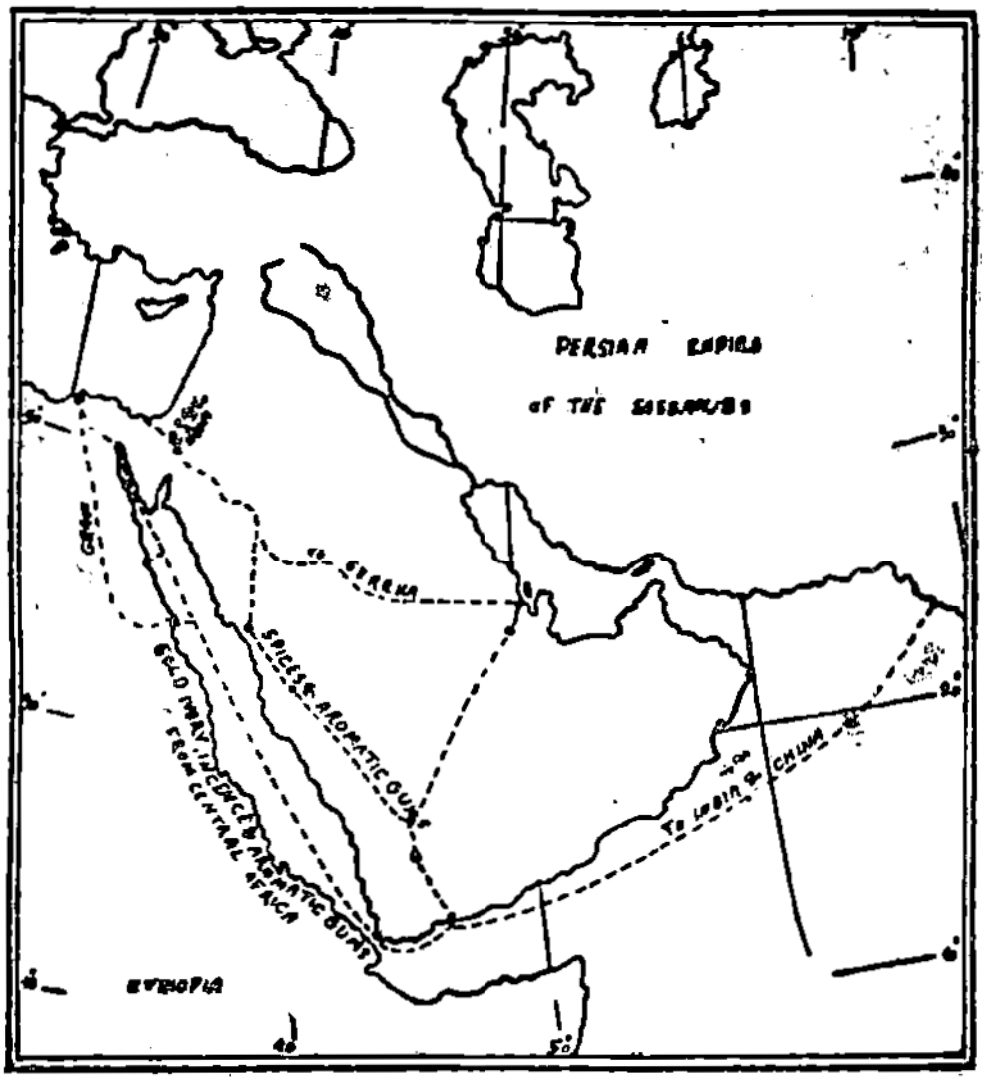

The Trade Activities Of Roman Empire In The Red Sea.

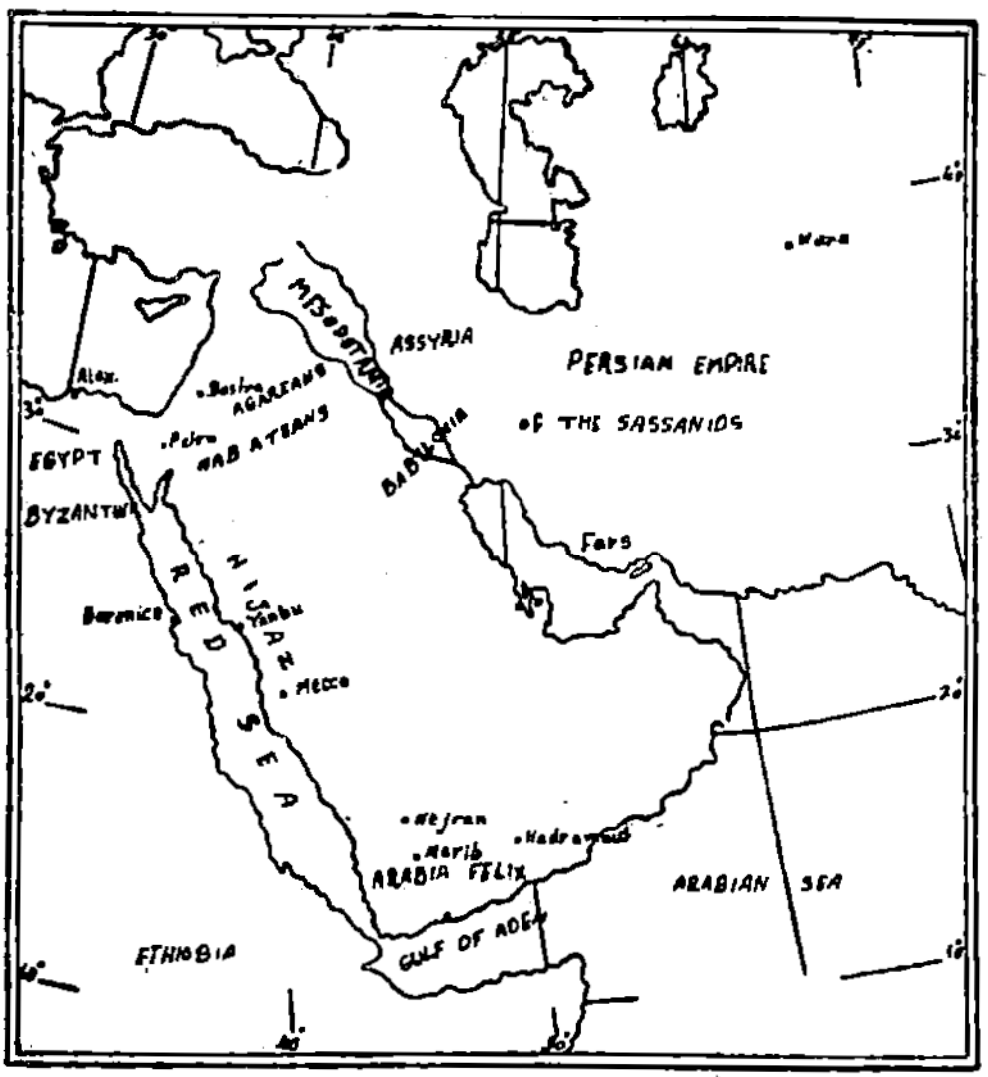

The Conflicting Powers During The Roman Empire.

A BRIEF NOTE ON TWO POEMS

By

EMILY DICKINSON and E. E. CUMMINGS

Dr. NADIA BISHAI

Dept. of English, Faculty of Arts

Love is that later thing than death,
More previous than life,
Confirms it at its entrance and
Usurps it of itself;

Tastes death, the first to prove the sting,
The second, to its friend,
Disarms the little interval,
Deposits him with God.

Then hovers, an inferior guard,
Lest this belovéd charge
Need, once in an eternity,
A lesser than the large.(1)

Emily Dickinson

love is more thicker than forget
more thinner than recall
more seldom than a wave is wet
more frequent than to fail

1. *American Verse*, ed. Oscar Williams, 1959, p. 164. In *Poems by Emily Dickinson*, Boston 1950, P. 146, there is another short poem wich deals with a similan theme Love is : anterior to life. "This volume omits the above poem.

it is most mad and moonly
and less it shall unbe
than all the sea which only
is deeper than the sea

love is less always than to win
less never than alive
less bigger than the least begin
less littler than forgive

it is most sane and sunly
and more it cannot die
than all the sky which only
is higher than the sky (2)

e.e. Cummings

Of Emily Dickinson's ambiguous poem "Love is that later thing than death", E.E. Cummings seems to have made an even more enigmatic version which can easily be read as a sequel to the first, were it not for the difference in mood. Read after Emily Dickinson's three stanzas, his four convey an odd humorous twist. Was he making fun of her seriousness ? It is very possible that his intentionally melodramatic and contrasting lines

it is most mad and moonly

and

it is most sane and sunly

2. E.E. Cummings, *Selected Poems* (1923—1958), The Penguin Poets, 1967, p. 48.

are meant to turn the whole poem into a parody of the earlier one. This impression is especially enhanced by Cummings's use of the same metrical and stanzaic pattern present in Emily Dickinson's poem. He even seems to add a fourth stanza in much the same spirit which T,S. Eliot revealed when imitating Shakespeare in *The Waste Land.* (1). Cummings seems to be saying, "If you, Miss Dickinson, can write three stanzas, I can write four." Even while picking up her use of comparatives he exaggerates these into a kind of grammatical burlesque — if one may so name it — startling because of the deliberately outrageous flaunting of errors like "more thicker", "less bigger", and worst of all, "less littler".

The intangible essence of love so solemnly confirmed by Emily Dickinson, is driven home through the sheer daring of the later poet in coining words—note "unbe", "moonly" and "sunly" for instance—and the improbability of ideas whose impact is even more forceful because of the truth in them.

Love is ...

more seldom than a wave is wet

or a gain it is

less bigger than the least begin

just as in the second stanza love can no more "unbe"

all the sea which only
is deeper than the sea

There was perhaps, an echo of Burns's song "My love is like a red red rose" in Cummings is mind when these last lines came to him :

> And I will love thee still my Dear,
> Till a' the seas gang dry.

BYRON AND SCHUMANN : POSSIBLE SOURCES OF BROWNING'S 'SAUL'

By

Dr. NADIA BISHAI

Dept. of English, Faculty of Arts

This is only another attempt to trace the origin of Browning's poem 'Saul'. Far-fetched as the new assumption may seem, it is very likely that Schumann's setting of Byron's poem 'Jephtah's Daughter' may have inspired 'Saul'. One cannot help wondering to what extent Browning has drawn upon the *Hebrew Melodies*, not only with regard to structure but also to subject matter. In addition to 'Jephtah's Daughter', I refer particularly to 'The Destruction of Sennacherib' and to 'Song of Saul Before His Last Battle'. The link between these poems and 'Saul' lies in the use of anapaestic metre. There is also an affinity in thematic substance which arouses an awareness of the similarity between these poems.

Before going any further, however, it would be interesting to make a brief survey of what has already been written on the subject of the sources of Browning's 'Saul'. In *The Bow and the Lyre : The Art of Robert Browning*, Roma A. King refers to Elizabeth Barrett Browning's influence on her husband's poem which, he says, reflects both the spirit and technique of her own poems 'The Soul Travelling,' Earth and Her Praise', 'A SongAgainst Singing,' and 'Rhapsody of Life's Progress':1

In *Modern Language Notes* (June 1929), on the other hand, there is a short note by William Lyon Phelps of Yale University, relating how one of his undergradu-

duates, a Mr. Moore, once pointed out to him the similarity between 'Saul' and Dr. John Brown's, 'The Cure of Saul'. Both W.L. Phelps and his student agree that Browning may have derived the idea of 'Saul' from this poem.

> Dr. Brown was not much of a poet, for in his verses declamation roared while passion slept. Yet there is one pasage in *Saul* where Browning uses the splendid figure of the rocky side of the mountain revealed after the spring snow-slide, that might have been inspired by Dr. Brown. In the latter's version, David sings of the processes of creation from primeval chaos to light and life, while
> "In dumb Surprise the list'ning Monarch lay; ...3

W.L. Phelps goes on to quote the remaining lines of which the following are the most significant :

> "The lab'ring Mountain rears his rock-encumber'd Head :
>
> Down his steep and shaggy Side
> The Torrent rolls his thund'ring Tide;
> Then smooth and clear, along the fertile plain
> Winds his majestic waters to the distant main.4

The above lines are then compared with the following from Browning's 'Saul'.

> Have ye seen when spring's arrowy summons goes right to the aim,
>
> And some mountain, the last to withstand her, that held (he alone

While the vale laughed in freedom and flowers)
on a broad bust of stone

A year's snow bound above for a breastplate,
—leaves grasp the sheet ?.

Fold on fold all at once it crowds thunderously
down to his feet, ... 5

In his short note the critic has tried to compare between Browning's poem and Dr. Brown's by basing his argument mainly on the presence of the mountain image. Another critic, George S. Wykoff, also discusses this point from the angle of subject-matter. This time, however, while quoting W.T. Young's opinion that the likeness lies between Browning's 'Saul' and Christopher Smart's 'Song to David' (1763), 6 he affirms that another possible source may be Charles Mackay's, 'Saul and David'. This first came out in *Poems*, and later with many changes, in *The Hope of the World* (1840). Although he quotes E.B. Browning's not very flattering opinion of Mackay, it is rather difficult to accept Wykoff's assumption that

> ...there seems to be sufficient reason for believing that 'Saul and David'' by Charles Mackay, was at least an indirect source of"Saul'' that Browning read the former poem, and that much of its content was retained, perhaps unconsciously in his retentive memory. More than that — or in other words, that the former poem was a direct, definite source of the latter and a positive influence on it, — surely no one can assert from the nature of the evidence.7

This is possible, of course, but it seems to me that the nature of the subject-matter in itself, would naturally

engender similarity in content if not in treatment, in any poem on David and Saul. Robert Browning had too original a mind, and his wife speaks in too scathing a tone of Mackay, for any poem by the latter to have had the slightest effect on Browning, direct or indirect.

> ... But for the *man*! To call him a poet ! A Prince and Potentate of commonplaces, such as he is : — I have seen his name in the Athenaeum attached to a lyric or two ..., correctly called fugitive, — more than usually fugitive !— but I never heard before that his hand was in the prose department.

A third article on the sources of Browning's 'Saul' is by J.A. Macpeek, 'The Shaping of Saul.' It relates the poem to wyatt's 'Seven Penitential Psalms'. There is distinct proof given here of Browning's familiarity with Wyatt's poetry, and it has always seemed to me that he owed much to the earlier poet, particularly in his use of the the dramatic monologue, Chaucer, as we know, having been the preceding master of this form in *The Canterbury Tales.* There is also originality and humour in both the poetry of Wyatt and that of Browning, not to mention Chaucer's.

To return to Macpeek's article, however, we can sum up what he says on the subject as follows : that in spite of variations, the structure of both poems are very loosely linked with each other, and that although Browning does not resort to very close borrowings from the text, he makes use of the most outstanding images and ideas. After citing various examples to illustrate the

extent of these borrowings, Macpeek comes to the following conclusion :

> It is clear that the main outline of *Saul* is thus provided for by Wyatt. With such a structure in mind Browning could expand with ease with songs and themes stemming possibly from *Daphnis and Chloe* and the *Song to David*,the *Minstrel*, operatic plays on the Saul and David story, and many other reminiscences from his reading[9].

A great deal therefore, has been said about the origin of Browning's 'Saul'. This then brings us back to my first point : that of Byron's poem, Jephtah's Daughter' in its setting by Schumann, as having been another likely source of Browning's poem. This realisation came to me in a moment of acute perception which must have found its first expression in the subconscious. 'Jephtah's Daughter' was one of the *Hebrew Melodiee* written at the request of the composer, Isaac Nathan, to be adapted to synagogal melodies. Nathan's musical setting of the poem is very inferior to that of Schumann, however, and in this new setting the poem becomes an inspired song.

It was Schumann's music[10] which flashed through my mind without any conscious effort on my part, while I was looking up Bronwing's 'Saul.' The opening lines of this poem should also be compared with those of Byron's 'Song of Saul Before His Last Battle'.[11] There the anapaest is reversed to a dactyl to evoke the abruptness and strength of the opening lines of 'Saul.' Yet if this poem may have exercised a marked influence on Browning's poem, an even closer impact has been

left on it by 'Jephtah's Daughter.12 This is a closer poem to, Saul', not only in rhythm and meter. but also in mood. It is very possible that the beat in Byron's lines may have given birth to that in Browning's through Schumann's music, particularly since the latter poet was such a competent musician. Consequently he may have heard the song at the Schumanns' with whom he had struck up a good friendship. Their gatherings were memorable :

> Two dinners with Joachim the musician — one with Made Schumann, and, better, one afternoon of their very admirable performance at a private house : one concert of Miss Zimmermann's — music in plenty ... 13.

Schumann's setting of 'Jephtah's Daughter' is the most beautiful to be found.[14] In *A Hundred years of Music*, Gerald Abraham describes the symmetry of his music "as being literary where Chopin's is purely musical.15 Literature, he goes on to explain,

> ... led him to think of music far too much in terms of verse or rhapsodic prose —admittedly the two forms of literature in which the words approach most nearly to the conditions of music. 16.

The critic justly thinks that Schumann "miraculously enables the poet to become a musician"17 and he

> ... brings to the lyric music that needs nothing but those words, to give it articulate expression.

The use of anapaestic metre is also apparent in "The Destruction of Sennacherib', and although it is this very

aspect of the poem which Quiller-Couch seems to resent, there is no doubt that the movement of the verse sweeps through the poetry with the blast of a strong wind. In spite of this, he says, however, that

> ...the rest of *Hebrew Melodies* reads to me,
> I confess, like a turgid school-exercise work :
>
> or :
>
> To the wolf and the vulture he leaves his wild
> flock,
>
> And descends to the plain live a stream from
> the rock,
>
> Then the pirates of Parga that live by the waves,
> And teach the ple Franks what it is to be
> slaves.
>
> I protest that my tongue stammers against continuing. 19.

Once again, in Browning's 'Saul' as in Byron's poems, we are brought irrevocably to hear, through these very same lines, that compelling beat in the poem.

> "... O Saul, it shall be
> "A Face like my face that receives thee; a
> Man like to me,
>
> "Thou shalt love and be loved by for ever : a
> Hand like this hand
>
> "Shall throw open the gates of new life to thee
> See the Christ stand.20

It is interesting to compare the above lines with the opening bars of Schumann's song' 'Jephtah's Daughter':

Op 95 №1

Con affetto. ♩= 120.

Since our Coun_try, our God, ah, my
Da die Hei_math, o Va_ter, da

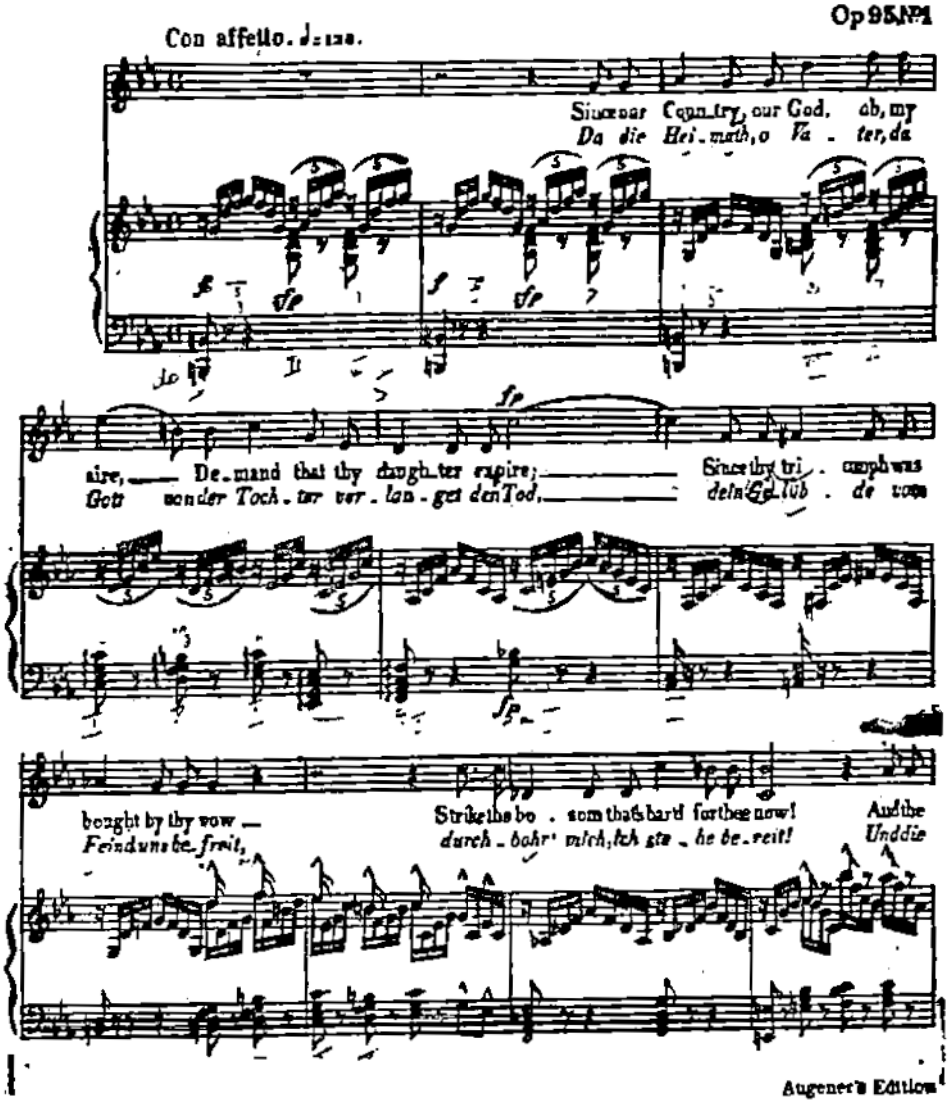

sire, De_mand that thy daugh_ter expire; Since thy tri_umph was
Gott von der Toch_ter ver_lan_get den Tod, dein Ge_lüb_de vom

bought by thy vow — Strike the bo_som that's hard for thee now! And the
Feind uns be_freit, durch_bohr' mich, ich ste_he be_reit! Und die

Augener's Edition

In the poetry, as in the music, there is a basic pattern of a fixed number of strong stresses with occasional changes in the position if the weak stresses. In 'Saul', on the other hand, if the anapaestic metre of the poem were to be translated into a musical one, it would have been in 5/4 time — Schumann's song is in 4/4 time—the five beats of each line being regular right through the poem. Roma A. King finds that "the anapaestic pattern is so forcefully established that the kind of shifting stress found in most of Browning's poems becomes distracting in this one."[22]

For a poet who has spent a lifetime studying music, it is not surprising that words should first have moulded themselves into definite rhytlmical shapes lurking somehere at the back of his mind during poetic composition. In his article, Robert Browning the Poet-Musician', R. W.S. Mendl points out the fact that Browning himself wrote song-settings which he sang, but which he later destroyed. The poems Mendl mentions are Donne's 'Go and catch a Falling Star,' Hood's 'I will not have the mad Clytie' and Peacock's 'In the mountain sheep are sweeter. [23].

There is also reference to "his charming improvisations at the piano to the delight of his (Browning's) friends, his composition of songs, his friendships with Joachim and Clara Schumann,"[24] as having helped his natural talent for music to flourish and converge with his poetic inspiration. Poet-musicians write with great concentration on sound, even though they may not be aware of it. Sometimes this poetic inspiration may come rather late to them on account of the forces of poetry and music pulling them simultaneously in different directions. When it does come, however, unity is then achieved, and the words are invariably forced into the intricate patterns of music which have 'become part of their

very souls. The words then emerge in rhythm till awareness tells of the fact that a poem has come into being. This then is what may have happened during the composition of 'Saul.' It may be argued that Browning's poem can easily have been inspired without the help of Schumann's music. This of course, is perfectly plausible, but it is easier for a poet to adapt his own words to a musical, rather than a strictly metrical poetic pattern, uninspired by music. This is because the words of another poet would simply get in the way during composition. Although Browning, as a musician, would have found no difficulty in recognising and making use of Byron's metre in 'Jephtah's Daughter,' there is no doubt that the rhythm of music on its own is much purer and easier to transcribe into words than that of poetry.

JEPHTHA'S DAUGHTER.

Die Tochter Jephta's.

by BYRON.

Op 95 No 1

Con affetto. ♩= 120

Since our Coun_try, our God, oh, my
Da die Hei_math, o Va_ter, da

cire, De_mand that thy daugh_ter expire; Since thy tri_umph was
Gott von der Toch_ter ver_lan_get den Tod, dein Ge_lüb_de vom

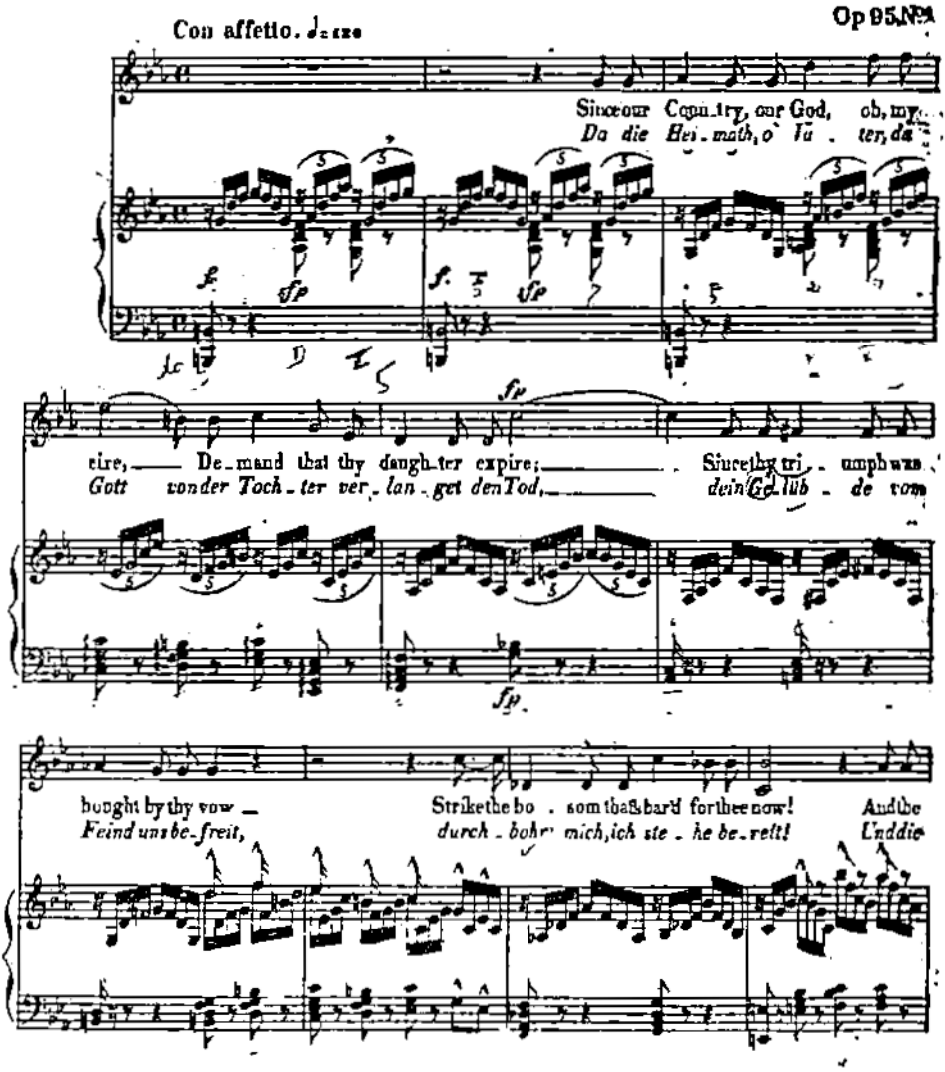

bought by thy vow Strike the bo_som that's bar'd for thee now! And the
Feind uns be_freit, durch_bohr' mich, ich ste_he be_reit! Und die

Augener's Edition

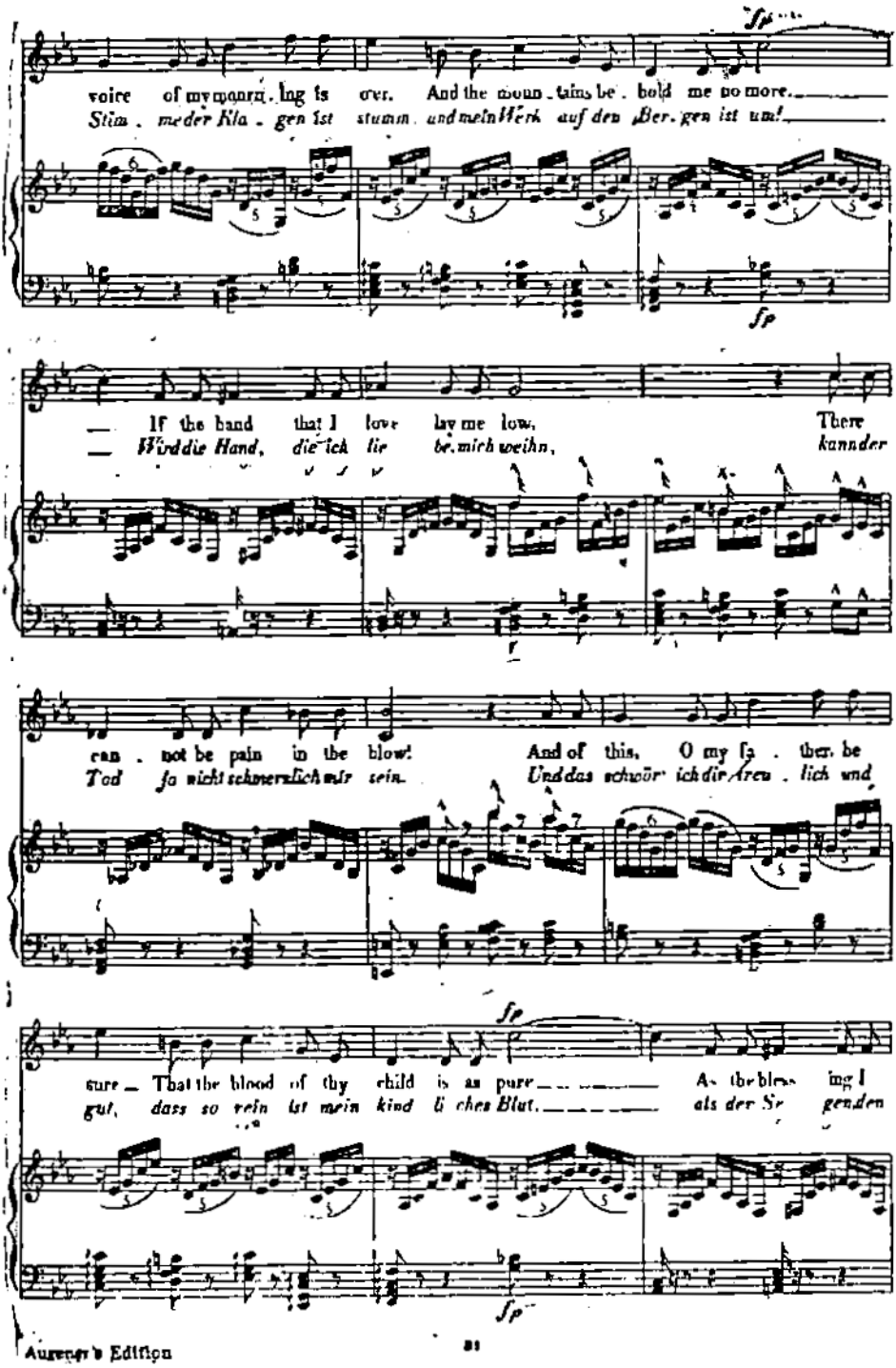
sf
voice of my mourn. ing is over. And the moun. tains be. hold me no more.
Stim. meder Kla. gen ist stumm. und mein Werk auf den Ber. gen ist um!
sf
If the hand that I love lay me low, There
Wird die Hand, die ich lie be, mich weihn, kann der
can. not be pain in the blow! And of this, O my fa. ther, be
Tod so nicht schmerzlich mir sein. Und das schwör' ich die Are. lich und
sf
sure. That the blood of thy child is as pure. As the bless. ing I
gut, dass so rein ist mein kind li ches Blut. als der Sr genden
sf

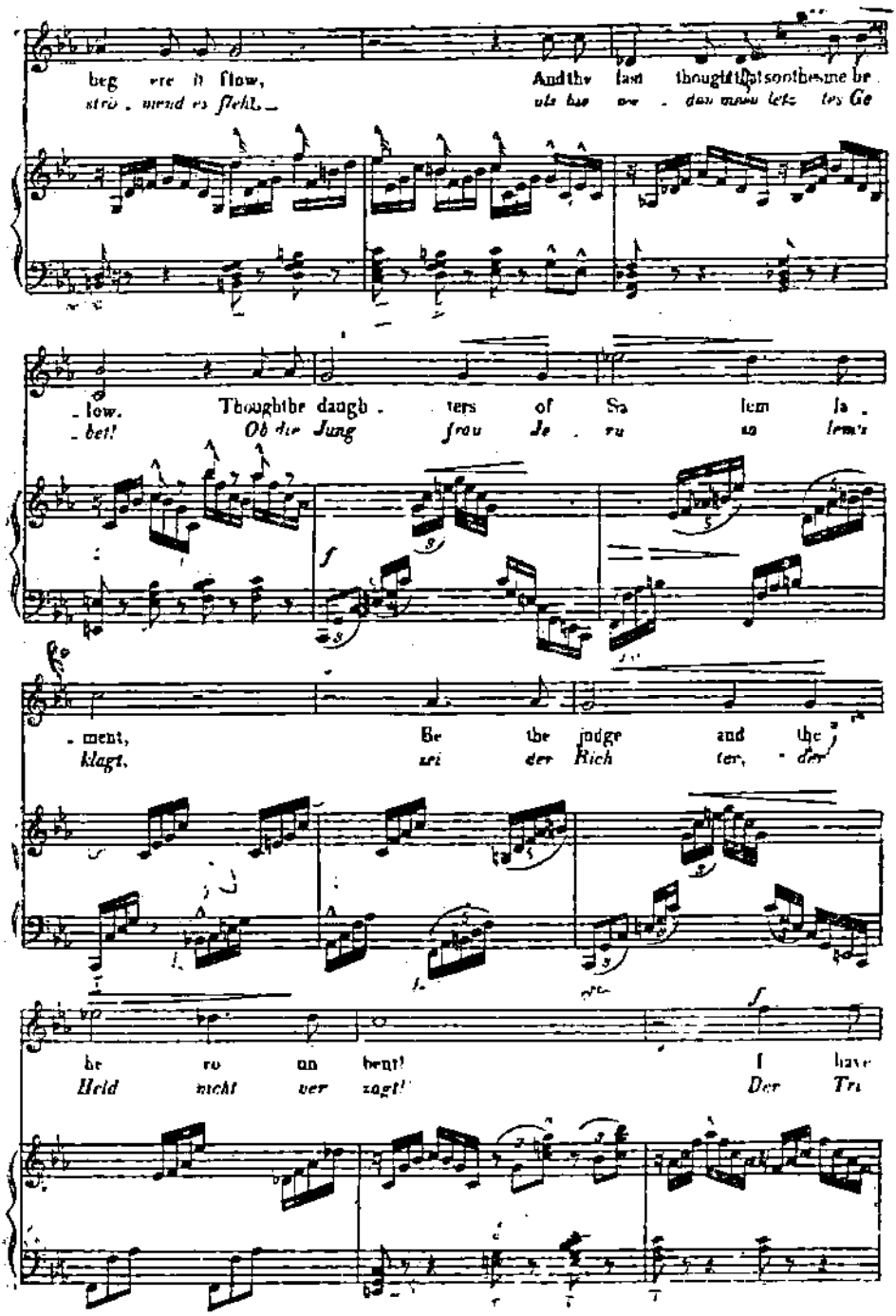

beg ere it flow, And the last thought that soothes me be-
strö - mend es fleht, als bis we - dan meen letz tes Ge

- low. Thought the daugh - ters of Sa lem la -
- bet! Ob die Jung frau Je - ru sa lem's

- ment, Be the judge and the
klagt, sei der Rich ter, der

he ro un bent! I have
Held nicht ver zagt! Der Tri

Augener's Edition

won the great bat - tle for thee.
umph kam durch mich euch her bei,

And my fa - ther and coun try are
und mein Va - ter, die Hei math sind

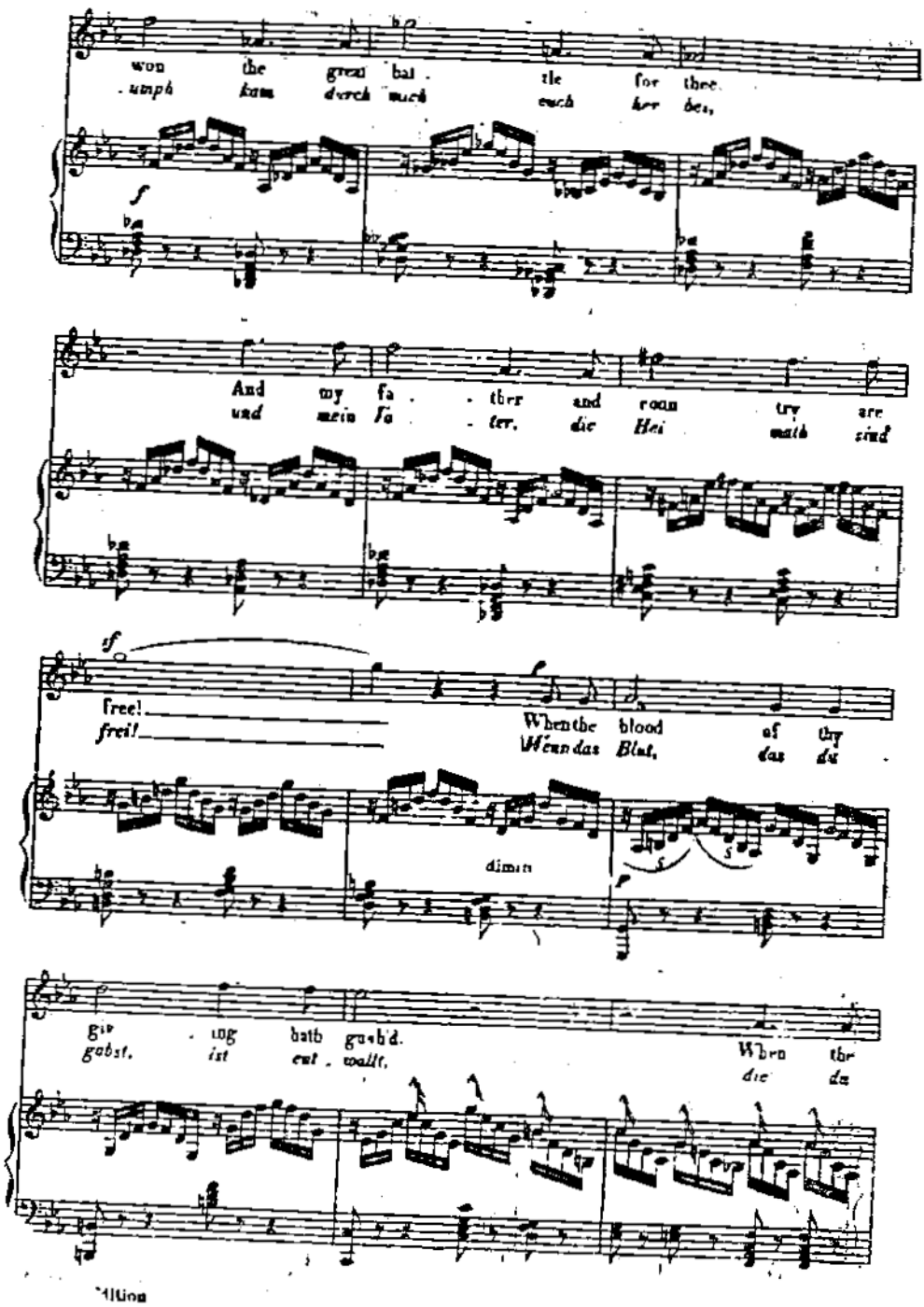

free! When the blood of thy
frei! Wenn das Blut, das du

giv - ing hath gush'd. When the
gabst, ist ent - wallt, die du

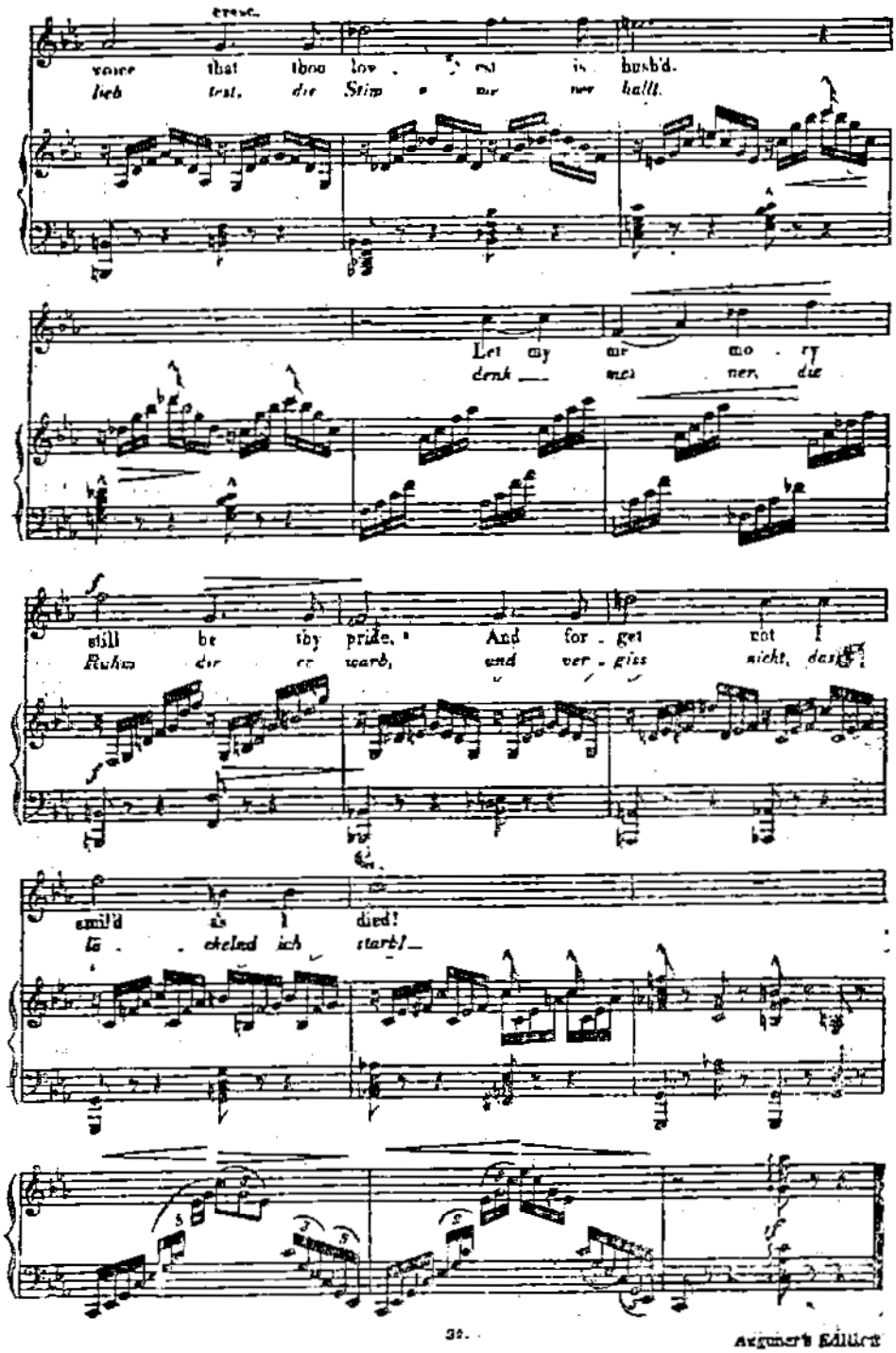

cresc.

voice that thou lov - est is hush'd.
lieb test, die Stim - me ver hallt.

Let my me mo - ry
denk — mei - ner, die

f

still be thy pride, And for - get not I
Ruhm dir er warb, und ver - giss nicht, das ich

smil'd as I died!
lä - chelnd ich starb! —

sf

Augener's Edition

1. The University of Michigan Press, 1964, p. 102.

2. Vicar of Newcastle (1715 — 1766) and author of 'A Dissertation on the Rise, Union and Power, and the Progressions, Separations, and Corruptions, of Poetry and Music to which is prefixed 'The Cure of Saul, a Sacred Ode', 1763. pp. 5 — 19. The odeitself was performed at Covent Garden, but I have not been able to trace the music.

3. Id., pp. 8 — 9.

4. W.L. Phelps, ibid. He quotes only two lines from this text, but this is the passage in full. See above, n. 2.

5. Ibid.

6. See W.T. Young, *Robert Browing : a Selection of Poems* (1945—1864), 1911, n. to 'Saul', p. 216. Note that the date of publication here is the same as that of Browning poem. See also J.A. Macpeek's "The Shaping of Saul," JEGP, 1945, p. 360, n 3.

7. *Philogical Quarterly*, VII, 1928, p. 314.

8. *The Letters of Robert Browning and Elizabeth Barett*, (1985 — 1846), ed. Elevan Kintner (Letter to Browning of 12 Jan., 1846), Cambridge, Mass., 1969, p. 387.

9. Op. cit., p. 365.

10. This has been discussed in my doctoral thesis of Nov. 1967 (University of London), on *The Light Thtown on the Poetry of Tennyson, Blake and Byron by the Musical Settings of British and Foreign Composers Who have Set Its Words to Music*. See pp. 369 — 74.

11. See R. Browning, *The Poetical Works*, I, 1896, p. 273.

12. *Myrthen*, op. 25, Augener & Co., 1889.

13. *Learned* Letters from Robert Browning to Mrs. Thomas Fitzgerald (1867—1889), ed. D.C. Macpeek, Cambridge Mass., 1966, (Letter 70). See also *New Letters of Robert Browning*, ed. W.C. Devane and K.C. Knickerbocker, 1951, p. 304, and n. 2, pp. 304 — 4.

14. See songs listed in my thesis and compiled from the British Museum *Catalogue of Modern Music after* 1800 (A-Z), op. cit., pp. 421 — 34.

15. 1964, p. 34.

16. Ibis.

17. Id., p. 37.

18. Ibid.

19. *Byron the Poet,* 'Byron a Study', (A Collection of Addresses and Essays) ed. W.A. Briscoe, 1924, p. 10. See also H.H. Hatcher, *The Versification* of *Robert Browning.* The author refers to Browning's aggressive sense of pattern" in 'Saul,' (Ohio, 1928, p. 26) but this description is more true of Byron's 'Song of Saul Before Last Battle', Hatcher seems to have felt the resemblance between these poems, but it is a pity he has not developed his point more fully.

21. *Myrthen,* op. cit., See Appendix to thisatrcle, p. 1.

22. Op. cit., p. 116.

23. *Music and Letters,* 2 Apr. 1961, p. 143.

24. Id., p. 150.

GEOGRAPHIC VARIATIONS OF FERTILITY RATES IN ARAB CONTRIES*

By

F. M. ABOU AIANAH

The countries covered in this study extend from the Atlantic Ocean to the Arabian Gulf. These countries are Morocco, Algeria, Tunisia, Libya, Egypt and Sudan in North Africa; Syria, Jordan, Iraq and Kuwait in South West Asia, altogether, ten in number. The ten countries together have a total area of about 9 million Km2 and a population of about 90 million inbabitants and thus constitute 6.6½ of the land area of the world, but only 2.7½ of the total population of the world in 1965.

Sudan is the largest Arab country (2,505, 813 Km2) and Kuwait is the smallest (16, 000 Km2). Similarly Egypt is the largest in population size (29million inhabitants in 1965), and Kuwait is the smallest (less than ½ a million in 1965). The density of population also differes between these countries, with Libya having the lowest density (0.9) and Morocco the highest (29.9). The physiographic density reaches 30 persons per Km2 in Morocco, Kuwait and Egypt and drops to 5 persons in Sudan, Algeria and less than one person per Km2 in Libya. The density per sq. Km. of cultivated land shows a big difference; it reaches 748 persons in Egypt against 17 in Iraq, 59 in Syria and 26 in Algeria.

*This paper was a result of a joint-research between the author and M.W. Nouri from Syria under the supervision of Dr. K.C. Zacharaiah, an U.N. expert in Cairo Demographic Centre in 1970.

In general, the fertility level in Arab countries is high, but the level varies somewhat from country to another. Many of the Arab countries cover vast stretches of land. Therefore, the level of fertility in one part of the country may be different from that in other. Fertility of a population varies according to its socio-economic status. On this account also one should expect variation in fertility level from one region of the country to another. A study of the extent of such variation in the 10 Arab countries is the object of this study.

I. TYPE OF GEOGRAPHICAL UNITS

Aiming at showing the regional and other geographic variations in fertility in Arab countries, the study uses the following geographical units :

a) *Countries* : Because of the lack of data for some of the Arab countries only 10 countries are included. The names of these countries have been mentioned early.

b) *Regions Within Countries* : Every Arab country covered in this study was divided into major geographical regions. This division was based on the physiographic features and administrative boundaries. Accordingly, every main region distinguished with a certain physiographic landscape in a certain direction and limited by the boundaries of one or more governorate. For example, Morocco was divided into three regions : South-Western region, Central region and North Coastal region. Algeria also was divided into three regions: Internal region, North-Eastern Coastal region and

North-Western Coastal region. Thunisia was divided into Southern, Central and Coastal regions. Libya, into three regions, Western, Eastern and Southern regions. In case of Egypt, where the Nile Valley and the Delta are the principal inhabited area, the country was divided into Lower Egypt, which is Nile Delta, Middle Egypt and Upper Egypt, the last two comprising the Nile Valley. Sudan, as a vast country covering about 2.5 million sq. Km., is divided into three main regions : Southern region, with its unique human landscape, Mid-Central region, where agriculture is tbe main economic activity, and Northern Desert region. In the Asian region, Syria was divided into three regions : North Eastern region, North Western region, and Southern region, Jordan into two : Eastern Bank and Western Bank of River Jordan. Iraq was divided into three regions : Western region, Northern region and Southern region. Kuwait with its small area is divided into capital region and other areas.

c) *Urban and Rural Units* : Rural and Urban areas of a country are not contiguous geographic units; the sub-areas in each are scattered all over the country. Although they are not contiguous units each rural or urban centre has a geographic boundary. We have therefore included them in our study of geographic variations in fertility rates.

The Urban-Rural variations in fertility are studied according to the local definition of Urban. This definition is not the same in all the Arab countries, and Urban is not explicitly defined in some of them. For Example, in Morocco, Algeria and Tunisia

populations are considered urban if they are living in centers having local self government. In Egypt and Syria, governorate and district capitals are considered urban.

Greater details of the differences in the definitions are given in the appendix.

d) *Urban Centers by size* : In addition to the comparison of all urban areas with rural areas we tried to study variations within urban areas by size of the urban centres. However, it was not possible to include in this analysis all the towns :only a few are included. Selected towns in every country were arranged according to the size; in Morocco (10 towns), in Algeria (4), in Libya (3), in Egypt (12), in Sudan (3), in Syria (3), in Iraq (4) and in Jordan (3).

e) *Variations within some big Cities* : The fourth type of geographic units is sub-areas within big cities. Fertility varies within large cities from one part to the other. A geographic pattern of variation may be discerned in some of the cities. However, in our study, we have taken for analysis only one city namely Cairo. This is the biggest city in the whole Arab World. The analysis may be taken as an example, (but need not typical) showing the type of fertility variations within big urban centres.

II. AVAILABILITY OF FERTILITY DATA AND TYPES OF FERTILITY MEASURES

The ten countries vary considerably with respect to the availability of the data related to geographic variations in fertility. At one extreme there is the Sudan which has not yet taken a "census" in the strict meaning of the term "census". In 1955/56 a sample of the population of the country was enumerated over a period of fourteen months. Since tben, a series of population and housing surveys were conducted in the urban areas of the northern provinces. The demographic data available for the Sudan consist of such fertility measures as crude birth rate and child-woman ratio by provinces and by mode of living as obtained in the 1955/56 census and the 1964/66 sample survey of towns. On the other extrme, there is Egypt with abundant census and vital statistics data. Since the relevant data of the latest census taken in 1966 are not available, fertility measures by regions were calculated according to the previous census of 1960 and the vital statistics of the same year.

Kuwait is an example of a country which has a recent census(1) and a vital registration system which provides fairly reliable information on the geographic variations in fertility. In the other African countries, measures have been derived mainly from census results. Morocco, Algeria, Tunisia and Libya, have censns data on geographic varitions in the years 1960, 1966, 1966 and 1964 respectively. In Algeria and Tunisia especially in the latter the birth registration is fairly complete (2).

1) Kuwait has taken its latest census in 1970, but the data from this census were not available at the time of writing this report.

2) K.C. Zacharaiah, The Demographic Measures of Arab Countries; a Comparative Analysis, (unpublished), p. 3.

The sources of data for each of the countries are indicated below :

Morocco : The age distribution from 1960 census of Morocco, fertility data from 1961—1963 demographic sample survey.

Algeria : The age distribution from 1966 census of Algeria, birth registrtion data for recent years.

Tunisia : The age distribition for 1966 census of Tunisia, birth registration data for recent years.

Libya : The age distribution from 1964 census of Libya.

Egypt : The age distribution for the 1960 census and birth registration data for the same year.

Sudan : Poulation sample census of 1955 — 1956.

Syria : The age distribution from 1960 census of Syria.

Iraq : The age distribution from the 1965 census of Iraq.

Jordan : The agé distribution of 1961 census of Jordan and birth registration data for recent years.

Kuwait : The age distribution of 1965 census of Kuwait and birth registration data for recent years.

From the above description of the availability of fertility data for the Arab countries, it is evident that only

simple measures of fertilty can be used in the analysis. The most widely usable measure is the child woman ratio, that is the ratio of children aged 0—4 or 5—9 years to women in reproductive ages (15—44) or 20—49 years).

In a few countries such as Egypt, Kuwait, Algeria and Tunisia it is possible to use the crude birth rate and similar measures that are calculated from current birth registration data.

Table (1) shows the availability of fertility measures for studying geographic variations of fertility in the 10 Arab countries covered in this study :

From Table (1) it is evident that the most widely used fertility measure is the child woman ratio. The limitations of the measure for fertility comparison are well known. This ratio is strongly influenced by deficiences and irregularities in the census results. Although under-enumeration at the census may occur in any age group and, hence may affect both the numerator and the denominator of the ratio, it appears that in most censuses a greater proportion of young children is omitted from the count than of older persons. Moreover, the child-woman ratio is often greatly influenced by variations of infant and child mortality and by the effects of migration or population structure which are likely to be especially important in rural-urban comparisons. However, in this study child-woman ratio is used for comparison within a country at one census and therefore the effect of differential enumeration and differential mortality will be a minimum.

Table 1. Availability of Fertility Measues for Studying

Country and Fertility Measure		Major Regions	Urban Rural	Urban by size	Within cities
1. Morocco, C.W.R.	(1961)	✓	✓	✓	*
2. Algeria	(1966)				
C.W.R.		✓	✓	✓	*
C.B.R.		*	✓	*	*
3. Tunisia	(1965)				
C.W.R.		✓	✓	*	*
C.B.R.		✓	*	*	*
G.F.R.		✓	*	*	*
4. Libya	(1964)				
C.W.R.		✓	✓	✓	*
5. Egypt	(1960)				
C.W.R.		✓	✓	✓	*
C.B.R.		✓	✓	✓	*
G.F.R.		✓	✓	*	*
6. Sudan	(1955/56)				
C.W.R.		*	*	✓	*
C.B.R.		✓	✓	*	*
7. Syria	(1950)				
C.W.R.		✓	✓	✓	*
8. Jordan	(1961)				
C.W.R.		✓	✓	✓	*
C.B.R.		✓	*	*	*
G.F.R.		✓	*	*	*
G.R.R.		*	*	✓	*
9. Iraq	(1965)				
C.W.R.		✓	✓	✓	*
10. Kuait	(1965)				
C.W.R.		✓	✓	*	*
C.B.R.		✓	✓	*	*
G.F.R.		✓	✓	*	*

✓ Shows that the measure can be calculated

* Shows not available data.

In case of measurements based on vital statistics, it is likely that the comparisons are affected by differential under or over-registration. This point is particularly significant in rural-urban comparison. Crude birth rate is also affected by age-sex distribution of the population. The effect of population composition is eliminated by calculating sex-age adjusted birth rate and general fertility rate.

III. VARIATIONS OF FERTILITY BETWEEN COUNTRIES

As mentioned earlier the overall fertility level in Arab countries is high. However, there are some differences in their levels. Egypt, which is the biggest political unit in the region, seems to have the lowest fertility rates. At other end of the scale come countries like Morocco, Algeria, Sudan, Jordan and Iraq. The fertility measures from which the above conclusions are drawn are given in Table (2) and Figure 1. On the whole it was found that Asian Arab countries (Syria, Jordan, Iraq and Kuwait) have relatively higher fertility rates than the African Arab countries. If we consider these countries by their geographic locations we find that the C.B.R. decreases from west to east along the Mediterranean. It is 49.6% in Morocco, 49.5% in Algeria, 46.4% in Tunisia, 46.4 % in Libya and 44.5% in Egypt. The pattern in Asia is just the opposite; the rate increases as one goes from west to east. The C.B.R. is 47.9 % in Syria, 49.2 in Jordan, 49.5 in Iraq, then reaches 51.0 % for the Kuwaitians in Kuwait. Thus, in the Arab world, Egypt is a zone of low fertility (relatively); as one goes furthr away from Egypt the C.B.R. increases.

Table 2. Some Fertility Measures in 10 Arab Countries (1965)*

Country	C.W.R. 0—4	C.W.R. 5—9	C.B.R.	G.R.R.
Kuwait (Kuwaitians)	1039	1048	51.0	3.67
Algeria	964	883	49.5	3.50
Iraq	934	893	49.5	3.48
Syria	937	890	47.9	3.46
Jordan	920	837	49.2	3.46
Tunisia	921	864	46.4	3.41
Morocco	896	835	49.6	3.40
Sudan	877	828	49.0	3.40
Libya	898	812	44.5	2.97
Egypt	803	751	44.5	2.97

* C.D.C. Newsletter, June 1969, No. 1; the C.W.R. re calculated from original data.

IV. REGIONAL VARIATIONS WITHIN COUNTRIES

In all the countries we have analysed, fertility seems to vary from one part of the country to the other. The relevant measures are given in Table (3). For example, in Morocco it is observed that fertility is higher in South West region than in the Central and North Coastal region. The child-woman ratio (0—4) in the South West region is higher by 46 units (per 1000) or 5% when compared with the Central region, and by 71 units (per 1000) or 8% when compared with the North Coastal region. The index of fertility based on children (5—9) gives more or less the same type and extent of differentials.

In Algeria, it is observed that fertility in the Internal region and North Eastern Coastal region is higher than

that in the North Western Coastal region. The child-woman ratio (0—4) in the Internal region is higher by 25 units (per 1000) or 2.5 % when compared with N.E. Coastal region and the same degree of difference could be found between N. E. Coastal region on the one hand and N.W. Coastal region on the other. The fact, that the Internal and theN.E. Coastal regions have higher fertility than N.W. Coastal region can also be demonstrated by the child-woman ratio based on children (5—9). In the first two regions this ratio is higher by 11% than the third region, although there is no clear difference between the Internal and the N.E. Coastal region.

In Tunisia there are several evidences that fertility decreases from south to north direction. The Southern region has the highest fertility rate. Child-woman ratio (0—4) in the Southern region is higher by 3% when compared with the Central region which in turn has higher child-woman ratio when compared with the Coastal region (8%). The adjusted birth rate and general fertility rate show the same type of variation. In Southern region, the adjusted birth rate is higher by 7% and general fertility rate by 8% than the Central region. The two fertility indices are higher in the latter region than the coastal region by 6% and 5% respetively.

Although the CWR (0 — 4), the adjusted birth rate and general fertiity rate show the same type of regional variations, the index of fertility based on children (5—9) differs to a certain extent, where Central region is higher than the Southern region by2%. Since the difference is very small we may ignore this discrepancy. In the same time it corresponds with the other measures indicating that the Coastal region has the lowest level of fertility than the other two regions.

In Libya tbere is no evidence of clear geographic variations in fertility within the country. By using CWR (0—4) it is noticed that the Western region has higher ratio by 2% than the Southern region, and this latter region in turn, has higher ratio than the Eastern region by 5%. But a different conclusion could be reached if CWR (5—9) is used as a measure. On the basis of this index the Eastern region is less fertile than the Western region which in turn is less fertile than the Southern region.

In Egypt there is considerable evidence to show that fertility is higher in Lower Egypt than in Middle and Upper Egypt. The Child-woman ratio (0 — 4) in Lower Egypt is higher by 56 units or 7.6% than that of the Middle Egypt and by 14 units or 1.8% than that of Upper Egypt. The index of fertility based on children (5—9) gives the same type of geographic variations, where Lower Egypt is higher than Middle Egypt by 146 units (per 1000) or 21.4%, and by 96 units or 13.1% when compared with Upper Egypt. The adjusted birth rate and general fertility rate show the same type of variation between Lower Egypt on the one hand, and the other two regions on the other. The adjusted birth rate in Lower Egypt is higher by 10.5 % when compared with Middle Egypt and by 19.4% when compared with Upper Egypt. The corresponding percentage differences when the general fertility rate is used as the index are 10.6 % and 30.9% respectively.

In Sudan, fertility decreases from South to North. It is highest in the Southern region and lowest in the Northern region. Crude birth rate in the Southern region is higher by 7.2 units or 15% compared with the Mid-Central region. This latter region in turn, has a higher crude birth rate by 1.7 units or 4% when compared with

Northern region, which constitutes the largest area of the Sudan and is characterized by its nomadic mode of life.

In Syria, fertility seems to be higher in the North Eastern region than the North-Western region, which in turn has higher fertility than the Southern region, CWR (0—4) in N.E. region is higher by 113 units or 11% than the N.W. region. This latter region has a higher ratio and the difference is 56 units or 6% compared with the Southern region. The index of fertility based on children (5—9) shows the same pattern of variatons within Syria. The N.E. region is higher by 105 units or 11% than the N.W. region, whose index is higher by 113 units or 13% than the Southern region.

In Jordan, all indicators show that fertility is higher on the Eastern bank of river Jordan, than on the Western bank of this river. CWR (0—4) is higher by 53 units or 6%; CWR (5—9) is higher by 99 units or 12%, the adjusted birth rate shows a small difference and general fertility rate is higher by 7 units (per 1000) or 3%.

In Iraq, the Western region seems to have the highest fertility followed by Northern region, and Southern region. The CWR (0—4) in Western region is higher by 136 units or 12% compared with the Nothern region. The ratio of this last region is higher by 93 units or 9% compared with that of the Southern region. The index of fertility based on children (5—9) shows the same type of variation. It is higher in the Western region than in the Northern region (by 131 units or 13%). Also this latter region has higher ratio and the difference is 50 units or 5%.

Kuwait State is too small to be divided into broad geographic regions. But on the whole, it can be divided into two main regions: the capital region and the other areas. From Table (3) it is quite clear that fertility is higher in "other areas" than in the capital region. The CWR (0—4) in the "other areas" is higher by 198 units (per 1000) or 22 % than the capital region. Adjusted birth rate shows a big difference of 16.5 units per 1000 or 35%. The same type of differnce could be seen in general fertility rate where the difference is 95 units (per 1000) or 45%.

The variations in fertility in Arab countries are illustrated in Fig. 1. The variations are large in some countries, but small in others. We have taken variations of 10% (table 4) or more in ASABR or GFR or average of CWR at ages 0—4 and 5—9 years as significant, and others are less significant. According to this critirion, regional variations in Kuwait, Iraq, Syria, Sudan, Egypt and Tunisia are significant, and those in Morocco, Algeria, Libya and Jordan are too small to be any real significance in fertility analysis.Among the countries which have significant variation, Kuwait-between the capital governorate and the other areas-is the most gloring. The variation between Upper Egypt and Lower Egypt is also very large and demographically significant.

V. RURAL-URBAN DIFFERENCES

That urban people are less fertile than rural is one of the widely observed and widely-discussed phenomena in the field of fertility. It has often been suggested that urbanization is closely connected with the decline in fertility. The evidence that families are larger among rural than urban population has been cited in support of this contention.

Table 3. Geographic Variations in Fertility by Major Regions in Ten Arab Countries.

Country and Region	Year	C.W.R. 0—4	C.W.R. 5—9	A.S.A.B.R.	G.F.R.
1. Morocco	1961				
S.W. Region		945	859		
Central R.		899	846		
N. Coastal R.		874	811		
2. Algeria	1966				
Internal R.		1056	960		
N.E. Coastal R.		1031	961		
N.W. Coastal R.		1006	865		
3. Tunisia	1965				
Southern R.		1027	900	57.5	233
Central R.		994	918	59.9	216
Coastal R.		918	888	51.0	205
4. Libya	1964				
Western R.		949	871		
Eastern R.		886	885		
Southern R.		932	796		
5. Egypt	1960				
Lower Egypt		792	829	49.3	199
Middle Egypt		736	683	44.6	180
Upper Egypt		778	733	41.3	152
6. Sudan	1955/56				
Southern R.				54.6*	
Mid-Central R.				47.4*	
N. Region				54.4*	
7. Syria	1960				
North-Eastern R.		1154	1079		
North Western R.		1041	974		
Southern R.		985	861		
8. Jordan	1961				
Eastern B.		900	921	52.7	217
Western B.		847	822	52.5	210
9. Iraq	1965				
Western R.		1251	1143		
Northern R.		1115	1012		
Southern R.		1022	962		
10. Kuwait	1965				
Other areas		1110	894	64.3	305
Capital R.		912	910	47.8	211

*C.B.R., Source : Demeny, P., The Demography of the Sudan, *"The Demography of Tropical Africa"*, p. 511.

Table 4. Percentage of Variations in Fertility Between Highest and Lowest Regions Within Arab Countries

Country	C.W.R.		A.S.A.B.R.	G.F.R.
	0—4	5—9		
Morocco	8.1	5.9	—	—
Algeria	5.0	11.1	—	—
Tunisia	11.9	3.4	12.7	13.7
Libya	7.1	11.2	—	—
Egypt	7.6	21.4	19.4	30.9
Sudan	—	—	20.3*	—
Syria	17.2	25.3	—	—
Jordan	6.3	12.0	0.4	1.4
Iraq	22.4	21.3	—	—
Kuwait	21.7	1.8	34.5	45.0

* C.B.R.

Many social scientists believe that modern large cities have provided a particularly favourable environment for the development of attitudes motivating family planning and means to implement the motivations. Family life in urban areas is less cohesive and children are not regarded as an economic asset in the city as they are in the villages(1).

The process of urbanization in developing countries has not been quite similar to the corresponding process in the currently developed eountries. One major differnce is in the way of life of the new urban population. It has been suggested that in developing countries geographic mobility from the rural to the urban does not bring about any appreciable social mobility and the way of life of

1) U.N., The Determinants and Consequences of Pouplation Trends, New York, 1953, p. 78.

the new arrivals in the city remain "rural" for a long time. If this is true we need not expect any significant decrease in the urban fertility level compared with the rural rate. In fact, it is obsevred in some studies that urban fertility is as high if not higher than the rural fertility. In the following paragraphs we shall examine the available data for the Arab countries with respect to rural-urban difference in fertility rates.

From Table (5), it is clear that the rural-urban differences in fertility is not the same in all the Arab countries. The fertility measures given in the table show that rural

Table 5. Rural-Urban Differentials in Fertility in Arab Countries

Country	C.W.R.				A.S.A.B.R.		G.F.R.	
	0—4		5—9					
	Urban	Rural	Urban	Rural	Urban	Rural	Urban	Rural
Morocco	796	965	744	889				
Algeria	928	873	1049	1032	46.2*	42.3*		
Tunisia	876	1024	877	914**				
Libya	958**	902***	845	897***				
Egypt(1)	773	782	825	761	46.6	47.2	192	188
Sudan(2)					38.3*	52.8		
Syria	964	1083	868	998				
Jordan	905	851	873	874				
Iraq	956	1050	847	964				
Kuwait	1070	1010	842	934	49.9	62.8	239	284

* C.B.R.

** C.W.R. for Governorate Capitals

*** C.W.R. for Libya excluding Governorate capitals

(1) Excluding Frontier Governorates

(2) First population census of Sudan 1955/56, Final Report, Vol. I, p. 30.

populations have high fertility rates in only six countries out of the ten Arab countries. In Morocco(1), Tunisia, Sudan, Syria,Iraq and Kuwait the child-woman ratio (0—4) is higher in rural than in urban populations. The differences are quite substantial in some of the countries: 116 units in Morocco, 148 units in Tunisia, 119 units in Syria and 94 units in Iraq. The child-woman ratio calculated from the age group (5—9) years on the whole supports the above conclusion. The rural ratios are higher by 145, 37, 130 and 117 units (per 1000) in these four countries. In the Sudan fertility as measured by the crude birth rate indicates very much higher rate for the rural population. The difference in the crude birth rate is as much as 14 units or 36%. In Kuwait also the available data indicate a higher fertility level in rural than in urban areas. The child-woman ratio (5—9), the adjusted birth rate and general fertility rate is higher in rural by 10.9 %, 25.9% 18.8% respectively than urban, although child-woman ratio (0—4) shows a slightly lower value for the rural populatons.

In the case of the other countries, namely, Algeria, Libya, Jordan and Egypt, the rural-urban difference is either not very clear cut or opposite to what is found in the countires mentioned before. In the case of Algeria, the available data do not support a higher rural fertility. The child-woman ratios at (0—4) and (5—9) years and the crude birth rate all support a higher fertility rate for the urban population.

This exception in the rural-urban variations noted in Algeria may be due to deficiencies and irregularities in the

1) A slightly difference showing an opposite situation in 1961/63 sample surveys was remarked, where the CBR was 4.5.6‰ in rural against 47.2‰ in Urban

census results. The age groups (0—4) and (5—9) seem to be under-enumerated in the census(1) Similarly the under-registration of births may be greater in the rural areas. For instance Mr. Karkoub estimated that the corrected crude birth rate is 48.5% in urban areas and 54.3 in the rural. In the case of Libya, data are limited and show contradicting patterns, with rural population showing low fertility when child woman ratio at ages(0—4) years is used and urban population showing low level when child-woman ratio (5—9) is used. On the other hand in Jordan the child-woman ratio on the whole is higher for the urban poulation suggesting a relatively higher urban fertility. In an earlier study made by the Department of Statisitics in Amman, it was found that the number of children under five years per 1000 ever married women in childbearing age was larger in almost all towns than in the surrounding rural areas. In Jerusalem city for example this ratio was 13% higher than in Jerusalem district; In Irbid town it was 11% higher than in Ajlun district; and in Aqaba town it exceeded the ratio of Ma'an district by as much as 24%(2).

In the case of Egypt the age -sex adjusted birth rate indicates that urban fertility is slightly lower than rural fertility. The difference is only 0.6 births per 1000population. This index, perhaps, measures correctly the nature of rural-urban differences in the country. The higher urban fertility as shown by child-woman ratio at age (5—9) may be mainly due to errors in the age distribution and/or the effect of migration of school children to urban areas.

---

1) Karkoub, M. Estimations des paramêtres demographiques de la population Musulmane d'Algerie (1954), N.A.D.C., 1965, p. 17.

2) The Hashemite Kingdom of Jordan, Dep. of Statistics. "Analysis of the poupulation Statistics of Jordan", Vol. I, thirdreport, Amman, 1966, p. 16.

Other studies showed that the crude birth rates of all urban aras, where birth registration can be assumed to be nearly complete were definitely lower than those of rural areas before World War II. Since 1945, the rural crude birth rate has been generally smaller than those of Cairo and Alexandria or other urban communities untill1958/59 when it was virtually equal to the coresponding rates in the rest of the country except Alexandria.This observation ought to be taken with care, however, since it may only be due to a certain degree of under-reporting of births in rural areas(1).

From the results of the 1960 Census of Egypt, other studies have showed that fertility is higher in urban than in rural areas. This situation is mainly due to the fact that a large proportion of urban populations have rural roots and the urban milieu has had little effect upon them.(2).

VI. FERTILITY DIFFERENCES BY SIZE OF TOWNS

The difference between urban areas and rural areas is only one aspect of the difference associated with population size of the locality (town or village). If fertility is lower than rural fertility, one should expect a decrease in fertility if the size of the town increases. To bring out such difference we give two tables. In table (6), the C.W.R. of urban areas is compared with the corresponding ratio of semi-urban areas. It is found that fertility in urban areas, which are mainly the governorate capitals, is lower than the semi-urban areas in Syria, Iraq and Kuwait. C.W.R. (0—4) in the urban is lower than that of the semi-urban by 53,75, 191 units (per 1000) or 5.6%,

(1) El-Badry, M.A.,"Trends in the components of population growth in the Arab countries of the Middle East, Demography, 1965 vol 2, p. 148.

(2) Zikry, A. Urbanism and its effect upon fertility of women in U.A.R.(in Arabic), N.A.D.C., 1964, p. 6.

Table 6. C.W.R. In Urban and Semi-Ubran In 5 Selected Arab Countries

Country	Urban(1)	Semi-Urban(2)	Total Urban
Egypt			
(0—4)	757	821	773
(5—9)	871	719	825
Syria			
(0—4)	955	1008	964
(5—9)	860	907	868
Jordan			
(0—4)	897	918	905
(5—9)	879	862	873
Iraq			
(0—4)	931	1006	956
(5—9)	829	885	847
Kuwait			
(0—4)	969	1150	1070
(5—9)	832	850	842

(1) Governorates Capitals
(2) Other Urban areas

8.1%, 19.7% respectively. The same pattern may be observed with C.W.R. (5—9) where the difference is 47, 56, 18 units (per 1000) or 5.5%, 6.8%, 2.2% in the three countries respectively.

We have mentioned before that variations in fertility between rural and urban is not clear-cut in some Arab countries like Egypt and Jordan. The same uncertainity could be observed in urban and semi-urban areas of these countries. There is no clear evidence that urban areas have lower fertility than semi-urban aras.

In table (7) the child-woman ratio of a number of towns in the Arab countries is given. The population size of the towns is also reproduced. The inverse relation

Table 7. Fertility Differentials in Urban Centres by Size (Main Cities)

Country	Cities	Pop. Size	C.W.R.		C.B.R.	Av.No.of children everborn for F.50+
			0—4	5—9		
1. Morocco	Casablanca	965277	800	697		
	Marrakech	243134	728	711		
	Rabat	227445	698	660		
	Fas	216133	720	766		
	Meknas	175943	736	709		
	Tanger	141714	634	604		
	Aujda	128645	816	816		
	Kanitra	105000	786	657		
	Tatwan	101352	644	589		
	Safi	100000	691	679		
2. Algeria	Alger	943142	961			
	Oran	328257	927			
	Constantine	253649	1003			
	Bonê	168790	987			
3. Libya	Tripoli	213506	956	823		
	Benghazi	137295	986	807		
	Zawia	111734	997	889		
4. Egypt	Cairo	3348779	749	793	49.5	
	Alexandria	1516234	739	833	43.3	
	Al-Giza	250532	656	711	*	
	Port Said	245318	756	895	34.7	
	Suez	203610	933	942	64.3	
	Tanta	184299	723	832	45.6	
	El-Mansura	151192	735	849	42.2	
	Assiut	127485	768	776	52.4	
	Damanhour	126600	757	909	41.7	
	Zagazig	124417	819	895	47.3	
	Ismailia	116302	910	950	53.4	
	El-Fayum	102064	772	766	48.3	
5. Sudan	Omdurman	113551	757	—	44.97	
	Khartoum	93103	806	—	48.56	
	El-Obeid	52372	802	—	48.22	
6. Syria	Damascus	529963	919	797		
	Aleppo	425467	924	884		
	Homs	137217	1035	884		
7. Jordan	Amman	246475	914	875		6.7
	Zarqa	96080	1078	921		6.9
	Jerusalem	60488	876	857		5.6
8. Iraq	Baghdad	668691	897	794		
	Basra	208594	911	804		
	Musul	194480	933	888		
	Kirkuk	128038	984	841		

*C.B.R. included in Cairo

between the urban size and fertility is observed in Syria and Iraq only. Damascus is the largest city in Syria and has the lowest fertility. Baghdad is the largest city in Iraq and has the lowest fertility when compared with all other towns in the country.Such a pattern is not observed in the other Arab countries shown in the table. There is no clear relation between urban size and fertility in all the other countries including Morocco, Algeria, Libya, Egypt, Sudan and Jordan.

VII. FERTILITY VARIATION WITHIN CITIES

Cities have business districts and residential areas, slum areas and well-to do areas. Fertility patterns within cities vary considerably by these types of areas in a manner that may be generalized for many cities.

Cairo, as largest urban center in the Arab countries may be taken as an example. With an area of 214.2 Km2 and a population of 3.5 million (1960), fertility variations within cities could be illustrated with this example. However, it is not assumed that the pattern will be similar in other cities.

On the whole, it is clear that eastern and southern Cairo has higher fertility compared with northern and western Cairo, as shown in the following figures :

Child-woman ratio within Cairo City

	(0—4)	(5—9)
Southern districts	815	809
Northern districts	778	784
Eastern districts	735	846
Western districts	706	768
Total	749	793

The lower level of fertility is observed in the western districts where child-woman ratio (0—4) is less by 109 units (per 1000) than the southern, and by 72 units than the northern and by 29 units than the eastern districts. Child-woman ratio (5—9) shows also that pattern to a great extent.

The western districts having low level of fertility are distinguished with certain characteristics. Within these districts, the central business area is situated where it contains few residents, some of whom live in hotels. Fertility tends to be low in the business districts (1).

Aiming at showing the relationship between fertility variations in Cairo districts and some socio-economic indicators, Table (8) is given as well as figures 4 and 5. The city is divided into three groups according to fertility level by using child woman ratio (5—9) years.

According to the occupational status of the population in Cairo two groups could be chosen as economic indicators as follows :—

1. Scientific and technical professions; teachers, engineers, physicians etc.

2. Craftsmen, production process workers, porters etc..

The first group includes 10 districts and is distiguished by high fertility where C.W.R. is more than 800 per 1000. In the districts of this group, populations seem to have low standards of living. About 2/3 of women in the reproductive age are illiterate and 7% of women are participating in active life, and moreover

1) Kiser and others, Fertility of American woman, New York, 1958, p. 95.

2.4 of economic active population are working in professional and technical occupations, whereas about 1/5 of the populaton are working as craftsmen and production process workers.

On the other extreme, fertility in the districts of the third group, comprising of only 4 districts, is low. C.W.R. is less than 700 per thousand. These districts seem to have the highest level of living compared with the other districts. Districts of these groups are distinguished with some socio-economic indicators as high proportion of literacy of women in the reproductive age and a high participation of females in the economic activities, Moreover, a higher proportion of professional and technical occuptaions, and a low proportion of craftsmen and production process workers.

Education appears to be a most significant variable in the fertility of urban Egyptian women(1) A positive correlation of + 0.77 between child-woman raio (5—9) and percentage of illiteracy among women in the reproductive age, was found in Cairo districts.

The correlation coefficient between the other socio-economic indicators and fertility in Cairo, was calculated as the following figures show :

	Coefficient correlation
— Percentage of scientific and professionals	—0.91
— Percentage of craftsmen and production process workers	+ 0.88
— Percentage of economic active females	—0.81

(1) Abou-Lughod, J., The Emergence of Differential Fertility in Urban Egypt. The Milbank Memorial Fund Quarterly, Vol. X LIII April 1965, Par I, p. 235 — 253.

Table 8. Fertility Levels in Cairo Districts and Their Relations to some Socio-Economic Indicators.

Districts	C.W.R. (5—9)	% of illiterate women in the reproductive age	% of working population		% of economic active females
			I	II	
1. *High Fertility Districs*					
Bab El-Sharia	880	68.4	1.8	20.9	8.5
Gamalia	872	74.8	1.3	20.9	5.4
Darb El-Ahmar	871	63.5	2.6	19.3	7.4
Khalifa	859	68.0	2.4	22.1	7.5
Mataria	853	73.3	2.1	14.7	5.7
Boulak	840	76.3	1.3	20.7	5.7
El-Sahel	836	61.5	3.8	16.9	7.0
Mousky	820	60.5	1.9	16.4	9.0
Helwan	819	68.6	3.3	23.2	6.2
Shoubra	802	68.0	2.6	18.0	6.5
Average	843	68.4	2.4	19.1	6.8
2. *Medium Fertility Districts*					
Maadi	797	71.8	2.6	15.9	7.3
Rod El Farag	796	56.2	4.4	15.2	8.9
Old Cairo	792	61.5	4.6	15.6	10.8
Saida Zeinab	784	53.5	4.7	13.4	12.5
Zaytoun	781	58.6	4.3	13.1	10.3
Wayli	770	61.8	4.0	14.3	9.5
El Zaher	711	36.9	6.2	8.7	14.9
Average	779	57.5	4.4	14.1	9.5
3. *Low Fertility Districts*					
Abdin	689	48.5	4.8	12.7	13.8
Azabakia	684	61.7	4.7	12.6	13.2
Helipolis	585	61.5	9.1	4.8	21.9
Kasr El-Nil	428	36.3	10.9	4.1	30.2
Average	646	41.9	6.8	7.9	19.1

I. Scientific and Technical professions etc. ...
II. Craftsmen and Production Process workers etc. ...

SUMMARY AND CONCLUSION

In the previous sections the limited data that are available are used to analyse geographic variations of fertility rates in ten Arab countries. The analysis showed that fertility rates vary somewhat from country to country and from region to region within a country, between rural and urban areas, among urban centers by size agglomeration and within large cities. The extent of the differences is not large in many cases. One important broad geographic variation has Upper Egypt as the area of minimum fertility. The level of fertility varies in a U-shape manner, from South to North (from Southern Sudan to Nile Delta) and from West to East (from Morocco to Kuwait). In the case of regional variations, the significant differences are noted in five countries, namely, Kuwait, Egypt, Iraq, Sudan and Syria. On the other hand, there were probably no significant regional differences in Morocco, Algeria, Libya, Jordan and Tunisia. Rural-Urban difference was minimum in Libya, Jordan and Egypt.

The fertility measure widely used in this study is the child-woman ratio. The deficiencies of this measure has already been mentioned. Very little can be done to assess the magnitude of the errors caused by under or over-enumeraion of children. We can only hope that since comparisons are done within a country at a fixed period, the enumeration errors will be similar in all parts of a country. If this is not true, our comparisons will be affected.

Child-woman ratio is affected by differences in mortality level. For example, if urban mortality level is lower than the rural mortality level, the child-woman ratio of the urban populaton will be higher even when its fertility level is the same as that of the rural population.

The extent of this error depends on the extent of mortality differences. For example if in Egypt (or any other country) the urban expectation of life at birth is 50 years and the rural expectation of life at birth is 47.5 years the effect of this difference on child-woman ratio (0—4) years is approximately 1—2 percent and a childwoman ratio (5—9) years is approximatley 2—3 percent(1).

There is yet another factor which affect comparisons of fertility on the basis of child-woman ratio. This is the distribution of women within childbearing period. Except in the case of Kuwait or the comparison within various districts of Cairo city, the effect of age composition of woman is unlikely to be serious.

Taking these points into consideration we may conclude that some of the regional differences in fertility as revealed by the present analysis may be to a large extent real. The rural-urban differenes showing higher fertility in rural may be real to a great extent. On the other hand, if the urban child-woman ratio is higher, this may also be interpreted as due to relatively better enumeration and low mortality level in urban areas. In such situation more accurate are required to establish the higher urban fertility.

The aims of the present study do not include analysis of the factors associated with the regional variation in fertility. Yet one may speculate on some of these factors. In this connection, one result of our analysis which requires special mention is that the regional variations in fertility rate are far more important than rural-urban or intra-urban differences. For example, rural-urban difference is practically negligible in Upper and

1) The calculation was based on the South Family of Princeton Model life tables.

Lower Egypt, but these two regions differ in their fertility rates by as much as 19.4 percent*. One may therefore speculate that in Arab countries at the present time, "the mode of life" (as it is referred in the Sudanese census) through its effect on age at marriage, fecundity impairment, abstinance etc. is far more important than the use or nonuse of modern contraceptives in explaining fertility differences between Arab countries and within them. This explanation may not apply to fertility variation within the same city.

APPENDIX

Definitions used in the estimation of "Urban" population as nationally defined and their percentage of the total population (around 1960) (1).

		%
— Morocco	117 urban centres.	32.3
— Algeria	Fifty-five most important communes having local self-government.	29.3
— Tunisia	Localities having self-government	40,1
— Libya	Total populaion of Tripoli and Benghazi plus urban parts of Baida and Derna	24.6
— Egypt	Cities, including the largest cities which are governorates and capitals of other governorates and districts	37.8

* ASABR

(1) U.N., Growth of the World's Urban and Rural Population, 1920—2000, New York, 1969 pp. 81 — 84, and the Percentages are calculated from the national censuses.

— Syria	Governorate and district capitals	36.9
— Iraq	Cities and towns	39.2
— Jordan	District headquaters, i.e. localities of 10,000 or more inhabitants (excluding Palestinian refugee camps in rural areas) and those localities of 5000—9000 inhabitants and the suburbs of Amman and JerusalemCities in which two thirds or more of the economically active males are not engaged in agriculture.	43.9

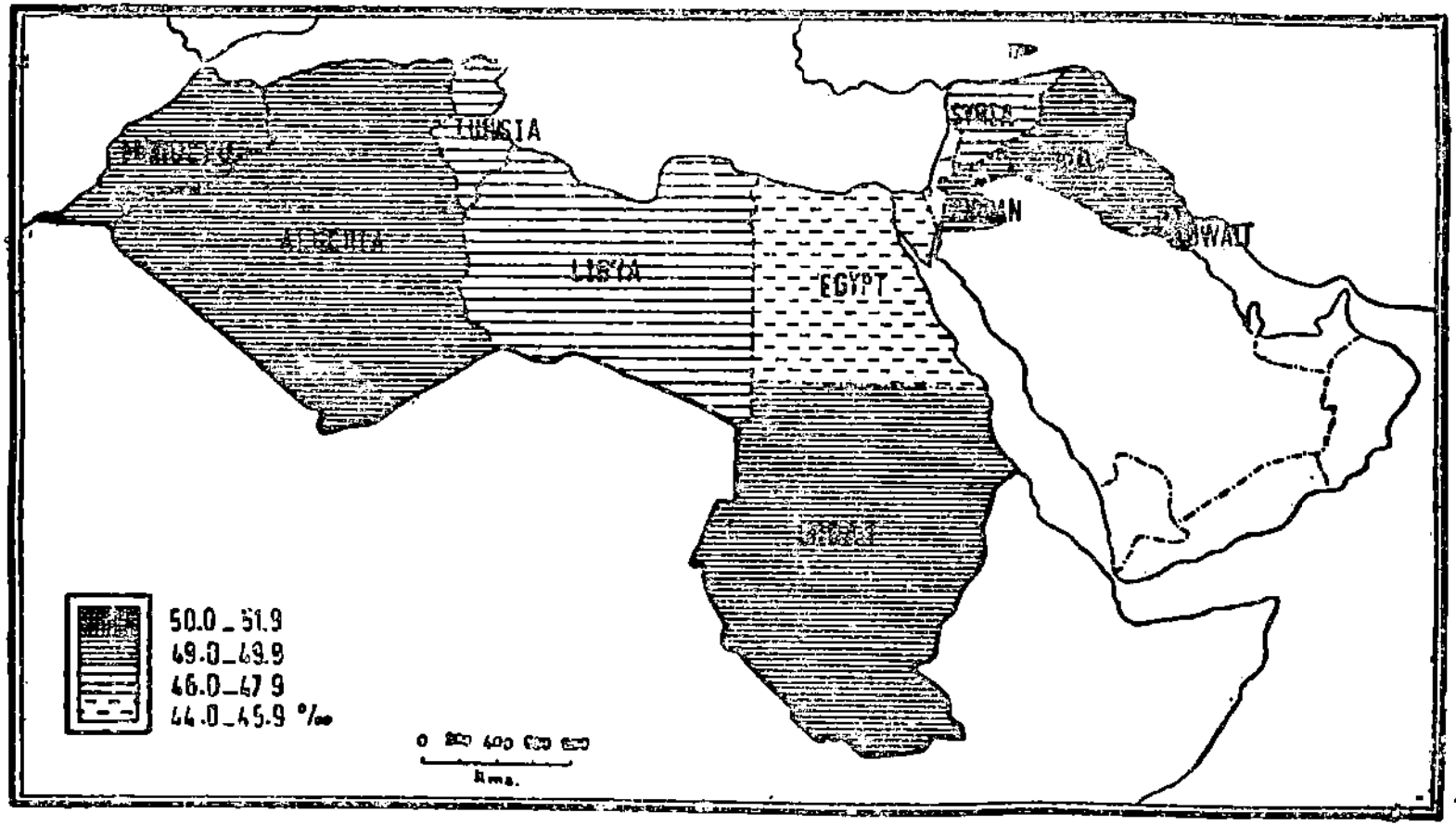

FIG.1 CRUDE BIRTH RATES IN THE ARAB COUNTRIES 1965

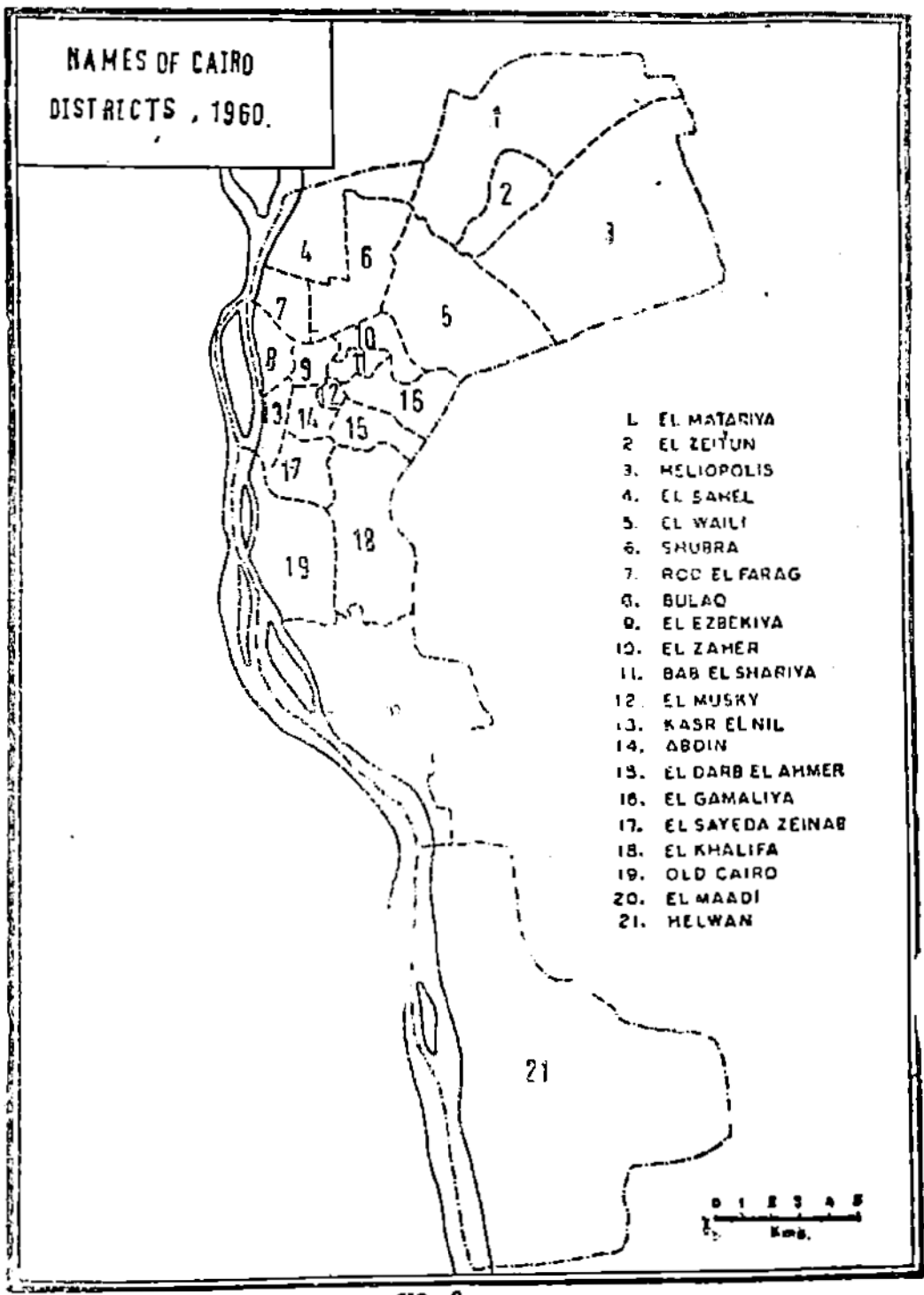
NAMES OF CAIRO
DISTRICTS , 1960.
1. EL MATARIYA
2. EL ZEITUN
3. HELIOPOLIS
4. EL SAHEL
5. EL WAILI
6. SHUBRA
7. ROD EL FARAG
8. BULAQ
9. EL EZBEKIYA
10. EL ZAHER
11. BAB EL SHARIYA
12. EL MUSKY
13. KASR EL NIL
14. ABDIN
15. EL DARB EL AHMER
16. EL GAMALIYA
17. EL SAYEDA ZEINAB
18. EL KHALIFA
19. OLD CAIRO
20. EL MAADI
21. HELWAN
0 1 2 3 4 5
Kms.

FIG. 2

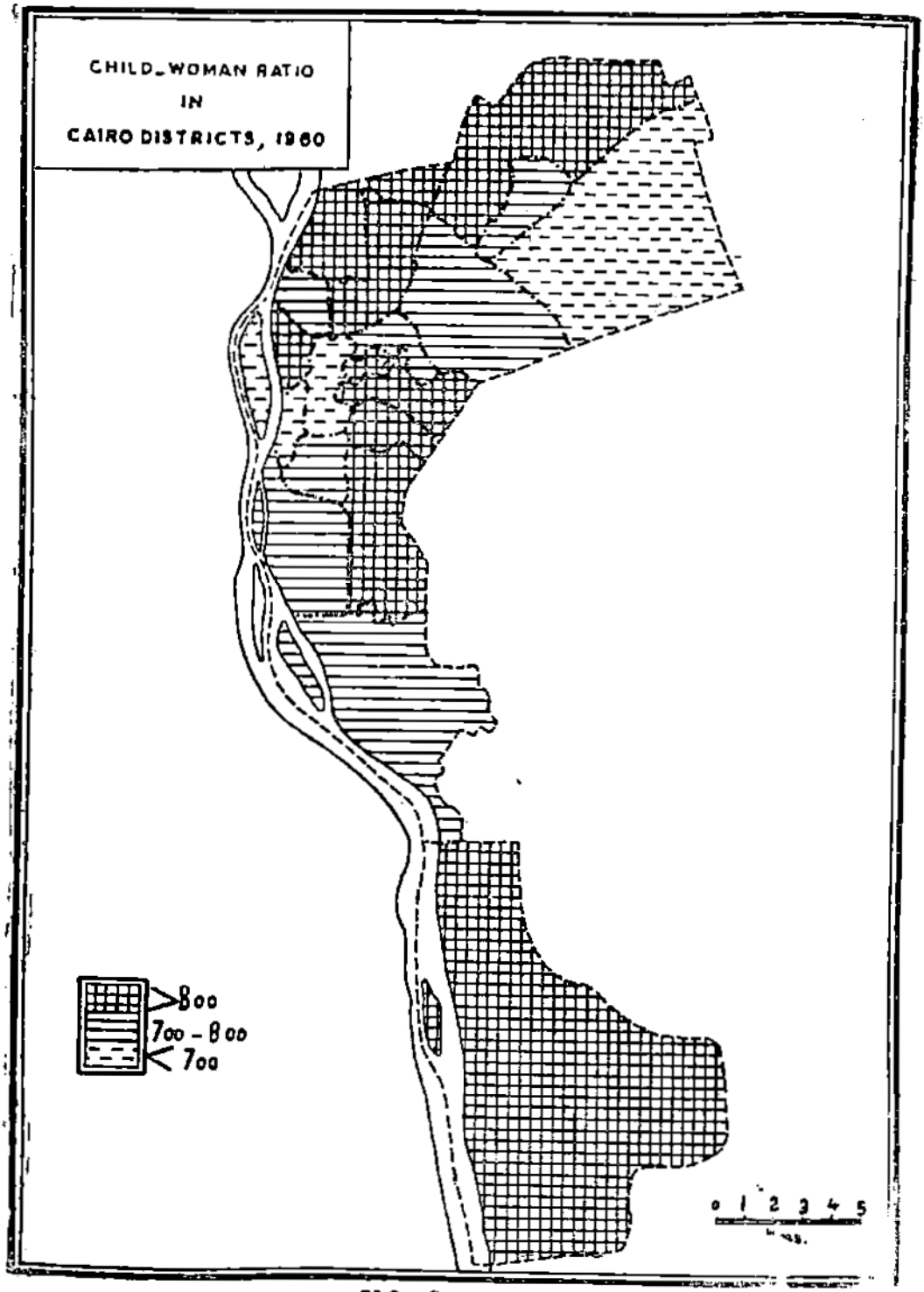
CHILD_WOMAN RATIO
IN
CAIRO DISTRICTS, 1960
800
700 - 800
700
0 1 2 3 4 5

FIG. 3

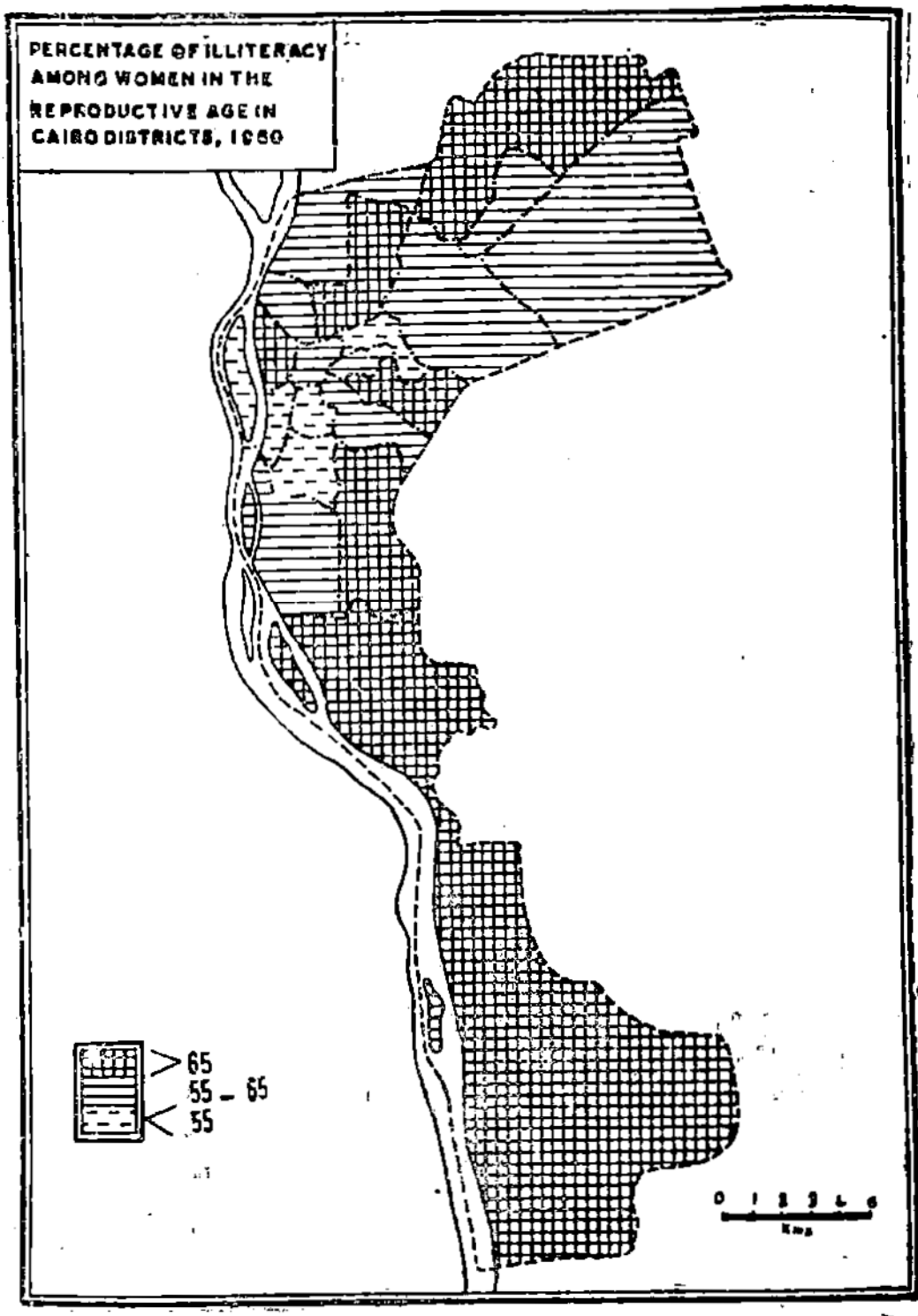
PERCENTAGE OF ILLITERACY AMONG WOMEN IN THE REPRODUCTIVE AGE IN CAIRO DISTRICTS, 1960
> 65
55 – 65
< 55
0 1 2 3 4 5
Kms

FIG. 4

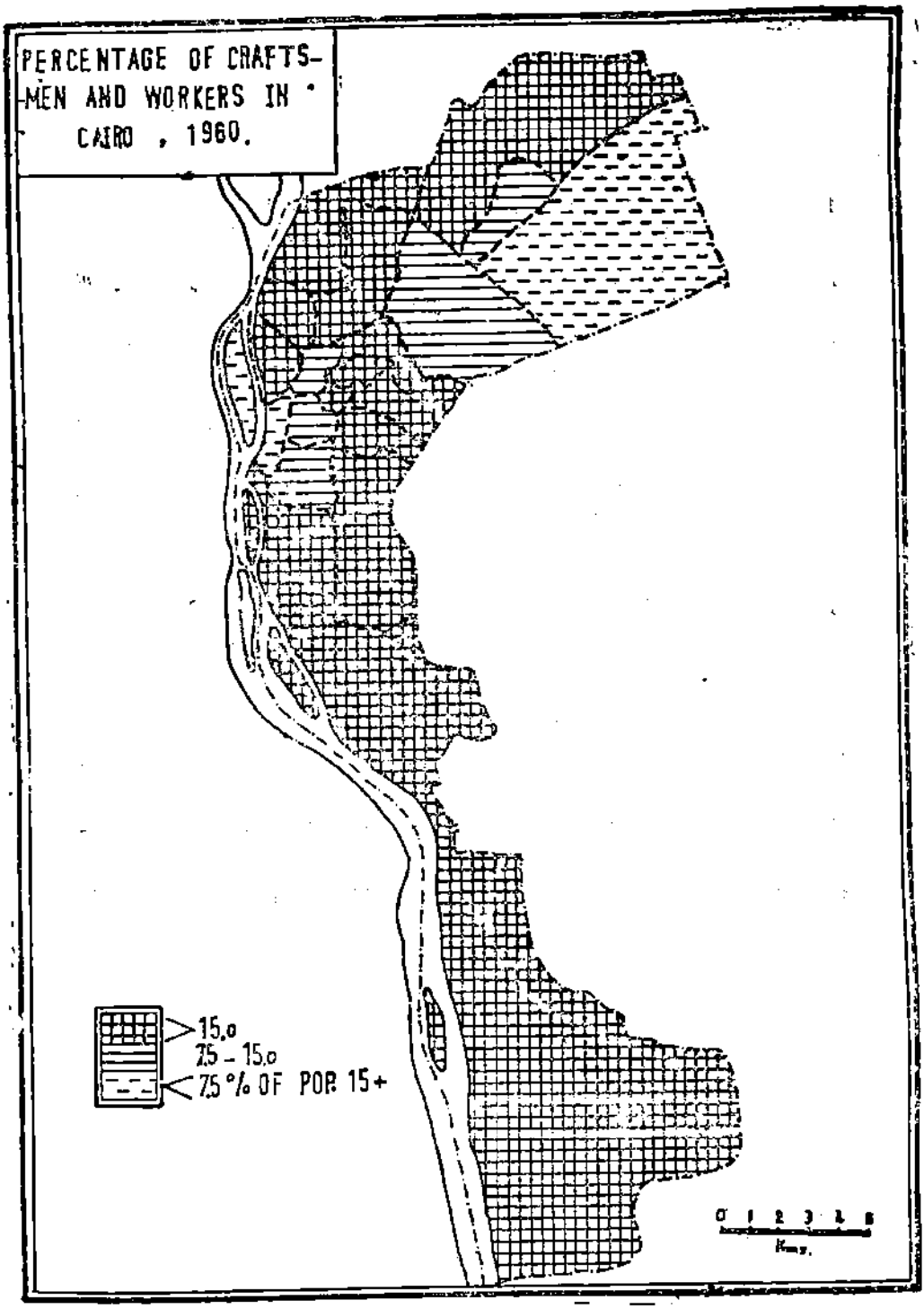
PERCENTAGE OF CRAFTS-
MEN AND WORKERS IN
CAIRO , 1960.
15.0
7.5 - 15.0
7.5 % OF POP. 15+
0 1 2 3 4 5
Kms.

FIG. 5

REFERENCES

1. **Abou Loughod, J.** The Emergence of Differential Fertility in Urban Egypt. *"The Milbank Memorial Fund Quaretrly"*,Vol. XLIII, April 1965

2. **Demeny, P.,** The Demography of the Sudan, *"The Demography of Tropical Africa"*, Princeton, 1968, pp. 466 — 514.

3. **El-Badry, M. A.,** "Trends in the Components of Population Growth in the Arab Countries of the Middle East, *Demography* 1965." Vol. 2, pp. 140 — 186.

4. The Hashemite Kingdom of Jordan, Department of Statistics, "Analysis of the Population Statistics of Jordan", Vol. 1, third Report, Amman, 1966.

5. **Karkoub, M.,** Estimtions des parametres Dèmographiques de la Populatino Musulmane d'Algerie (1954) N.A.D.C. 1965.

6. **Kiser and others,** Fertility of American Woman, New York, 1958.

7. **U.N. U.A.R.,** Cairo Demograprhic Centre, Newsletter 1, June 1969.

8. U.N. World population Prospects 1965—1965, as assessed in 1968, working paper 1969.

9. U.N. Demogrphic year-book 1965.

10. U.N. The Determinants and Consequences of Population Trends, New York 1953.

11. **Zachariah, K. C.,** The Demographic Measures of Arab Countries, a comparative Analysis (unpublished).

12. **Zikry A.** Urbanism and its effect upon Fertility of Woman in U. A. R. in Arabic), N.A.D.C., 1964.

ON CAESAR'S POLITICS
(A STUDY. IN DE BELLO CIVILI)

By

MOSTAFA EL-ABBADI

Ten days before the long impending civil war between Caesar and Pompey actually broke out, the senate on the 1st of January 49B.C. held one of the most critical meetings in its history. The matter before it was the last attempt to avert the break out of hostilities. The chance was offered by Caesar, "when he sent a message to the senate that all should give up arms. This was rejected."(1)

We are fortunate to possess a rather cursive but very vivid report, in the words of Caesar himself, about how the senate reacted to Caesar's challenge for peace.(2) His style is as usual straightforward,simple, and restrained; his sense of humour is never failing, sometimes amounting to sarcasm and irony.

From Caesar's report we understand that there was much wrangling and altercation about the matter. On receiving Caesar's missive the consuls at first did not wish to have it read in the senate, but when the tribuni plebis acting on Caesar's behalf insisted, they allowed it to be read. Yet when the tribuni plebis asked for a motion on Caesar's offer for peace, this wes flatly rejected. Then the consul L. Lentulus began an appeal for solidarity of the

(1) Caesar, de Bello Civili, I. 9.3 : "Cum litteras ad senatum miserit, ut omnes ab exercitibus discederent, ne id quidem impetravisse."

(2) B.C. (= Caes. de bello civ.) I. 1—5.

senate against Caesar and to stop their policy of appeasement. Next spoke Scipio more definitely : "Pompey does not intend to desert the res publica, if the senate follows him. But if it delays and acts remissly, it will in vain seek his help, if it should wish to do so in the future (3). Obviously Scipio was speaking on behalf of Pompey; and Caesar does not miss the opportunity of saying this in his own sarcastic manner: "This speech of Scipio appeared to come from the mouth of Pompey himself, since the senate was meeting in the city and Pompey (with his soldiers) was close at hand."(4)

Any attempts at a middle course were promptly suppressed by the consul and Pompey's friends. Thus the senators, sufficiently intimidated, were compelled to adopt the proposal of Scipio, "That Caesar should disband his army before a fixed date, and that-if he failed to do so-he should be considered to be meditating treason against the res publica."(5) Against such a drastic measure, the tribuni plebis resorted to the use of their right of intervention. This was again denied in an angry and threatening manner;(6) and the senate finally on the 7th of January 44 B.C. declared martial law for the protection of the state(7).

---

(3) B.C. I.1.4: "Pompeio esse in animo rei publicae non deesse, si senatus sequatur; si cunctetur atque agat lenius, nequiquam eius auxilium, si postea velit, senatum imploraturum."

(4) B.C. I. 2.1 : "Haec Scipionis Oratio, quod senatus in urbe habebatur Pompeiusque aderat, ex ipsius ore Pompei mitti videbatur."

(5) B.C., I. 2.6 : "Sic vocibus consulis, terrore praesentis exercitus, minis amicorum Pompei plerique compulsi inviti et coacti Scipionis sententiam sequuntur: uti ante certam diem Caesar exercitum dimittat; si non faciat, eum adversus rem publicam facturum videri."

(6) B.C. I. 2.7; Dio cassius 41. 2, shows that the rejection of the tribunes' intervention took place on the following day, i.e. 2nd Jan. 49. B.C.

(7) B.C. I. 5. 3—4.

The tribuni plebis found themselves helpless; "being unable to protest against the peril that threatened them, ... they at once fled from the city and betook themselves to Caesar."(8)

This abstract from Caear's report may be excused in view of its significance for the point I wish to stress. Caesar as an historian enjoys an unusually high reputation of being truthful. Undoubtedly he tries, and often succeeds, to justify his political and military actions in the eyes of his contemporaries. But his narrative, when checked against those of other ancient authors like Cicero, Suetonius, Plutarch and Dio Cassius proves to be, in the main, trustworthy.

If, therefore, we accept that the account quoted above is historically correct, we may at once notice that certain elements in the situation seem either contradictory to one another or that we need to know more about the situation in order to understand its apparent ambiguity. For example, at the beginning of the war we are told that Pompey was both politically and in armed forces far more powerful than Caesar, yet he deliberately avoided meeting Caesar in Italy either at a conference table or in the field of battle.

We know that the Civil Wars developed from a terrible party strife at Rome between the senate and the populares. Caesar always championed the cause of the populares; whereas Pompey, a great soldier but an irresolute politician, after vacillating between alignement with Caesar and the pursuit of personal glory, finally accepted

(8) B.C. I.5.5.

the leadership of the senate. This final unification of the forces of both Pompey and the senate utterly upset the political situation at Rome. Caesar seems to have lost all means of controlling matters to suit his wish, whereas Pompey became the dominant personality and in full control of the city. The above quoted report of Caesar shows such a situation plainly : the rebuff of Caesar's offer for universal disarmament, the prevention of the tribunes to exercise their right of intervention, the outrageous treatment of the tribunes and their flight from the city; all this is an adequate proof of the helplessness of Caesar's political position in Rome.

Also the military situation was decisively in favour of Pompey. We are told, on the authority of Caesar himself, that on the eve of the war, he had with him at Ravenna one legion only, namely the thirteenth legion. (9) He further assures us that he crossed the Rubicon at the head of that one legion only.(10) Pompey, on the other hand, had then ten legions(11) and all the ships in Italy.(12)

---

(9) B.C. 1.7.8 : "conclamant legionis XIII, quea aderat, milites — hancenim initio tumultus evocaverat, reliquae nondum convenerant — ... ".

(10) B.C. I.8.1. : "Cognita militum voluntate Ariminum cum ea legione proficiscitur." In Picenum, before Asculum, Caesar received a second legion (I. 15.3 : "Interea legio XII Caesarem consequitur); his third reinforcement, before Corfinium, was one more legion, 22 cohorts from Gaul and 300 horse (I. 18.5); his total force at Brundisium was six legions (I. 25. 1)"

(11) Pompey had taken two legions from Caesar under the pretence of a Parthian war but were kept in Italy (I. 3.2; I.9.4). He also held levies throughout Italy (I. 6.8; I.9.4) his total force was ten legions (I. 6.1 : "legiones habere sese paratos X). With the exception of Mommsen, History of Rome, vol. IV. p. 349 (Trans. by W.P. Dickson), this fact has often been overlooked. R, Syme, Roman Revolution, p. 49, states "Pompeius might stamp with his foot in the land of Italy,... No armed legions rose at his call. But Syme's rhetoric seems to ignore the simple statement of Caesar.

(12) B.C. I.29, "quod omnibus coactis navibus Pompeius praesentem facultatem insequendi sui admerat".

It would seem therefore, that from a political and military point of view the position of Pompey was more powerful than that of Caesar. This impression is further strengthened by the fact that Caesar always tried to seek a peaceful agreement(13) while Pompey urged a settlement by war.(14) Yet, paradoxically enough, one notices that Pompey never gives the assurance that Caesar displays. Pompey tended to be pompous and nervous, whereas Caesar, reasonable and confident. What was the reason behind the confidence of Caesar and the anxiety of Pompey? It is perhaps difficult to give a conclusive answer, and it is not my intention to do so. I only wish to stress one element in the situation which-to my mind-has not been adequately appreciated. A reading of the "de bello civili" gave me the impression that Caesar realised, at an early stage, that the decisive element in the situation was not Rome and the Romans, as much as Italy and the Italians. Of course he is careful to show every respect for the traditional institutions of Rome; for example, when Pompey apologetically wrote to him, "thet what he had done was for the sake of the respublica; that he had always held the interests of the res publica above personal relation"(15) Caesar answered in a similar language : "To him the dignity of the res publica was supreme and above life .....he was prepared to resort to anything, to submit to anything for the sake of the res publica. Let Pompey go to his provinces, let them (both) disband their armies, let everyone in Italy lay down his arms, let fear be banished from the

---

(13) Caesar repeatedly made offers for peace, e.g. B.C. I.5.5; I. 9.3, 6; III. 10. 3—11; III. 57. 2—5.

(14) B.C. I.4.5 : "(Pompeius) rem ad arma deduci studebat".

(15) B.C. I.8.3 : "ne ea, quae rei publicae causa egerit in suam contumeliam vertat. Semper se rei publicae commoda privatis necessitudinibus habuisse potiore".

state, let free elections and the whole control of the res publica be handed over to the senate and the Roman people."(16).

This is not much more than lip service; and perhaps dictated by his genuine desire to stop the fighting and make peace with Pompey. Ever since the formation of the triumvirate in 60 B.C. it was felt at Rome that the coalision was-to say the least-detrimental to the Roman constitution. In the summer of 59 B.C., during the first consulship of Caesar, a moderate conservative like Cicero had this to say to his friend Atticus,"The whole country has gone to ruin, and affairs are in one respect worse than when you left. Then it looked that the state was oppressed with a tyranny which was popular with the masses, and though annoying to the upper class, still comparatively harmless; but now it has become suddenly hateful to all alike, that I tremble for the issue."(17).

In the autumn of the same year, Cicero writes to his brother Quintus, "And now let me tell you what you most desire to know, the constitution is completely lost to us."(18) Four years later, in 55 B.C., during Caesar's absence in Gaul, Cicero admits in despair : "We must either utterly

---

(16) B.C. I.9.2,5: "Sibi semper primam rei publicae fuisse degnitatem vitaque potiorem .... Sed tamen ad omnia se descender eparatum atque omnia pati rei publicae causa. Proficisatur Pompeius in suas provincias, ipsi exercitus dimittant, discedant in Italia omnes ab armis, metus e civitate tollatur, libera comitia atque omnis res publica senatui populoque Romano permittatur." Also at a later stage of the war, when he renewed his offer for peaceful settlement, III. 10. 8 : "Condiciones pacis, quoniam antea convenire non potuissent, Romae ab senatu et a populo peti debere."

(17) Cicero, Epist. ad Atticum, II. 21. 1: "Tota periit atque hoc est miserior, quam reliquisti, quod tum videbatur eius modi dominatio civitaem oppressisse, quae iucunda esset multitudini, bonis autem ita molesta, ut tamen sine pernicie, nunc repent tanto in odio est omnibus, ut, quorsus eruptura sit, horreamus.

(18) Cicero, Epist. ad Quintum Fratrm, I. 2.15 : "Nunc ea cognosce quae maxime exoptas. Rempublicam Funditus amisimus."

humiliate ourselves by agreeing with a minority (the triumvirs), or disagree with them to no purpose ..... the senate, the lawcourts, and the whole state have undergone a complelete change."(19)

These sentiments do not seem to be peculiar to Cicero, nor dictated merely by his differences with Caesar or by his attachment to Pompey. Caesar is sufficiently reported by Suetonius to have had much contempt for the ancestral tradition of Rome. "According to Titus Ampius, Caesar said that the res publica was nothing, merely a name without subutance or form. (20).."

These declarations show how little faith Caesar had in Rome and its traditional institutions. I would even venture to say that his claim to fight for the protection of the tribuni plebis(21) was no more than a useful legal argument to his advantage. One might even doubt if he fully believed in the office itself as is shown by his attitude towards the two great tribuni plebis, the Gracchi, who had tried to effect a revolution through the popular party and the comitia tributa. He publicly dissociated himself from them and their politial philosophy. In the important speech which he delivered to his soldiers, a day before crossing the Rubicon, Caesar described the measures of the Gracchi as " pernicious laws" (in perniciosis legibus). (22).

---

(19) Cirero, Epist. ad Familiares, I. 8. 3—ù : ,,Nam aut assentiendum est nulla cum gravitate paucis, aut frustra dissentiendum ..... commutata tota tatio est senatus, iudiciorum, rei totius publicae."

(20) Suetonius, Divus Julius, 77 : ,,ut Titus Amp. (r) ius scribit nihil esse rem publicam, appellationem modo sine corpore ac specie." then he adds the fumous sentence : ,,Sullam nescisse litteras, qui dictaturam deposuerit."

(21) e.g. B.C. I. 5.4; I. 7.2,8, I.22.5.

Notice that Caesar here shows The same hostility as the Senate towards the Gracchi, which is voiced by Cicero, In Cat, 1, 3, 4; IV, 4.

(22) B.C. I. 7.5.

All this seems to indicate that the political philosophy of Caesar did not envisage the populares or the common people of Rome to be the proper media of the revolution. I suggest that this role was reserved for the Italians. There are a number of incidents which indicate that Caesar had this in mind and that he tried to convince the Italians that he was fighting also in their name. The earliest indication of the interrelations between the political behaviour of Caesar and the Italians is found in a letter of Cicero to Atticus during the first consulship of Caesar in 59 B.C. Cicero expresses his fear that the triumvirs "have been roused to energy by the hisses of the crowd, the talk of the loyalists and the murmurs of Italy."(23)

Immediately after the break out of the civil war, Caesar makes a new offer for a negociated peace with Pompey. On this occasion he urges the messengers, who had come from Pompey, to carry back his own message, "in the hope that with little trouble they might be able to put an end to serious disputes and free the whole of Italy from alarm ..... Let everyone in Italy lay down his arms."(24)

Among the reasons that prevented Caesar from following Pompey at once to the Balkans was, as he says, "lest Gaul and Italy should be tampered with in his absence."(25)

But most appropriate to our purpose is Caesar's message to the Massilians who had closed their gates

(23) Ad Atticum, II. 21. 1 : "nunc vero sibilis volgi, sermonibus honestorm, fremitu Italiae vereor ne exarserint."

(24) B.C. I.9.1.1,5 : si parvo labore mangas controversias tollere atque omnem Italiam metu liberare possint ... discedant in Italia omnes ab armis."

(25) B.C. I.29. 3 : „....Galliam Italiamque temptari se absente nolebat.

against him and sided with Pompey. He at first warns them against taking the first step towards fighting, and adds that "they ought to follow the authority of all Italy rather than to submit to the will of one man (i.e. Pompey)."(26)

Caesar continued to uphold the Italian cause and the idea that he was acting in the name of Italy and not only of Rome. This attitude is clearly reflected in the opposition of the people of Apollonia to take up arms against Caesar. It is reported that "they refused to shut their gates against the consul (i.e. Caesar), or to decide anything for themselves that should be contrary to the decision of all Italy and of the Roman people."(27)

Finally, in the last stage of the war, Caesar made overtures to Scipio, trying to win him over to his side in a final endeavour to stop the war. In his letter Caesar said, "If he (Scipio) should do this, everyone would credit him with achieving the tranquility of Italy, the peace of the provinces, the safety of the empire."(28)

This is new language in Roman politics, wherein the name of Rome is remarkably missing, and the name of Italy is most prominent. Caesar, as it were, wishes to make it clear that the civil war was in no sense a party struggle among the Romans. This seems to be a fundamental difference between the attitudes of the senate and Caesar. These two different attitudes come out most clearly in the

---

(26) B.C. I.35. 1 : ,,debere eos Italiae totius auctoritatem sequi potius quam unius hominis voluntati obtemperare".

(27) B.C. III. 12. 2 : "Illi vero daturos se negare neque portas consuli praeclusuros neque sibi iudicium sumpturos contra atque omnis Italia populusque Romanus iudicavisset."

(28) B.C. III. 57. 4 : "Quod si fecisset, quietem Italiae, pacem provinciarm, salutem imperu uni omnnes acceptam relatos.".

messages exchanged between Caesar and the Massilians; Caesar, as just mentioned, calls them to follow the authority of all Italy. The Massilians, who had Pompey's men among them, gave in reply "the authoritative argument of the senate " (ex senatus auctoritate) as follows : "We understand that the Roman people is divided into to parties. It is not within our discretion or our power to determine which side has the juster cause."(29)

We can see from these examples that Caesar waged his propaganda campaign on the basis that he primarily fought the civil war for the sake of all Italy. His policy appealed to the Italian municipalities, and their response was most favourable. No sooener did Caesar's standards appear near a city in Italy than the inhabitants hastened to declare their loyalty. (30). In spite of Pompey's superiority in number of legions, his position in Italy was precarious. Although he never encountered Caesar with his force on Italian soil, his losses were enormous (31). It is even conjectured by Caesar that he might have originally intended to quit Italy. (32) This state of affairs in Italy was perhaps one

(29) B.C. I. 35. The word "senatus" is supplied by Menge and adopted in ithe Oxford text : "legati..... atque ex senatus auctoritate haec Caesari renuntiant; intellegere se divisum esse popilum Romanum in partis duas. Neque sui iudici neque suarum esse virium discernere, utra pars iustiorem habeat causam."

(30) E.g. : B.C. I. 11 (at Pisaurum, Fanum, and Ancona) : I. 12 (Iguvium); I. 12 (Auximum); I. 15 (in the territory of Picenum : "Cunctate earum regionum praefecturae libentissimis animis eum (i.e. Caesar) recipiunt exercitumque eius omnibus rebus iuvant.") ; I. 18 (Sulmo); I. 20 (Corfinium); I. 28 (Brundisium).

(31) B.C.III. 10.5:"illum Italiam expulsum amissa Sicilia et Sardinia duabusque Hispaniis et cohortibus in Italia atque Hispania civium Romanorum centum atque XXX."

(32) B.C. I. 27. 2 "Pompeius, sive operibus Caesaris permotus sive etiam quod ab initio Italia excedere constituerat."